"الرواية الحاصلة على جائزة لوس أنجلوس لأدب التشويق والغموض عام 2019
والتي رشحت لـ3 جوائز أدبية كبرى أهمها البوكر العالمية"

أختي.. قاتلة متسلسلة

أويينكان بريثويت

ترجمة: محمد عثمان خليفة



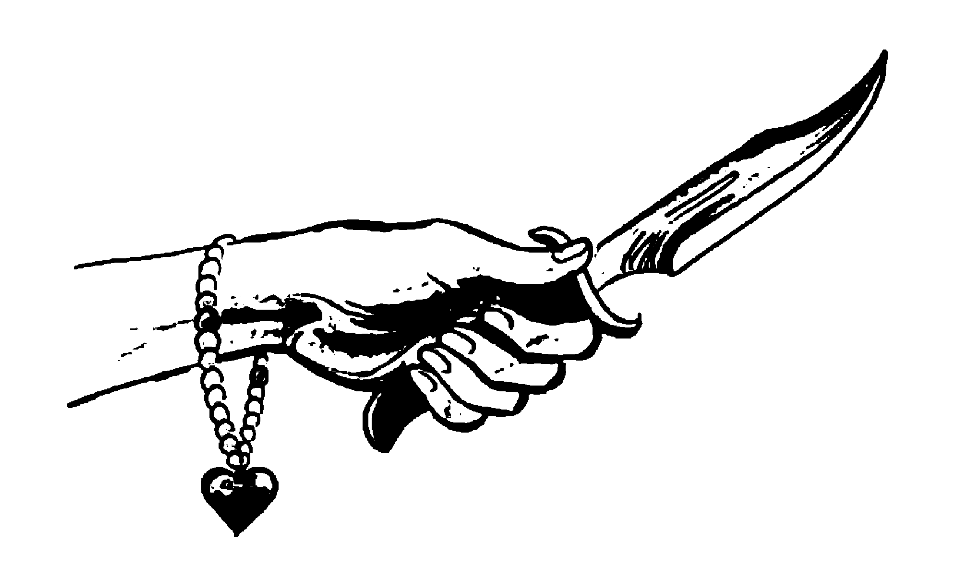
روايات مترجمة

أختي.. قاتلة متسلسلة

رواية من نيجيريا

أويينكان بريثويت

ترجمها عن الإنجليزية: محمد عثمان خليفة



أختي.. قاتلة متسلسلة

تأليف: أويينكان بريثويت

ترجمة: محمد عثمان خليفة

تحرير: إيزيس عاشور

مُراجعة لُغويَّة: محمد حامد بكر

الطبعة الأولى: يناير 2020

رقم الإيداع: 23087/2019

الترقيم الدولي: 9789773195366

60شارع قصر العيني 11451 - - القاهرة

ت 27954529 - 27921943 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

First published as *My Sister, the Serial Killer* in 2018.

تابعونا لمعرفة أحدث إصداراتنا






بطاقة فهرسة

بريثويث، أويينكان،

أختي قاتلة متسلسلة/ تأليف أويينكان بريثويث؛ ترجمة محمد عثمان خليفة.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2019.

ص؛ سم.

تدمك 9789773195366

1- القصص النيجيرية

أ- خليفة، محمد عثمان (مترجم)

ب- العنوان 896,33

إلى عائلتي التي أحِبُّها كثيرًا..

آكين.. توكونبو.. أوبافنكي.. سيجي.. أوري.

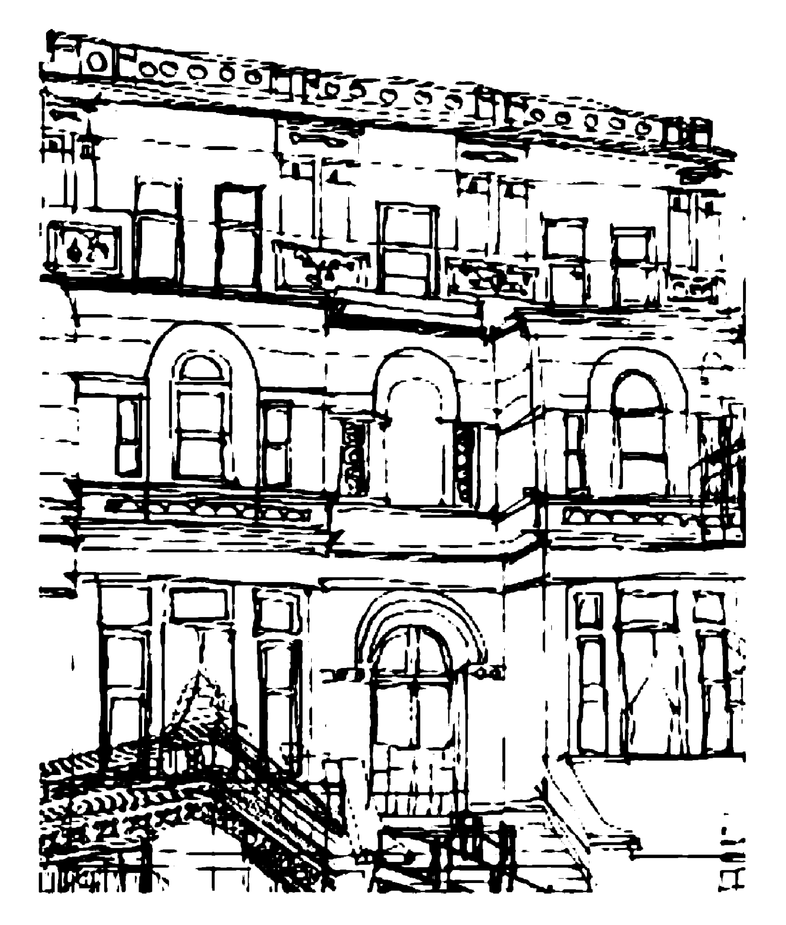
كلمات

طلّبت "أيولا" رُؤيتي لتقول لي:

"كوريدي.. لقد قتلتُه!".

كم تمنَّيتُ لو أنني لا أسمع تلك الكلمات مرَّةً أخرى في حياتي.

المُبيِّض



أراهنكَ أنك لم تكُن تعرف أن المُبيِّض يقضي على رائحة الدَّم. أغلبكُم يستخدمه كمُنتَج مُسلَّم به، مُفترضين أن من البديهي أن يقضي على كل شيء، ويُنظِّف كل شيء، ويُهملون قراءة قائمة المُكوِّنات في المُلصق على ظهر العبوة، ولا يُبالون بالعودة إلى أيِّ سطح نظَّفوه بالمُنتَج قبل قليل ليُلقوا نظرة أخرى عن كَثَب. ولكن عليك أن تعرف أن المُبيِّض يُعقِّم، ولكنه غير قادر على القضاء التَّام على بقايا كل شيء، ولذلك فأنا لا أستخدمه إلا بعد أن أكون قد خلَّصت الحمَّام من كل آثار الحياة، والموت.

يتَّضح لكل عين أننا جدَّدنا الغُرفة مُؤخَّرًا. لا تزال مُحتفظة بتلك الطَّلَّة الجديدة، خاصة أنها قد فرغت للتَّوِّ من تنظيفها في مُهِمَّة استغرقت ثلاث ساعات. كانت أصعب فقرات هذه المُهِمَّة هي الوصول إلى بقايا الدَّم التي تسلَّلت ما بين الدُّش، وطبقة الأسمنت الأبيض، خاصة أنه من السَّهل نسيان مناطق كهذه.

لم يعد هناك أيُّ شيء على أيِّ سطح؛ لقد وُضع ال"شاور جل"، وفُرشاة الأسنان، ومعجون الأسنان في الدُّولاب الصَّغير فوق الحوض. ثم هناك مشاية حمام؛ وجه أسود مبتسم على مستطيل أصفر في مساحة بيضاء.

تجلس "أيولا" فوق قاعدة التُّواليت، تحتضن رُكبتيها إلى صدرها بذراعيها. جفَّ الدَّم فوق فستانها، فلا خطر من أن تتساقط قطراته فوق الأرضية التي صارت الآن نظيفة ناصعة البياض. لملمت ضفائر شعرها فوق رأسها، حتى لا تُلامس الأرض. تُحدِّق فيَّ بعينيها الواسعتين البُنِّيتين، في خوف من أن أكون غاضبة، وفي ترقُّب من أن أفرغ من مهمتي، ومن ثم أبدأ مُحاضرتي المُعتادة.

أنا لستُ غاضبة، بل مُتعبة. تتقاطر حبَّات العَرَق من حاجبي إلى الأرضية، فأمسحها بالإسفنجة الزرقاء.

كُنتُ أهمُّ بتناول طعامي لحظة أن اتَّصلت. كنت قد وضعت كل شيء فوق الصينية بنظام؛ الشوكة إلى يسار الطبق، والسكين إلى يمينه. طويتُ المنديل على شكل تاج، ووضعته في قلب الطبق. أوقفت الفيلم على الشاشة عند التَّتر، ورَنَّ جرس الفُرن في اللحظة نفسها التي اهتزَّ فيها تليفوني بكل عنف فوق الطاولة.

سيكون طعامي قد برد عندما أعود إلى المنزل.

أقف وأشطُف القُفَّاز في الحوض، ولكنني لا أخلعه. تحدق "أيولا" في انعكاس صورتي على المرآة. أقول لها:

- علينا أن نتخلَّص من الجُثَّة.

- غاضبة مِنِّي؟

الشخص الطبيعي سيغضب بالتأكيد، ولكن ما أشعر به الآن هو حاجة مُلِحَّة للتَّخلُّص من الجُثَّة. عندما وصلت إلى هنا، حملناه، ووضعناه في شنطة السيارة، حتى يتسنَّى لي التنظيف والتَّخلُّص من كل الآثار بعيدًا عن نظرات عينيه الخاويتين.

- أحضري حقيبتك.

عُدنا إلى السيارة، فوجدناه ينتظرنا داخل شنطتها..

يَخِفُّ الزِّحام المروري فوق الكوبري الثالث في هذا الوقت من الليل، وبما أن الكوبري خالٍ من أعمدة الإنارة، فإنه غارق في ظلام دامس، ولكن أنوار المدينة تبقى مُتألِّقة عند نهاية الكوبري. أخذناه إلى حيث أخذنا الجُثَّة السابقة؛ فوق الكوبري، ثم إلى الماء. لن يُعاني الوحدة على الأقل.

تسرَّب بعض الدَّم إلى فرش شنطة السيارة. عرضت "أيولا" تنظيف تلك الآثار، إحساسًا منها بالذنب، ولكنني تناولت المزيج الذي حضَّرته مُسبقًا، ملعقة أمونيا في كوبي ماء، وسكبته فوق البُقعة. لا أعلم يقينًا بما إذا كانوا في شرطة ومباحث "لاجوس" يمتلكون أحدث تقنيات فحص مسرح الجريمة أم لا، ولكن ما أنا مُتيقِّنة منه تمامًا هو أن "أيولا" لا يمكن أن تُنظِّف بكفاءة وفعالية تنظيفي نفسهما.

المُفكِّرة



- مَن هو؟

- "فيمي".

دوّنت الاسم. كُنّا في غُرفة نومي.. "أيولا" جالسة على الأريكة، وقد وضعت ساقًا فوق الأخرى، أسندت رأسها إلى وسادة. أحرقت الرداء الذي كانت ترتديه أثناء أخذها حمّامًا. هي الآن ترتدي "تيشيرت" ورديًّا، تفوح منه رائحة بودرة أطفال.

- اسمُه بالكامل؟

غمغمت في سخط، وقد زمّت شفتيها، وهزّت رأسها، وكأنها تحاول نفض الاسم إلى مُقدِّمة ذاكرتها. ولكنها عجزت عن تذكُّره. فهزّت كتفيها في استسلام. كان عليّ الاحتفاظ بمحفظته.

أغلقت المُفكِّرة. هي مُفكِّرة صغيرة؛ أصغر من راحة يدي. ذات مرة، شاهدت أحد مُحاضرات "تيدكس" التي قال فيها المُحاضر

إن حياته تغيّرت تمامًا بفضل أنه كان يحمل مُفكِّرة معه في كل مكان لتسجيل لحظة سعيدة في كل يوم. لذلك ابتعت المُفكِّرة. وكتبت في صفحتها الأولى.. "**رأيت بومة بيضاء عبر نافذة غُرفة نومي**". ومنذ ذلك الحين، لم أكتب فيها شيئًا آخر.. تقريبًا.

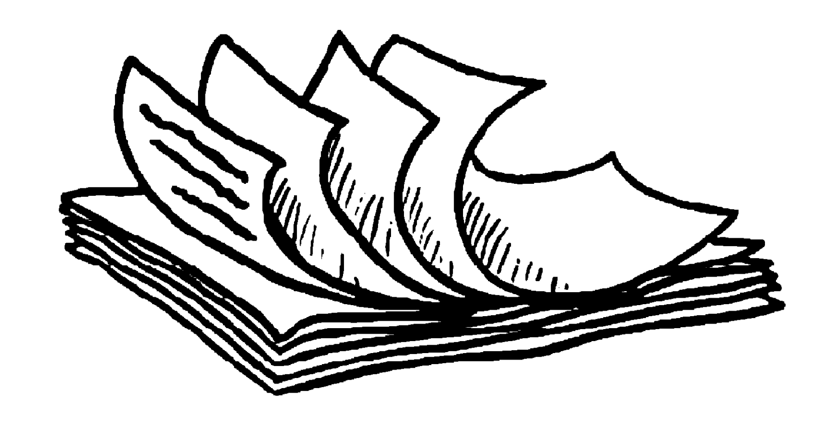
- ليست غلطتي.. كما تعلمين.

ولكنني لا أعلم. لا أعلم قصدها. هل تقصد غلطتها في عدم تذكُّر الاسم بالكامل؟ أم غلطتها في مقتله؟

- احكي لي ما جرى.



القصيدة





كتب "فيمي" لها قصيدة.

(تتذكَّر القصيدة.. ولا تتذكَّر بقيَّة اسمه)

أتحدّاكم أن تجدوا في جمالها عيبًا؛

أو أن تجدوا امرأة قادرة على أن تقف إلى جوارها

من دون أن تذبُل خجلًا.

أعطاها إيّاها مكتوبة على قصاصة ورقية مطوية مرَّتين، بطريقة ذكَّرتني بأيام المدرسة الثانوية، لما كان الصبية والصبايا في مؤخرة الفصل يمررون رسائل الحب لبعضهم بعضًا. حرَّكت الرسالة مشاعرها (فمشاعر "أيولا" تتحرَّك) ووافقت أن تكون رفيقته.

وفي الليلة التي مرَّ فيها شهر على علاقتهما، طعنته داخل حمَّام شقَّته. وبالطبع.. لم تكُن تقصد ذلك.. طبعًا. كان غاضبًا، يصرخ فيها، فتتطاير من فمه إلى وجهها أنفاس برائحة البصل.

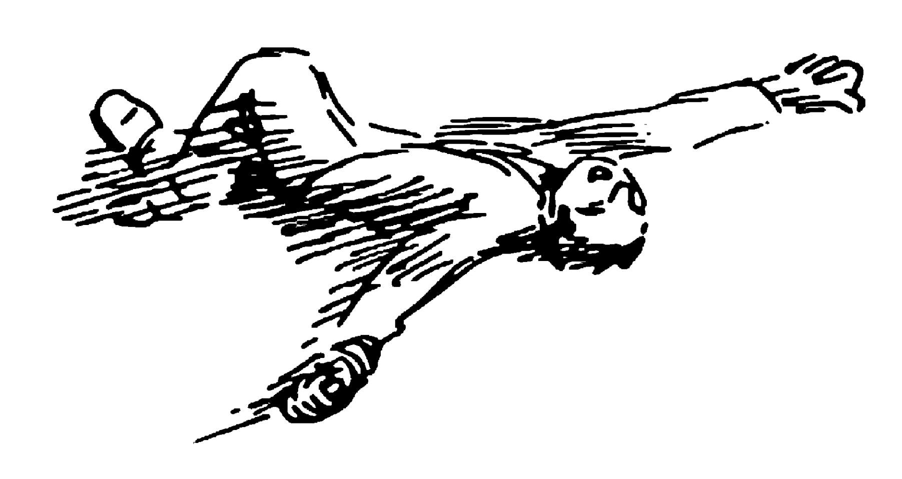
(ولكن، لماذا كانت تحمل سكّينًا؟)

كانت تحمي نفسها. فلا يمكن لامرأة أن تأمن مكر رجل؛ يريدون ما يريدون وقت ما يريدون. لم تقصد أن تقتله؛ بل أن تحذره، ولكنه سخر من السلاح الذي تحمله. طوله يقارب المترين، وهي أمامه مثل عروس لُعبة؛ ضئيلة، بأجفان طويلة، وشفتين ممتلئتين.

(تلك هي أوصافها.. ليست أوصافي).

قتلته من الطعنة الأولى، سدَّدتها مباشرة في قلبه. ولكنها سدَّدت طعنتين إضافيتين، على سبيل التأكيد. وسقط مُرتطمًا بالأرض. لم تكُن لحظتها تسمع سوى صوت أنفاسها اللاهثة.

الجُثَّة



هل سمعت هذه الحدوتة من قبل؟

فتاتان تدخلان غُرفة.. والغُرفة في شقَّة.. والشَّقَّة في الطابق الثالث. وفي الغُرفة جُثَّة. كيف تُخرجان الجُثَّة حتى الطابق الأرضي من دون أن يراهما أحد؟

واحد.. تجمعان ما يلزم..

- كم ملاءة نحتاج؟

- كم ملاءة لديه؟

خرجت "أيولا" سريعًا من الحمَّام، وعادت لتقول لي إن لديه خمس ملاءات في الدُّولاب. عضضتُ على شفتيّ. نحتاج إلى الكثير، ولكنني خشيت أن تنتبه عائلته إلى أنه لا يمتلك سوى ملاءة واحدة هي المفروشة على سريره. بالنسبة لرجل عادي فتلك مسألة تافهة، ولكن بالنسبة لرجل معروف عنه الدِّقَّة والنظام، فهذه مسألة كبيرة. حتى إنه رتَّب كتبه في المكتبة أبجديًّا حسب أسماء مؤلفيها. وحمَّامه مُجهَّز تمامًا بكل لوازم التنظيف؛ حتى إنه ابتاع أنواع المُطهِّرات نفسها التي أبتاعها. ومطبخه يلمع كالفضَّة. شعرت بأن "أيولا" غريبة هنا؛ جرثومة في محيط شديد النقاء.

- اجلبي ثلاث ملاءات.

إثنان.. تُنظِّفان آثار الدِّماء.

مسحتُ الدَّم بمنشفة وعصرتها في الحوض. كرَّرت ذلك حتى تجِفَّ الأرضية. تحوم "أيولا" حولي، تستند على قدم واحدة، ثم على الأخرى. تجاهلت تَمَلْمُلَها. يستغرق التَّخلُّص من الجُثَّة وقتًا أطولَ بكثير من التَّخلُّص من روح الجُثَّة، خاصةً إن كنت تحرص على ألا تترك وراءك أيَّ دليل. ولكن عينيَّ ظلَّت ترمُق الجُثَّة التي أسندناها إلى الحائط. لن أتمكَّن من تنفيذ عملي على النحو الذي يُرضيني ما لم ننقل هذه الجُثَّة إلى مكان آخر.

ثلاثة.. تُحوِّلان الجُثَّة إلى مُومياء.

فرشنا الملاءات على الأرض الجافَّة الآن، ولففنا الجُثَّة فيها. حرصت على ألا ألمسه. يمكنني ملاحظة جسده مفتول العضلات أسفل "التيشيرت" الأبيض. بدا لي جسد رجل قادر على تحمُّل بضع طعنات. ولكن، ألم يكن ذلك هو حال "أخيل"، و"قيصر"؟ خجلت من تفكيري في أن الموت قد يخشى الحلول في جسد عريض المنكبين، مفتول العضلات. أيام ويتحوَّل كل هذا إلى عظام مُنسحقة. عندما دخلت المكان للمرَّة الأولى، بادرت بفحص نبضه.. ثلاث مرَّات.. ثم ثلاث مرَّات أخرى. ظننت أنه نائم، فقد بدت هيئته هادئة جدًّا. كان رأسه مُنحنيًا، وظهره مُقوَّسًا إلى الحائط، وساقاه معوجَّتين.. فحسب.

لهثت "أيولا" وهي تدفع الجُثَّة إلى منتصف الملاءات. مسحت العرق عن جبينها، وخلَّفت أثرًا للدَّم هناك. وضعت جانبًا من الملاءة فوقه، فأخفت جُثَّته عن ناظرينا. ساعدتها في لفّ، وربط الملاءات. ووقفنا نتأمَّلها. سألتني:

- ماذا الآن؟

أربعة.. تنقلان الجُثَّة.

كان من الممكن أن نستخدم الدَّرَج، ولكنني تخيَّلت منظرنا ونحن نلتقي أحد السُّكَّان بينما نحمل هذه المومياء. اخترعت في عقلي تفسيرات عديدة أقولها لمن يُحتمل أن نلتقيه.. "ننفذ مقلبًا في أخي. نومه ثقيل، ونحن ننقله إلى مكان آخر أثناء نومه".. "كلَّا..

كلَّا.. هذه ليست جُثَّة حقيقية.. أترانا مُجرمتين؟ هذا مانيكان"..

"يا رجل.. هذا شوال بطاطس".

تخيَّلت عيني الساكن(ة)/ الشاهد(ة) تتَّسعان خوفًا، بينما يركض (تركض) هربًا. كلَّا.. لا سبيل لاستخدام الدَّرَج.

- المصعد.

فتحت "أيولا" فمها لتسأل، قبل أن تهزَّ رأسها وتخرس. لقد فعلت ما عليها بالفعل، وتركت الباقي لي. حملناه. كان ينبغي أن أقوم بالتحميل على رُكبتيَّ، وليس ظهري. شعرت بصوت فرقعة في ظهري، وسقطت الجُثَّة من بين يدي من شدَّة الألم. قلبت أختي عينيها في فروغ صبر. هكذا عُدتُ لأحمل الجُثَّة من ناحيتي، وحملناه إلى مدخل الشَّقَّة.

اندفعت "أيولا" إلى المصعد، وضغطت الزِّرَّ، قبل أن تعود إليَّ وتحمل نصيبها من الجُثَّة. ألقيت نظرة على الرَّدهَة لأتأكَّد من عدم وجود أحد. انتابتني رغبة في أن أُصلِّي وأتوسَّل لأجل ألا ينفتح أيُّ باب في اللحظات التي قطعنا فيها المسافة من الشَّقَّة إلى المصعد، ولكنني متأكدة تمامًا من أن الرَّبَّ لا يقبل صلوات من هذا القبيل. لذلك قرَّرت الاعتماد بدلًا من ذلك على الحظِّ والسُّرعة. وصل المصعد في اللحظة المناسبة وفتح فمه يبتلعنا. لم ندخله قبل أن أتأكَّد من أنه فارغ، ووضعنا الجُثَّة في الرُّكن البعيد عن الباب.

- أوقفا المصعد، من فضلكما!

صاح أحدهما. رمقت بطرف عيني "أيولا" وهي تهم في برود بالضغط على الزِّرِّ الذي يوقف حركة المصعد الأزلية. ضربت يدها سريعًا، وأخذت أضغط على زِرِّ غلق الباب. وبينما ينزلق باب المصعد، لمحت خيبة أمل على وجه أُمٍّ شابَّة. شعرت ببعض الذنب؛ كانت تحمل رضيعًا على ذراع، وحقائب في اليد الأخرى، ولكنني لم أستغرق في ذلك الإحساس بما يكفي لأن أدخل السجن مدى الحياة. ثم.. ما الذي أخرجها من شقَّتها في ساعة

كهذه؟ ومعها رضيع؟

- مجنونة؟

همست لـ"أيولا"، رغم أنني حدست أن دافعها كان غريزيًّا، على غرار ذلك الذي دفعها إلى غرس السكين في هذه الجُثَّة.

- آسفة.

ابتلعت الكلمات التي كُنتُ أريد أن أوجهها لها. ليس هذا بالوقت المناسب.

وصلنا إلى الطابق الأرضي، وتركت "أيولا" داخل المصعد، تحرس الجُثَّة، وتُعطِّل حركته. في حال اقترب أحد منها، فعليها أن تغلق باب المصعد ليصعد بها إلى السطح. وإذا حاول شخص استدعاء المصعد من طابق آخر، فعليها أن تبقي باب المصعد مفتوحًا. ركضت لأحضر سيارتي، ثم قُدتها إلى الباب الخلفي للعمارة، حيث نقلنا عنده الجُثَّة من المصعد. توقَّف قلبي عن إلحاحه في الفكاك من صدري لحظة أن أغلقنا شنطة السيارة.

خمسة.. تعودان للتنظيف التام.

مزيدٌ من التَّنظيف



قـرَّرت إدارة المسـتشفى تغيير زِيِّ المُمَرِّضـات مـن الأبـيض إلى الوردي، وهذا لأن اللون تغيَّر من كثرة الاستخدام. ولكنني كُنت مُصِرَّة على ارتداء الزِّيِّ الأبيض لأنه لا يزال يبدو جديدًا للغاية وأنا أرتديه.

ولاحظ "تيد" ذلك.

- ما سر هذا البياض؟

سـألني وهـو يلمـس طـرف كُمِّي. شـعرت وكأنـه يلمـس بشـرتي؛ وحرارته تتدفَّق لتسري في جسدي. ناولته بيانات المريض التالي وأنا أحاول التفكير في طريقة تبقي الحوار مستمرًّا بيننا، ولكن الحقيقة أنه ليس في الحديث عن المنظفات أيِّ إيحاءات جنسية، إلا إذا كنت أغسل سيارة رياضية مرتدية قطعتي البكيني.

- الحل في "جوجل" دائمًا.

ضحك، ثم ألقى نظرة على الأوراق في يده، وغمغم في سخط:

- السيدة "روتينو"، ثانيةً؟

- أعتقد أنها تحب أن تأتي لتنظر في وجهك يا دكتور، ليس إلا.

نظر إليَّ وابتسم. حاولت أن أُبادله الابتسام بطريقة أداري بها توتُّري وجفاف فمي بعد أن نلت منه كل هذا الاهتمام. وتعمَّدتُ وأنا أخرج من الغُرفة أن أتقصَّع بخصري، بطريقة تعلَّمتُها من "أيولا".

- أنتِ بخير؟

سمعته يسألني ويدي على مقبض الباب، فالتفتُ إليه.

- نعم؟

- طريقة مشيتكِ غريبة.

- شدّ عضلي.

كسفة؛ بادرت بفتح الباب، وغادرت بخطوات مسرعة.

كانت السيدة "روتينو" جالسة على واحدة من الأرائك الجلدية العديدة في صالة الاستقبال بالعيادة. بالكاد تكفيها واحدة هي وحقيبة يدها، وأخرى مُمتلئة بلوازم الماكياج. تطلَّع إليَّ المرضى وأنا أتَّجِه نحوهم، وكل واحد فيهم يأمل أن يكون دوره قد حان. كانت السيدة "روتينو" تُلطِّخ وجهها بالبودرة، ولكن يدها توقَّفَت في الهواء وأنا أقترب منها.

- الدكتور جاهز لفحصي الآن؟

أومأت لها بنعم، فنهضت وهي تغلق علبة البودرة. أشرت لها أن تتبعني، ولكنها أوقفتني بيد على كتفي:

- أنا أعرف طريقي.

تعاني السيدة "روتينو" من السُّكَّري من النوع الثاني؛ بمعنى أنها

ما دامت تأكل بعقل، وتنقص وزنها، وتأخذ جرعة الإنسولين في موعـدها، فـلا يوجـد أيُّ سـبب يجعلنـا نراهـا كـل هـذه المـرَّات المُتوالية. ها هي ذي، تكاد تركض إلى مكتب "تيد". وأنا أعرف السبب. إنه قادر على أن ينظر إليك فتشعر أنك الشيء الوحيد المهم في حياته. إنه ينظر بعمق.. يُحدِّق.. يخترقك بعينيه.. وهو يبتسم.

عُدتُ إلى مكتبي، وألقيت حافظة الورق فوقه في سخط، حتى إن الصوت أيقظ "يينكا"، التي تنام وعيناها مفتوحتان، لا أعرف كيف. ونظرت "بونمي" إليّ في غضب لأنها كانت على التليفون مع مريضة.

- ماذا بكِ يا "كوريدي"؟ لا توقظيني إلا في حال كانت النيران تلتهم المكان.

- نحن في مستشفى.. لسنا في فندق.

همهمت بشـتيمة بينمـا كنـت أنـهض وأبتعد. لم أرد عليـها. كنت منشـغلة بـأمر آخر. ذهبت للبحث عن "محمد". كنت قد أرسلته للطـابق الثـالث منـذ سـاعة، وبالتأكيـد هـو لا يزال هناك، يُشـاغل "آسيبي"، ذات الشعر الأسود الطويلة والرموش الكثيفة، عاملة نظافة أخرى. بادرت بالابتعاد ما إن رأتني آتية في الممر. والتفت "محمد" إليّ.

- أنا كنت علـ...

- لا دخـل لـي بـهذا. هـل نظفـت نوافـذ الاسـتقبال بـالماء السـاخن والخل، كما طلبت منك؟

- أجل.. يا سيدتي.

- حسنًا.. أرني الخل.

اضطربت وقفته، وهو ينظر في الأرض محاولًا البحث فيها عن كذبة أخرى يغطي بها الكذبة التي تفوَّه بها للتَّوِّ. لم أتفاجأ بعجزه عن تنظيف النوافذ، هو نفسه غير نظيف.. أشم رائحته العطنة من

على بعد خمسة أمتار. ومن الأسفِ أنه ليس هناك بند في عقود العمل تسمح لك بفصل موظف لنتانة رائحته.

- لا أعرف من أين أشتري زجاجة خل.

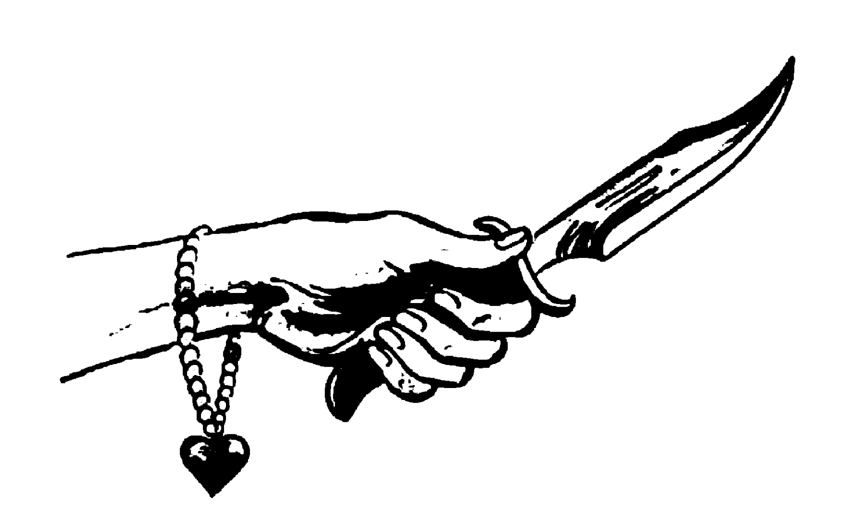
عرَّفته مكان محل، فسارع بالابتعاد وهبوط الدَّرَج، تاركًا دلو أدوات التنظيف في منتصف الممر. ناديت عليه ليأخذ أشياءه.

عُدتُ إلى الطابق الأرضي لأجد "يينكا" وقد نامت من جديد؛ وعيناها تُحدِّقان في اللا شيء، فتذكَّرت جُثَّة "فيمي". طردت الصورة من ذهني في ثانية، والتفت إلى "بونمي".

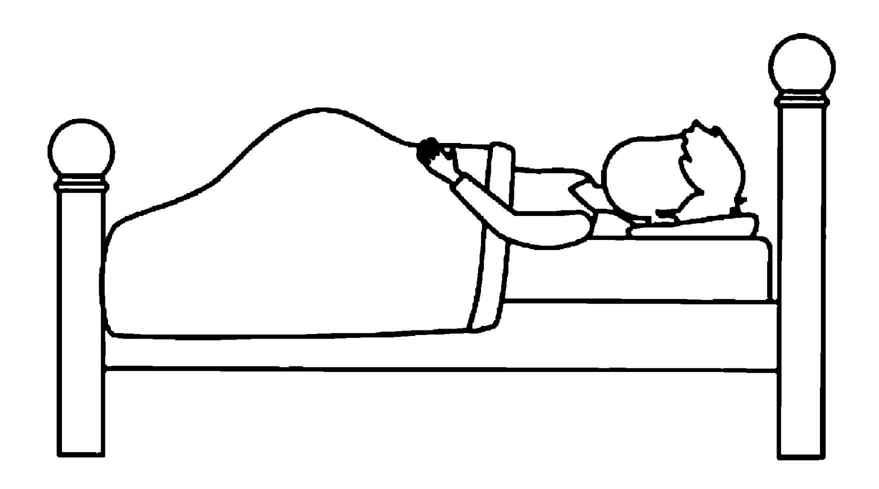
- هل خرجت السيدة "روتينو"؟

- كلَّا.

تنهَّدتُ في حيرة. هناك عديد من المرضى ينتظرون. وجميع الأطباء مشغولون الآن بمريضات ومرضى أصابهم داء الثرثرة. لو كان الأمر بيدي، لحددت لكل مريض وقتًا لا يمكنه أن يتجاوزه.



المريض



"مختار يوتاني".. هذا هو اسم مريض الغُرفة 313.

راقد في الفراش، تتجاوز قدماه طرفه. أطرافه طويلة، وجذعه نفسه طويل. كان نحيفًا عندما وصل إلى هنا، ومع مرور الوقت صار هزيلًا. وإن لم يعد إلى وعيه قريبًا، يكون قد انتهى.

رفعت الكرسي من جوار المنضدة عند ركن الغُرفة ووضعته وجلست عليه قُرب فراشه. وأسندت رأسي إلى يديَّ. أشعر أنه بدايات صداع.

ذكرت اسمه ذات مرَّة وأنا أتحدث مع "أيولا"، ولكن "تيد" هو الذي يشغل عقلي.

- أ.. أتمنى..

يريحني سماع صوت "تيت.. تيت" الرتيب كل بضع ثوانٍ يصدر عن جهاز القلب الموصل بجسده بلا يحرك "مختار" ساكنًا. هو في

هذه الغيبوبة منذ خمسة أشهر؛ تعرَّض لحادث سيارة وهو برفقة أخيه الذي كان يقودها. لم يصب أخوه إلا بأذى بسيط. التقيت زوجة "مختار" ذات يوم؛ ذكَّرتني بـ "أيولا". لا أقصد أن لها ملامح لا تُنسى، ولكن ما أقصده هو أنها مثلها، مغيبة تمامًا. سألتني:

- أليس من المكلف أن نبقيه في غيبوبته على هذا النحو؟

- أتريدين مِنِّي قطع الأجهزة عنه؟

- ما أريد أن أعرفه هو ما سأتحمله من تكاليف؟

- لقد عرفت أن هذه التكاليف تُسدَّد من أمواله.

- صحيح.. لكن.. أنا فقط..

- الأفضل أن تتمنِّي أن يستفيق عمَّا قريب.

- أجل.. هذا أفضل.

مرَّ وقت طويل على هذا الحوار، حتى إنني أعتقد أنها مسألة وقت بسيط قبل أن يقرر أولاده البتَّ في أمر حياته.

وحتى هذا الوقت، فهو يلعب دور المستمع الصادق والصديق الأمين.

- أتمنَّى لو أن "تيد" يراني يا "مختار".. يراني بحق.

حرارة



حرارة الجو قاتلة، وتجبرنا على أن نحدَّ من حركتنا لكي ندَّخر طاقاتنا. "أيولا" راقدة في الفراش ولا ترتدي إلا مشد وردي، وبكيني أسود. لا تحب الملابس الداخلية العادية. تتدلَّى ساقها من جانب السرير، وذراعها من الجانب الآخر. جسدها يحمل إغراء الموديلات اللاتي يظهرن في فيديو كليب الأغاني. يتناقض تمامًا مع سمات وجهها الملائكية. تتنهَّد بين حين وآخر.. ربما لتؤكد لي أنها لا تزال على قيد الحياة.

اتصلت بفني جهاز المكيف، الذي يصر في كل مرَّة على أنه سيصل في غضون عشر دقائق، على الرغم من أنني أتصل به منذ ساعتين. تأوَّهت "أيولا":

- أنا أحتضر هنا.

بادرت الخادمة بجلب مروحة، ووضعتها في وجه "أيولا"، كما لو كانت عمياء لم ترَ العرق الذي يتصبَّب فوق وجهي. برَّدت المروحة حرارة الغُرفة قليلًا.. جدًّا. نهضت بصعوبة من فوق الأريكة إلى الحمَّام. ملأت الحوض بالماء البارد وغسلت وجهي. حدَّقت في صفحة ماء الحوض المتموجة. تخيَّلت جُثَّة تطفو فوقها. هل خطر ببال "فيمي" أن مصيره سيكون راقدًا في المياه أسفل الجسر البري الرئيسي الثالث؟

لقد اعتاد هذا الجسر التعامل مع الموت.

منذ فترة ليست ببعيدة، سقط باص ممتلئ حتى أبوابه بالركاب من فوق الجسر مباشرة إلى أعماق البحيرة. ولم ينجُ أحد. وبعد الحادثة، صار سائقو الباصات ينادون على زبائنهم "مباشرة إلى أوسا! إلى أوسا مباشرة!".. "إلى قلب بحيرة أوسا مباشرة!".

دخلت "أيولا" الحمّام، وهي تنزل البكيني. تريد أن تتبوّل. جلست إلى قاعدة الحمّام، وهي تتنهّد في ارتياح بينما ينساب البول إلى قلب القاعدة السيراميك.

شددت سدادة الحوض وخرجت. الجو أشد حرارة من أن يحتمل شجارًا على الحمّام، أو حتى لكي أنبهها إلى أن هناك حمّامًا آخر في المنزل.

رقدت على الفراش، مستغلّة غياب "أيولا"، وأغلقت عينيّ. وها هو ذا. "فيمي"؛ التصقت صورة وجهه للأبد في مخيلتي. أجدني أفكر في شخصيته. سبق لي أن التقيت الآخرين قبل أن يفقدوا حياتهم، ولكن "فيمي" كان غريبًا لا أعرفه.

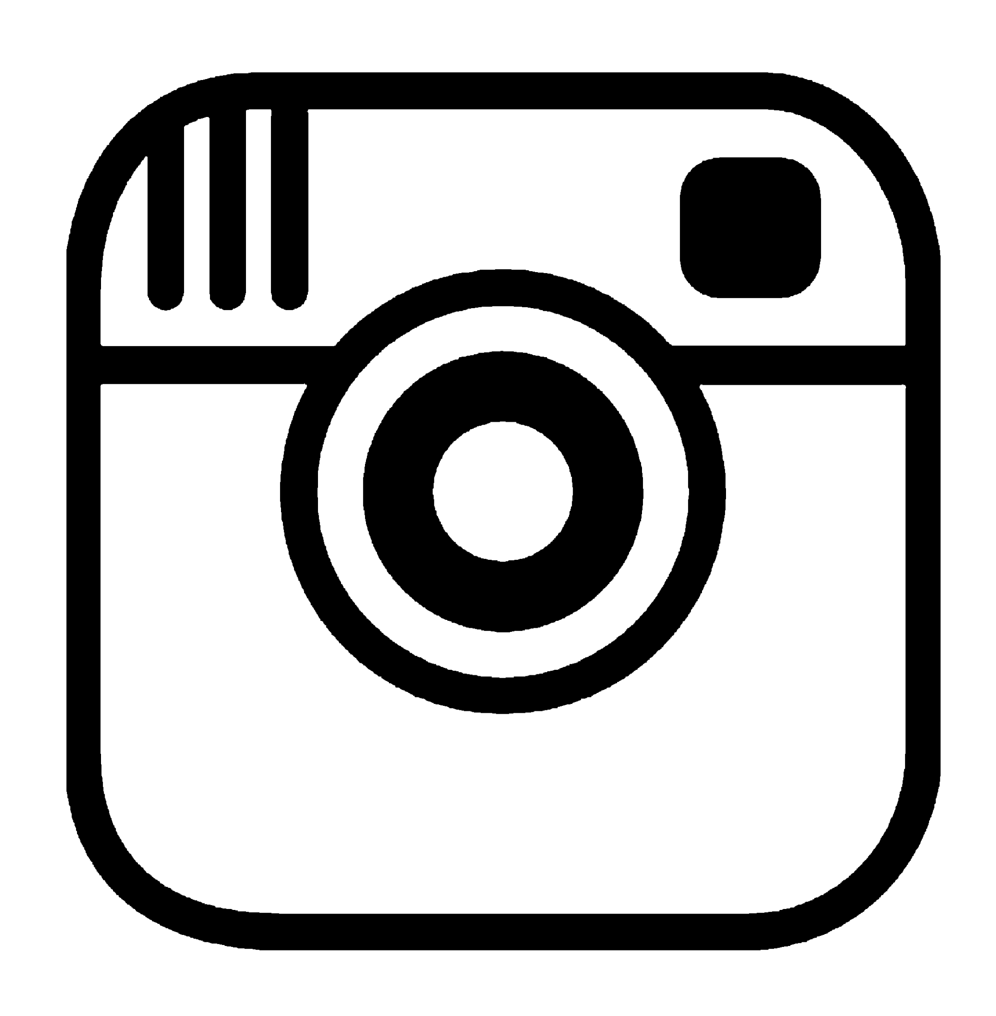
كنت أعرف أنها على علاقة برجل، فكل شيء كان يشير إلى ذلك؛ ابتساماتها الخجولة، ومكالمات آخر الليل. كان من اللازم أن أنتبه أكثر من ذلك. لو كنت التقيته فلربما كنت لاحظت طباعه التي زعمت أنها متقلبة. وربما أمكنني إبعادها عنه، حتى نوفر علينا كل هذا العناء.

سمعت صوت السيفون في اللحظة نفسها التي اهتزّ فيها موبايل "أيولا" إلى جواري. وخطرت لي فكرة. كان موبايلها محمي بكلمة سر. هذا إذا كنت تعتبر أن "1 2 3 4" كلمة سر. فتحته، وأخذت أتصفح صورها السيلفي، حتى عثرت على صورة له. فمه مغلق محايد، ولكن عينيه تضحكان. تبدو "أيولا" في الصورة جذّابة كالعادة، وتكاد طاقتها تفور من الشاشة. وجدتني أبتسم له.

- ما الذي تفعلينه؟

- لديكِ رسالة.

قلتها وأنا ألمس بإصبعي سريعًا أيقونة العودة إلى الشاشة الرئيسية.



إنستجرام

انتشــــــــر الهاشـــــــــتاج #FemiDurandIsMissing أو #فيمي_ديوراند_مفقود كانتشار النار في الهشيم. عرف الناس أن "فـيمي" مفقـود. واجتـذب منشـور بعينـه كـل الاهتمـام؛ منشـور

"أيولا". نشرت صورة تجمعهما، وقالت إنها آخر مَن رآه على قيد الحياة، وتوسَّلت لكل مَن يعرفه أن يتواصل معها إن كانت لديه معلومة يمكن أن تساعد.

كانت في غرفة نومي عندما نشرت ذلك، تمامًا كما هي الآن، ولكنها لم تفصح لي عن نيَّتها. تقول إنها لو سكتت فإنها ستشعر أنها بلا قلب؛ فقد كان صديقها رغم كل شيء. رَنَّ جرس موبايلها.

- آلو.

بعد دقائق، وجدتها تقترب مِنِّي وتلكزني.

- ماذا بكِ؟

كانت تكتم صوت سماعة الموبايل، وهي تهمس لي.. إنها أم "فيمي". كدت أفقد وعيي.. كيف تسنَّى لها أن تصل إلى رقم "أيولا"؟ فتحت "أيولا" صوت السماعة الخارجية.

- عزيزتي.. هل أخبركِ عن مشوار أو رحلة سيقوم بها؟

هززت رأسي بشدة.

- كلَّا.. ماما.. لقد تركته في وقت متأخر.

- إنه لم يذهب إلى العمل في اليوم التالي.

- إمممم.. كان عادةً ما يخرج ليتمشَّى ليلًا.

- أعرف... وكثيرًا ما حذَّرته بأن في ذلك خطرًا عليه.

انخرطت السيدة في البكاء. كانت مشاعرها من الصدق والقوة إلى حد جعلني أبكي بدوري؛ كتمت صوتي، ولكن دموعي حرقت أنفي ووجنتي وشفتيَّ. وبدورها، بكت "أيولا". هي تبكي كلما وجدتني أبكي. وأنا نادرًا ما أبكي.. وكذلك هي. بكت بصوت عالٍ وفج. ثم ساد صمت. قالت الأم بصوت مبحوح قبل أن تغلق الخط:

التفت إليها:

- ما الذي جرى لكِ؟

- ماذا؟

- ألا تشعرين بالمصيبة التي ارتكبتها؟ هل أنتِ مستمتعة بهذا؟

تناولت منديلًا وناولته لها، ثم تناولت منديلًا لنفسي.

- تنظرين إليّ هذه الأيام وكأنني وحش.

كان صوتها همسًا، سمعته بصعوبة.

- أنا لا أعتقد أن..

- أنتِ تلومين الضحية.

ضحية؟ هل هو من قبيل الصدفة أن جسد "أيولا" لا يحمل أيّ علامة على حوادثها السابقة مع الرجال؛ ولا حتى كدمة بسيطة؟ ما الذي تريده مِنّي؟ ما الذي تريد مِنّي أن أقوله؟ أحصيت الثواني؛ لو أنني انتظرت أطول من ذلك قبل أن أرد، فسيكون هذا ردًا في حد ذاته، ولكن الباب انفتح لينقذني. كانت أمي، ويدها تمسك بقُبّعة.

- امسكي هذه.

نهضت، وأمسكت بها. وقفت هي أمام مرآتي. عيناها الصَّغيرتان تتوهان في أنفها العريض وشفتيها الممتلئتين، في تناقض مع وجهها البيضاوي النحيل. تضع أحمر شفاه يزيد من حجم فمها. أنا صورة طبق الأصل منها. حتى أن لدى كلٍّ منا شامة أسفل العين اليسرى. لقد تفاجأت أُمّي بحسن وجمال "أيولا"، حتى إنني أشعر أحيانًا أنها تعتبرها ظاهرة تستحق الدهشة. وكانت ممتنة لذلك للغاية لدرجة أنها نسيت الاستمرار في محاولات أن تنجب صبيًّا.

- سأحضر زفاف ابنة "سوبي". لا بد أن تحضرا أنتما أيضًا. ربما تتعرّفان إلى أحد هناك.

- كلَّا.. شكرًا.

بينما ابتسمت "أيولا" وهي تهزُّ رأسها في رفض. وغمغمت أمنا أمام المرآة في تبرُّم.

- "كوريدي".. تعرفين أن أختكِ ستذهب لو أنكِ ذهبت.. ألا تريدين لها أن تتزوج؟

كدت أُصدِّق أن "أيولا" هي تلك الفتاة المطيعة. رأيت ألا أرد على كلام أُمِّي غير المنطقي، وألا أعلق على كونها مهتمة بمصلحة "أيولا" أكثر من مصلحتي. وكأن الحب للجميلات وحدهن.

هي لم تعرف الحب. وكل مَن عرفتهم كانوا يرغبون في التعرف إليها لأن والدها رجل سياسة مرموق، وفي القرب منها مصلحة.

تأكدت أُمِّي أخيرًا من حسن وضع القُبَّعة فوق رأسها الصَّغير. حركت رأسها يُمنةً ويُسرةً، ولكنها سخطت من هيئتها على الرغم من القُبَّعة والمجوهرات الغالية والماكياج الذي وضعته بلمسات خبيرة.

نهضت "أيولا" ولثمت وجنتها.

- كم أنتِ أنيقة!

ما دامت قد قالت ذلك فلا بد أن تصدقها أُمُّها؛ في تلك اللحظة ملأها الفخر وارتاحت أعصابها.

- دعيني ألتقط صورة لكِ.

سحبت "أيولا" موبايلها وبدأت تصورها. اتخذت أُمِّي عشرات الوضعيات لتلك الصور، بتوجيه من "أيولا"، قبل أن تتصفحا معًا تلك الصور لتختار الصورة الأفضل؛ صورة أُمِّي في جانب من وجهها ويدها على خصرها ورأسها إلى الوراء تضحك. صورة لطيفة. انشغلت أصابع "أيولا" فوق الموبايل، فبادرتها:

- ماذا تفعلين؟

- أرفع الصورة على "الإنستجرام".

- مجنونة أنتِ؟ أم أنكِ نسيتِ منشوركِ السابق؟

تساءلت أُمِّي:

- أيُّ منشور سابق؟

سرت قشعريرة في جسدي. إحساس صرت معتادة عليه مُؤخَّرًا. وتطوعت "أيولا" بالرد:

- أأأ.. "فيمي" مفقود.

- "فيمي"؟ ذلك الولد اللطيف الذي كنتِ تلتقينه؟

- أجل.. ماما.

- "*جيسو سانو فونا وا!*" ولماذا لم تخبريني؟

- أأأ.. كنت مصدومة.

هرعت أُمِّي إلى "أيولا" واحتضنتها.

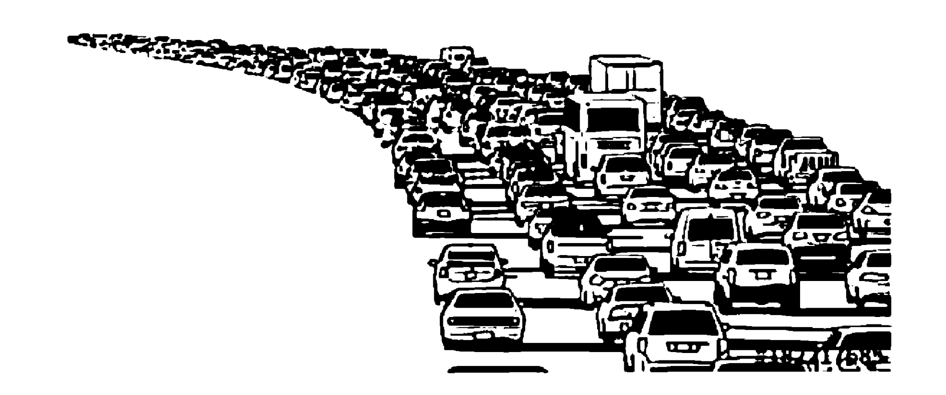
- أنا أُمكِ.. لا تُخبئي عنِّي أيّ شيء. أتفهمين؟

- طبعًا.. ماما.

لكن هذا غير ممكن بالطبع.. لا يمكنها أن تخبرها..

بكل شيء..

مرور



جالسة في سيارتي، أُداعب المقبض، وأتنقَّل بين محطات الراديو قتلًا للوقت. زحام المرور يقتل هذه المدينة. على الرغم من أننا ما زلنا في الخامسة والربع صباحًا، فإن سيارتي عالقة وسط سيارات كثيرة على الطريق. تعبت قدمي من ضغط دواسة الفرامل كل بضع ثوانٍ.

رفعت ناظري عن الراديو لتقع عيناي على عينيَّ أحد ضباط إدارة مرور "لاجوس"، الذي كان يحوم حول طابور السيارات المتوقفة، بحثًا عن فريسة جديدة. لمحني، فاتجه نحوي بوجه ساخط.

سقط قلبي في قلب السيارة، ولا وقت لديَّ لالتقاطه من جديد. تشبَّثت أصابعي بمقود السيارة حتى أكتم تلك الارتجافة في يديَّ. أعلم أنه لا يقترب مِنِّي بخصوص "فيمي". مستحيل أن يكون لذلك علاقة بـ"فيمي". شرطة "لاجوس" لم تبلغ بعد ذلك الحد من الكفاءة. فمَن يُناط بهم حماية شوارعنا مشغولون باستنزاف جيوب الشعب بكل الطرق، واعتبار تلك الأموال حوافز يرممون بها جدران رواتبهم المتهالكة. مستحيل أن يكونوا في مُهِمَّة البحث عنَّا.

كما أن هذا ضابط مرور. وأقصى مُهِمَّة يمكن أن تُوكل إليه هي مطاردة مَن يتجاوز إشارة مرور حمراء. هذا على الأقل ما طمأنت به نفسي وأنا أوشك على فقد وعيي.

طرق الرجل زجاج النافذة. أنزلتها بضعة سنتيمترات؛ بما يكفي لتفادي غضبه، ولكن بما لا يسمح ليده باقتحام سيارتي.

أسند يده على سقف السيارة وهو يميل نحوي، كما لو كُنَّا صديقين يدردشان. كان قميصه الأصفر ضيقًا على جسده، وكذلك بنطلونه البيج حول فخذيه، لدرجة أنني شعرت بالاختناق. اليونيفورم المهندم مرآة لصاحبه ودليل على احترامه لمهنته؛ هذا ما يُفترض منه على الأقل. عيناه سوداوان، وكأنهما بئران عميقتان في قلب صحراء، وهو في خفة وزن "أيولا". تفوح منه رائحة المنثول.

- أتعلمين لماذا أوقفتكِ؟

كدت أخبره أن المرور متوقف بالفعل، ولكن ضعف موقفي واضح لأي غبي. لا مفر ولا مهرب.

- كلَّا.. سيدي.

رددت بأقصى حلاوة صوت ممكنة. من المؤكد أنه لو كانوا يبحثون عنَّا فإنهم لن يرسلوا ضابط مرور، وليس هنا. من المؤك..

- حزامكِ. أنتِ لا ترتدين حزام الأمان.

- أوه..

تنفَّست الصعداء بعض الشيء الآن. تحركت السيارات أمامي بضعة سنتيمترات، ولكنني مُجبرة على الوقوف مكاني.

- الرخصة، وورق السيارة، من فضلكِ.

ملعونة أنا لو أعطيت هذا الرجل رخصتي. سيكون ذلك بمثل حماقة أن أسمح له بدخول سيارتي.. فعندئذٍ سيكتشف كل شيء. لم أرد عليه من فوري، فحاول فتح الباب، وغمغم ساخطًا عندما وجده محكم الإغلاق. اعتدل في وقفته، وقد تحفَّزت لديه كل أسباب نظرية المؤامرة.

كنت لأتشاجر معه في الظروف العادية، ولكن من الغباء أن ألفت الأنظار إليَّ الآن، وخاصة أنني أقود سيارة تنقل "فيمي" إلى مثواه الأخير. تسمَّرت عيناي على بُقعة أمونيا كانت على حذائه. قلت بكل جدِّية ممكنة:

- حسنًا.. هوِّن عليك.. كان خطأ. ولن يتكرر.

تعمَّدت أن أخاطب بكلماتي عقله. فلا شيء يغضب أمثاله مثل امرأة مثقفة، وتعمَّدت أن أتكلم بإنجليزية متعثرة، ولكنني شعرت أن محاولتي لم تفلح.

- افتحي الباب!

كانت السيارات تتحرك من حولي. عطف عليَّ البعض بنظرات شفقة، ولكن لم يفكر أحدهم في التوقف لمساعدتي.

- حسنًا.. نرجو أن نتحدث بهدوء، وسنتفاهم.

تخلت كرامتي عنِّي لحظتها. ولكن ماذا بيدي لأفعله؟ لو كُنَّا في ظروف أخرى لصحت فيه ونعتُّه بالمحتال المجرم، ولكنها أفعال "أيولا". عقد الرجل ذراعيه، غاضب، ولكنه مستعد لسماعي.

- أنا لن أكذب عليك، ولكن ليس معي الآن كثير من المال. ولكنك إذا ما...

- هل طلبت منكِ أيَّ مال؟

حاول مجددًا مع مقبض الباب، كما لو أنني فتحت قفله مثلًا! اعتدل وأسند يديه إلى خصره. صاح فيَّ بغضب.

فتحت فمي، وسرعان ما أخرسته دون كلام. بقيت أُحدِّق فيه.

- افتحي باب السيارة، وإلا ذهبنا معًا إلى قسم الشرطة.

نبضات قلبي تدوِّي في أذنيَّ. لا يمكن أن أُخاطر باحتمال أن يفتشوا السيارة.

- حسنًا.. أرجوك.. لنسوِّ هذا الموضوع بيني وبينك.

وجدته يومئ برأسه، ويتلفت حوله، قبل أن يسألني:

- كم؟

أخرجت ثلاثة آلاف نيرة من محفظتي، وأنا أتمنى أن يكون المبلغ كافيًا ويقبله بسرعة. لمعت عيناه، ولكنه بقي ساخطًا:

- هذا هراء!

- كم تريد؟

لعق شفتيه، فصارتا تلمعان.

- أنتِ تستهينين بي؟

- أبدًا، سيدي.

- إذًا أعطيني ما يساوي قدري.

تنهَّدت بلا حيلة. ولمحت كرامتي وهي تُودِّعني للأبد، بينما أُضيف على المبلغ ألفي نيرة أخرى. تناولها مِنِّي وهو يومئ في لا مبالاة.

- ارتدي حزام الأمان، ولا تنسيه مرَّة أخرى.

ابتعد عن سيارتي، وأنا أحكم وضع حزام الأمان..

.. وتوقَّف جسدي عن الارتجاف.

استقبال



دخل رجلٌ المستشفى واتَّجه مباشرة إلى مكتب الاستقبال. قصير، ولكنه يعوض ذلك بجسد عريض. كان يقترب سريعًا، فأخذت حذري.

- لديَّ موعد!

استقبلته "يينكا" بأفضل ابتسامة لديها:

- صباح الخير، سيدي.. اسمك؟

ألقى عليها باسمه، فبدأت تقلب في الملفات ببطء. لا يمكنك أن تستعجل "يينكا"، وهي تتعمد التباطؤ لو أن أحدنا استعجلها. بدأ الرجل يتململ. رفعت عينيها ونظرت إليه عبر رموشها الكثيفة، قبل أن تخفضهما مجددًا وتواصل البحث. الرجل على وشك أن ينفجر. فكَّرت في التدخل لتهدئة الموقف الساخن، ولكنني رأيت أن أتركها له، وجلست على مقعدي أراقب ما يجري.

ومض موبايلي في صمت، فرمقته. إنها "أيولا". هذه هي ثالث مرَّة تتصل فيها، ولكنني لستُ في مزاج يسمح لي بالتحدث معها. ربما تتصل بعد أن أرسلت برجل آخر إلى العالم الآخر قبل أوانه، أو ربما هي تريد مِنِّي شراء طبق بيض وأنا في الطريق إلى المنزل. وفي كلتا الحالتين، لن أرد.

- آه.. ها هو ذا.

صاحت "يينكا" في جذل، على الرغم من أنني رأيتها وهي تتعمد تجاهل هذا الملف بالذات مرَّتين أثناء بحثها وكأنها لا تراه. وتنفَّس الرجل الصعداء.. بقوة.

- سيدي.. لقد تأخَّرت نصف ساعة عن موعدك.

- ماذا؟

هذا الصباح أهدأ من المُعتاد. يمكننا من مكاننا رؤية كل مَن هم في قاعة الانتظار. هي على شكل قوس، ومكتب الاستقبال والأرائك في مواجهة مدخل المستشفى وشاشة تليفزيونية كبيرة. لو أننا خفضنا الإضاءة، لصرنا في قاعة سينما. الأرائك بلون أرجواني كثيف، أما بقيَّة الأشياء في المكان فهي بلا لون.. (لا أعتقد أن مصمم الديكور كان يقصد من ذلك أن يوسع آفاق العاملين والزوار). لو أن للمستشفيات علمًا، لكان لونه أبيض؛ اللون العالمي للاستسلام.

ركضت طفلة من غُرفة الألعاب إلى أمها، ثم عادت تركض إلى الغُرفة من جديد. لا يوجد مرضى الآن سوى هذا الرجل الذي ينال من أعصاب "يينكا". أزاحت خصلة من شعرها الخشن المجدول على طريقة نساء ليبيريا، وهي تُحدِّق في وجه الرجل.

- هل تناولت طعامًا اليوم يا سيدي؟

- كلَّا.

- حسنًا.. جيد. حسب أوراقك، فإنك لم تقم بتحليل سكر الدَّم منذ فترة. أتودُّ أن تُجريه؟

- أجل. بكم هو؟

أخبرته بالسعر، فتعجب.

- أنتم سُذَّج. وما حاجتي لهذا التحليل؟ أنتم تحددون السعر على مزاجكم!

رمقتني "يينكا". أعلم أنها تريد التأكد من أنني لم أتركها وأبتعد. وهي تعرف أنها لو قررت الارتجال فستجدني أسمعها خطبتي المكررة عن سلوكيات المهنة ورُقيِّها. لذلك ابتسمت وهي تعضُّ على شفتيها.

- لن نجري التحليل إذًا يا سيدي. تفضل بالجلوس، وسأبلغك عندما يقرر الطبيب رؤيتك.

- أتقصدين أنه مشغول الآن؟

رمقت ساعتها، وهي تجيبه في برود:

- كلَّا. ولكن من المؤسف أنك متأخر حوالي.. أربعين دقيقة الآن. عليك أن تنتظر حتى يفرغ الطبيب من مرضاه.

اتَّجه الرجل إلى مقعد وهو يهزُّ رأسه حانقًا، ثم جلس وانشغل بما يعرضه التليفزيون. وما هي إلا دقيقة حتى طلب منَّا تغيير القناة. شتمته "يينكا" بصوت خفيض، وهو لم يسمعها بالطبع خصوصًا مع الجلبة التي تصنعها الطفلة في غُرفة الألعاب والصوت المميز لمُعلِّق مباراة كرة القدم على الشاشة.



رقص

هنـاك موسـيقى تصـدح مـن غُرفـة "أيـولا". تسـمع أغنيـة "وتنـي هيوسـتن"؛ "أريـد أن أرقـص مـع أحـد". المناسـب أكثـر أن تشـغل أغــاني المغنــي النـيجيري "بـريمو"، أو النيوزيلانـدية "لـوردي" الحزينة، وليس هذه الأغنية التي تُذكِّرني بشوكولاتة الـ"إم آند إمز".

أريد أن آخذ حمَّامًا، يزيل عنِّي رائحة المُعقِّمات في المستشفى، ولكننــي بـدلاً مـن ذلـك رحـت وفتحـت بـاب غُرفتـها. لـم تشـعر بوجودي؛ ظهرها لي وهي ترقص، وتضرب بقدميها الحافيتين السجادة البيضاء ذات الفراء. حركاتها ليست إيقاعية أبدًا؛ هي حركـات شـخص يعـرف أنـه بـلا جمـهور، وبـلا ضـمير. منـذ أيـام تخلَّصنا من رجل في البحر، ولكن ها هي ذي.. ترقص!

استندت إلى الباب أراقبها، في محاولة بائسة لفهم تلك الآلية

التي تدير عقلها. تبقى غامضة بالنسبة لي تمامًا مثل تلك اللوحات التي تعتبرها فنًا وتعلقها في أنحاء جدران غُرفتها. كان لها صديق فنان، لوحاته عبارة عن ضربات فُرشاة باللون الأسود على سطح أبيض. أتعجب من وجود هذه اللوحات في غُرفتها ذات الأثاث الأبيض، والتي تتناثر فيها الدُّمى من كل حجم ولون. كان من الأفضل أن يقدم لها لوحات ملاك أو جنية سحرية. في ذلك الوقت، كان يأمل في أن تساعده هداياه الفنية في أن يحتل مكانة لائقة في قلبها، أو على الأقل مكانًا في فراشها، ولكنه كان قصير القامة، وأسنانه ذات منظر بشع داخل تجويف فمه. لذلك، لم يحصل مقابل لوحاته إلا على تربيتات عطف على رأسه، وعلبة كوكاكولا. بدأت تغني؛ صوتها نشاز جدًّا. لدرجة أنني تنحنحت.

- "أيولا".

التفتت إليّ، ولم تتوقف عن الرقص، بل ابتسمت وهي تسألني:

- ما أخبار العمل؟

- على ما يُرام.

زادت وتيرة تراقصها:

- حسنًا.. اتصلت بكِ.

- كنت مشغولة.

- كنت أريد أن أمُرَّ عليكِ وأصطحبك للغداء.

- شكرًا، ولكنني أتناوله في العمل عادةً.

- حسنًا.

- "أيولا".

- نعم؟

- ربما ينبغي عليّ أخذ السكين.

عندئذٍ، تباطأت حركاتها حتى انحسرت إلى مجرد تمايل بسيط.

- ماذا؟

- قلت ربما عليَّ أن آخذ السكين.

- لماذا؟

- حسنًا.. أنتِ لستُ بحاجة إليها.

فكَّرَتْ في كلامي. لم يستغرق الأمر منها سوى الوقت نفسه الذي تحترق فيه ورقة.

- كلَّا، شكرًا، أنا أُريدها.

تسارعت حركات رقصها، وهي تبتعد عنِّي. قرَّرت أن أُجرِّب أسلوبًا مختلفًا. تناولت "الآي بود" وخفضت صوته. صاحت في سخط:

- ماذا تريدين الآن؟

- ليس من الحكمة أن تبقيها معكِ، تحسبًا لأن تأتي الشرطة لتفتش المنزل في أيِّ وقت. ألقيها في البحيرة وحسب.. حتى تحمي نفسكِ من الشرطة.

عقدت ذراعيها، ونظرت إليَّ بعيني شك. بقينا ننظر لبعضنا بعضًا لحظات، قبل أن تتنهَّد في تسليم.

- هذا السكين مُهِمٌّ بالنسبة لي يا "كوريدي"؛ هو كل ما تبقَّى لي من رائحته.

ربما اكتسبت كلماتها العاطفية أيَّ منطق لو كان مَن يسمعها أيَّ إنسان سواي، ولكنها لا يمكن أن تخدعني. رغم ذلك، أحسدها على هذه المقدرة الرهيبة على تبديل العواطف.

سألت نفسي: أين يمكن أن تدس السكين؟ لم يسبق لي أن رأيتها، إلا في تلك اللحظات التي كنت أُحدِّق خلالها في جُثَّة تنزف قبالتي ما أعجز عن تخيلها وهي تطعنه؛ وأشعر أن السبب

كان السكين، وليس هي. السكين هو الذي تعمَّد قتله. أهذا تفكير يصعب الاقتناع به؟ ألا يقولون عن السكين إنه سلاح قد يطول؟ أليس كل شيء ينطوي على قُدرة كامنة فيه؟



الأب

لقد ورثت "أيولا" السكين منه؛ من أبينا.

وأقصد بـ"ورثت" هنا أنها أخذته من متعلقاته.. رائحته.. قبل أن يُواري التراب جسده. وكان من المنطقي أن تأخذه؛ فقد كان فخورًا بذلك السكين دومًا.

يحرص على سنِّه وحفظه داخل دُرج. كان يخرجه ليتباهى به أمام ضيوفه. يحمل نصله المقوس الطويل بين أصابعه، وهو يلفت أنظارهم إلى ذلك النقش الأسود الذي يشبه الفاصلة في مقبضه العظمي. يحكي حكايته.. حكاية جديدة في كل مرة.

تارة يكون السكين هدية من زميل في الجامعة؛ أعطاه "توم" له تقديرًا لأنه أنقذ حياته خلال حادث قارب. وتارة اختطفه من يد

جندي حاول أن يقتله به. ومرَّة.. وهذه هي حكايته المفضلة.. كان السكين هدية وتحية من شيخ ثري عقد معه صفقة ناجحة لدرجة أن الشيخ خيَّره بين أن يتزوج ابنته، وأن يأخذ السكين الذي كان آخر تحفة يصنعها حرفي فنان. ولأن ابنة الشيخ كانت تعاني من "كسل العين"، قرَّر أبي أن يحصل على السكين.

كان يقص حكاياته عن السكين لنا قبل النوم. وكنا نسعد في اللحظة التي يُخرِج فيها السكين بطريقة تجعل ضيوفه يصرخون هلعًا في كل مرَّة. فيضحك وهو يطلب منهم تفحص السكين. كنت أراقب مشاعر الفخر التي تعتري وجهه وهو يسمع منهم آهات الإعجاب. وفي النهاية، يأتيه من أحدهم السؤال المنتظر:

- من أين حصلت عليه؟

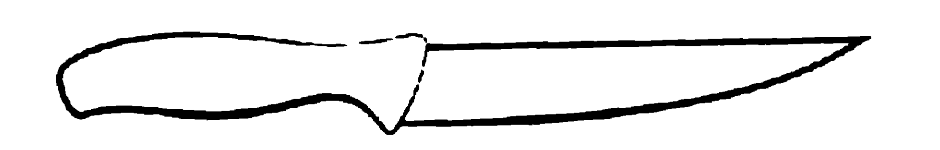
لحظتها، كان ينظر إلى السكين وكأنها المرة الأولى التي يراه فيها، ويقلبه حتى يلمع النصل تحت الضوء، قبل أن يخترع القصة التي يعرف أنها ستحدث أقوى أثر ممكن في ضيوفه.

وبعد أن ينصرف الضيوف، يعكف على تلميع السكين بقطعة قماش خاصة، وقنِّينة زيت الموتور الصَّغيرة، وكأنه يمسح عن السكين آثار أيادي ضيوفه. كنت أراقبه وهو يقطر من القنِّينة قطرات زيت بسيطة فوق النصل، ثم يمرره على كل جزء بإصبعه في حركة دائرية حريصة. لم أجد منه كل هذه الرقة إلا في تلك اللحظات مع السكين. كان يفعل ذلك بمزاج وعلى مهل، على الرغم من أنه كان مدركًا لوجودي على مقربة منه. كنت لا أفارقه في لحظات كتلك، إلا عندما كان ينهض ليشطف الزيت عن السكين. كنت أحرص على الابتعاد، تحسبًا لأن يتعكر مزاجه من جديد.

ذات مرَّة، ظنَّت "أيولا" أنه خرج وسيغيب عن المنزل بقيَّة النهار، فدخلت مكتبه ووجدت ذلك الدُّرج مفتوحًا. أخرجت السكين، ولم تنتبه إلى أنها لطخت النصل بآثار شوكولاتة كانت في يديها. لم تكُن قد خرجت من المكتب بعد عندما عاد أبي من الخارج. سحبها من شعرها بكل قسوة، وهو يصرخ. التفتُّ أنظر، فوجدته

يسحلها عبر أرضية الصالة.

لم أندهش عندما عرفت أنها احتفظت بالسكين. فلو أنني تذكَّرته قبلها، لكنت حطمته بمطرقة فولاذية.



سكين

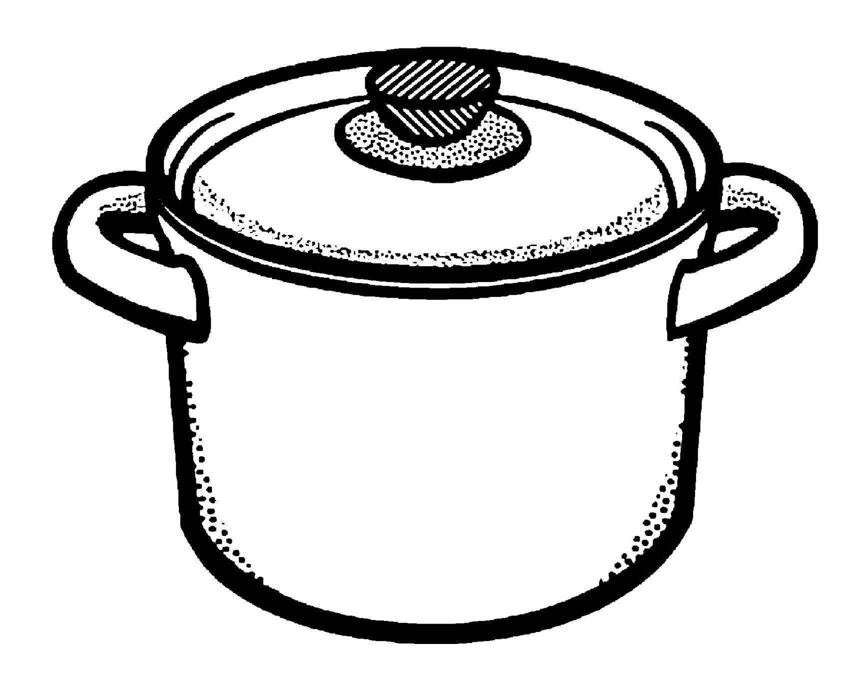
ربما تحتفظ به أسفل الفراش؟ أو في دولاب الأدراج الصَّغير؟ ربما في قلب كومة ملابس في خزانتها؟ تابعتني عيناها وأنا أجوب الغُرفة.

- أتفكِّرين في الدخول هنا وأنا غير موجودة لتعثري عليه؟

- أنا لا أفهم سبب تمسككِ به. من الخطر أن تُبقي هذا السكين في المنزل. أعطيني إياه، وأنا سأحتفظ لكِ به.

تنهَّدت في فروغ صبر وهي تهزُّ رأسها غير مقتنعة.

" إي فو "



لم أرث أيَّ شبه من أبي. وكلما نظرت إلى أمِّي، عرفت هيئة وجهي في المستقبل، على الرغم من أنني لا أشبهها في الطباع حتى ولو حاولت.

قابعة هي فوق الأريكة في غُرفة المعيشة بالطابق الأرضي، منشغلة في قراءة واحدة من روايات دار "ميلز آن بون"؛ تلك الروايات الرومانسية عن الحب الذي لم تعرفه. إلى جوارها، تجلس "أيولا" إلى مقعد، تعبث في موبايلها. مشيت إلى جوارهما نحو المطبخ. سألتني أمِّي:

- أتعدِّين طعامًا؟

- أجل.

- هلَّا علمتِ أختكِ يا "كوريدي"؟ كيف ستعتني بزوجها إن لم تكُن تجيد الطهي؟

تبرَّمت "أيولا"، ولكنها لم ترد. إنها لا تمانع من وقوفها في المطبخ؛ فهي تحب أن تتذوق كل ما تقع عليه عيناها.

في منزلنا، أقوم أنا والخادمة بالطهي، وكذلك أُمِّي، ولكنها لم تعد تطبخ بالقدر نفسه عندما كان أبي حيًا. أما "أيولا".. أعتقد أنه سيكون من المثير أن أكتشف أنها تجيد أيَّ شيء سوى تحميص التوست.

- لا مانع لديَّ.

نهضت "أيولا" وتبعتني.

كانت الخادمة قد جهزت كل ما أحتاج إليه فوق الطاولة؛ مغسول، ومقشَّر، ومُقطَّع. يعجبني أداؤها؛ فهي نظيفة ومُرتَّبة وهادئة، ولكن أهم شيء أنها لا تعرف أيَّ شيء عنه؛ عن والدي. غيَّرنا طاقم الخَدَم كله بعد وفاته، لأسباب "عملية". أمضينا عامًا من دون خَدَم، وهو أمر صعب في منزل بهذا الحجم.

الدجاجة على النار بالفعل. رفعت "أيولا" الغطاء فتطايرت رائحة الدَّسم المُمتزج بمُكعَّبات المرق، تعبق المكان. تلذَّذت بالرائحة. عرضت عليَّ الخادمة أن أتذوَّق الحساء، ولكنني شكرتها. فقالت "أيولا":

- ربما يمكنني أن أساعدكِ في تذوقه والتأكد من أن الدجاجة جاهزة.

- الأفضل أن تساعدي بتقطيع السبانخ.

- ولكنها مُقطَّعة بالفعل.

- أحتاج إلى مزيد منها.

سارعت الخادمة بالذهاب لإحضار حزمة سبانخ أخرى، ولكنني أوقفتها.

- كلَّا، دعي "أيولا" تُحضرها.

تنهَّدت "أيولا" بطريقة مسرحية، ولكنها أخرجت حزمة سبانخ إضافية. تناولت سكينًا، فظهرت في مخيلتي صورة "فيمي" الراقد في الحمَّام، وبيده تحاول الوصول إلى مكان الطعنات

وكأنها محاولة يائسة لإيقاف تدفق دمه. كم مرَّ عليه من وقت قبل أن يموت؟ لاحظت أن قبضتها على السكين مرتخية، وأن سن النصل مُوجَّه للأسفل. قطَّعت السبانخ بإيقاع سريع مُرتبك، وهي تتعامل مع السكين وكأنها طفلة، من دون اعتناء بالمنظر النهائي لهذا التقطيع. قاومت رغبة في أن أطلب منها أن تتوقف عن تخريب السبانخ.

كتمت الخادمة ضحكة. وراودني الشك في أن "أيولا" تتعمَّد أن تتصرَّف على هذا النحو حتى تغيظني فحسب. وقرَّرت أن أتجاهلها، ورُحت أصبُّ زيت النخيل في إناء، ومن ثم أضع البصل والفلفل، وبدأت التحمير.

- "أيولا"، هل تُراقبين ما أقوم به؟

- إممم.. همم.

كانت تميل بجذعها إلى الطاولة وتعبث من جديد في موبايلها. والسكين في يدها الأخرى. رُحتُ إليها وأخذت منها السكين. قلت لها:

- ركِّزي معي، بعد ذلك نضيف الفلفل الأحمر.

- فهمت.

ما إن أدرت لها ظهري، حتى سمعت صوت أناملها فوق لوحة مفاتيح الموبايل. كدت أُوبِّخها، ولكن قطرات الزيت الساخنة بدأت تتطاير نحوي. خفضت نار الموقد، وفضلت أن أتجاهل وجود أُختي مؤقتًا. لو أنها تريد أن تتعلم فستتعلم.

- ما الذي نطهوه اليوم؟ لقد نسيت.

حقًّا!

أجابتها الخادمة:

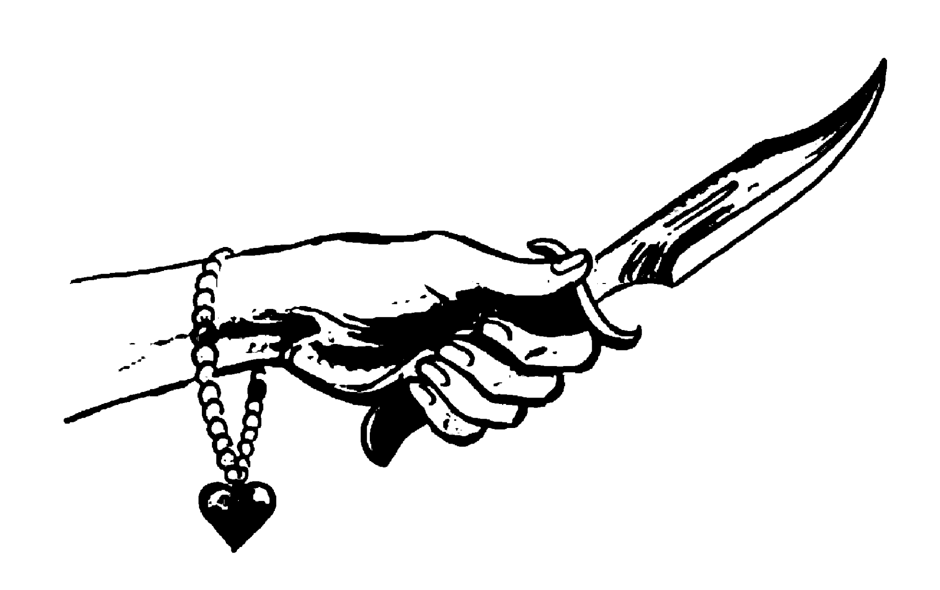
- "إي فو".

أومأت "أيولا" برأسها، وقرَّبت موبايلها من الإناء، لحظة كُنتُ أضيف السبانخ.

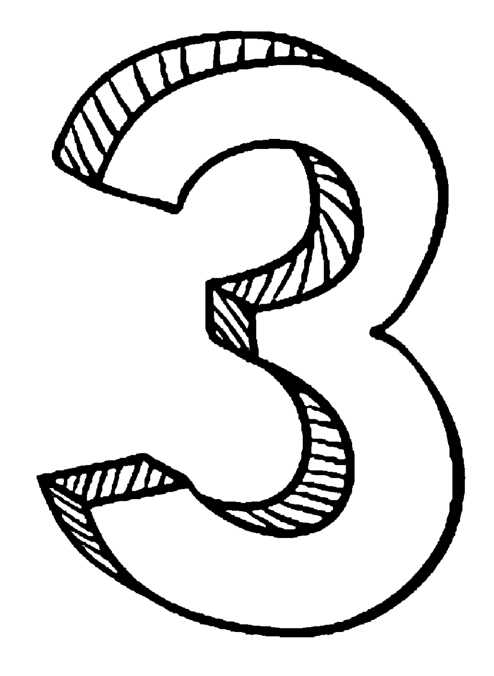
- مرحبًا.. ها نحن نُعِدُّ "الإي فو".

تسمَّرتُ في مكاني لحظة، والسبانخ لا تزال في يدي. هل تقوم حقًّا برفع فيديو على "سناب شات"؟ خطفت الموبايل من يدها، وضغطتُ على زر الحذف، وتلطَّخت الشاشة بآثار الزيت في يدي.

- ماذا؟!



- مبكرًا يا "أيولا"، مبكرًا جدًّا على هذا.



"فيمي هو الثالث؛ وبعد الثالث تصبح قاتلة متسلسلة".

همست بالكلمات تحسُّبًا لمرور أيِّ شخص بجوار باب غُرفة "مختار". رغبت في أن تهيم كلماتي عبر الغُرفة وتنساب من أسفل الباب لتستقر في أُذن أيِّ عابر. كنت أتحدث إلى رجل في غيبوبة، ولكنني أريد أن يعرف أيضًا أيُّ شخص آخر.

- ثلاثة.

عجزت عن النوم ليلة أمس، وتوقَّفت عن إحصاء الأرقام وجلست إلى مكتبي وفتحت الـ"لاب توب". وجدتني أكتب "قاتل متسلسل" في خانة بحث جوجل. كانت الساعة الثالثة فجرًا. ها هو التعريف.. ثلاث جرائم قتل أو أكثر.. قاتل متسلسل.

دلَّكت ساقيَّ حتى أطرد التنميل عنهما. هل هناك فائدة من تعريف "أيولا" بما اكتشفته؟

"لا بد أنها تعرف ذلك.. في مكان ما في قرارة نفسها".

أنظر إلى "مختار". نبتت لحيته من جديد. لو أننا لا نحلقها مرَّة على الأقل كل ليلتين، فإنها تنمو بكثافة. هناك مَن نسي حلاقتها.. إنها "

صوت صفير منغوم يقترب في الممر بالخارج. إنه "تيد". عندما لا يُغنِّي فإنه يدندن، ولما يتعب يصفر. صندوق موسيقى متحرك. صوته يرفع روحي المعنوية. زُحت إلى الباب وفتحته لحظة أن اقترب. ابتسم لي. لوحت له، قبل أن أسحب يدي وأنا أُوبِّخها على لهفتها. ابتسامة تكفي.

- كان عليَّ أن أعرف أنكِ هنا.

فتح الملف الذي كان يحمله، وألقى نظرة عليه قبل أن يناوله لي. ملف "مختار". لا شيء ملفت فيه. لم تتحسن حالته.. أو تسوء. اقترب الوقت المنتظر. وقت أن يتصلوا يطلبون إنهاء حياته. التفتُّ ألقي نظرة أخرى على "مختار". يرقد في سلام، حتى إنني حسدته. كلما أغمضت عينيَّ، رأيت جُثَّة. أتساءل عن شعوري حال رأيت أخرى جديدة.

- أعلم أنكِ تراعينه، ولكنني كنت أريد أن أتأكَّد من كونكِ جاهزة في حال...

- إنه مريض، "تيد"!

- أعرف.. أعرف. ولكن لا عيب في الاعتناء بمصير إنسان آخر.

لامس كتفي برِقَّة، لكي تهدأ أعصابي. سيموت "مختار" في نهاية الأمر، ولكنه لن يكون وسط بركة من دمه، ولن تنهش جُثَّته أسماك البحر أسفل الجسر لابري الثالث. ستعرف عائلته مصيره. بقيت يد "تيد" الدافئة على كتفي، وارتحت لها.

- أودُّ أن أُبشِّركِ؛ هناك حديث عن أنكِ ستصبحين رئيسة طاقم التمريض.

لم أجدها بالمفاجأة الكبيرة؛ فالمنصب خالٍ منذ فترة، ومَن التي يمكنها أن تشغله بكفاءة؟ "بينكا"؟ أنا أشدُّ اهتمامًا في هذه اللحظة بهذه اليد، التي لم تعد مرتاحة فوق كتفي.

- أخبار عظيمة.

قُلتها لأنه كان يتوقَّع مِنِّي أن أقولها.

- سنحتفل بكِ يومها.

- أكيد.

تمنَّيتُ لو أن نبرة صوتي لم تفضح عدم اهتمامي.

أغنية



يُعتبر مكتب "تيد" أصغر مكتب بين مكاتب الأطبَّاء، ولكنني لم أسمعه يشتكي من ذلك أبدًا. وحتى لو اشتكى في إحدى المرَّات، فلا يستمع إليه أحد، ولا يُبدي انزعاجه من هذا أيضًا.

ولكن اليوم، كان حجم المكتب هذا في صالحنا. فقد فزعت فتاة صَّغيرة من منظر الإبرة، وهرعت نحو الباب. ولأنها صغيرة، فإنها لم تتمكَّن من الذهاب بعيدًا. أمسكت بها أُمُّها.

صرخت الصَّغيرة، وهي تركل الهواء، مثل كتكوت مفترس. تحمَّلت أُمُّها خربشاتها في صبر. أتساءل عمَّا إذا كانت هذا ما كانت تتخيَّله وهي تلتقط لنفسها صورة الحمل، أو توزع الهدايا في يوم ولادة هذه الفتاة.

دسَّ "تيد" يده في وعاء الحلوى الذي يحتفظ به فوق مكتبه لأجل الصغار، ولكن البنت أطاحت بالمصاصة من يده. لكن ابتسامته لم تختفِ؛ وبدأ يغني لها. صوته المنغوم ملأ الغُرفة، وعقلي. توقَّف كل شيء، حتى الطفلة وقفت ساكتة مُرتبكة. نظرت إلى أُمِّها، التي استولى الصوت على عقلها. لم يكن مهمًّا أن يُغنِّي "ماري لديها «خروف صغير»". المهم هو أن صوته استولى

علينا. هل هناك ما هو أجمل من رجل يمتلك صوتًا مثل المحيط؟

كُنتُ أقف بجوار النافذة، رمقت لأسفل لأجد مجموعة من الناس تتجمَّع، وهي تنظر لأعلى وتشير إلى حيث المكتب. نادرًا ما يشغِّل "تيد" جهاز المكيف، ونافذته مفتوحة دومًا. يقول لي إنه يحب سماع صوت "لاجوس" وهو يعمل؛ أبواق السيارات، أصوات الباعة، واحتكاك إطارات السيارات التي أوقفتها المكابح بغتةً. والآن.. "لاجوس" هي التي تسمعه.

مسحت الصَّغيرة مُخاط أنفها الذي سال من فرط البكاء بظهر يدها. اقتربت منه. عندما تكبر، ستتذكَّر أنه كان حبها الأول. ستتذكَّر جمال أنفه المعقوف، وعينيه المُمتلئتين بالحياة. ولكن، حتى لو نسيت ملامح وجهه فإن صوته سيبقى مُلازمًا لها في أحلامها.

احتضنها بين ذراعيه، وجفَّف دموعها بمنديل. نظر إليَّ، فانتبهت، وجذبت نفسي من عالمه. لم تنتبه الصَّغيرة لي وأنا أقترب بالإبرة. لم تجفل وأنا أمسح فخذها بقطنة مُبلَّلة بالكحول. حاولت أن تُغنِّي معه، ولكن صوتها تهدَّج. لامست الأم خاتم الزواج، وكأنها تُفكِّر في خلعه عن إصبعها. فكَّرت في أن أُناولها منديلًا لتمسح به ذلك اللُّعاب الذي يكاد يتساقط من جانب فمها وهي شاردة الفكر عنها.

جفلت الصَّغيرة لحظة أن اخترقت الحقنة جلدها، ولكن "تيد" كان يمسك جسدها بقوة. ها قد انتهى الأمر.

- ألستِ صغيرة شجاعة؟

أومأت برأسها، وقبلت هذه المرَّة قطعة الحلوى. وقالت الأم في جذل:

- أنت تجيد التعامل مع الصغار. هل لديك أولاد؟

- كلَّا.. ولكن ربما في يوم ما.

ابتسم لها فبدت أسنانه الجميلة. يحق للأم أن تخجل وهي تظن

أن تلك الابتسامة لها وحدها، ولكنها لا تعرف أنها الابتسامة نفسها التي يستقبل بها الجميع من حوله. يمنحها لي أنا أيضًا.

- متزوج؟

(مجنونة أنتِ.. أتريدينه زوجًا على زوجكِ؟)

- كلَّا.. لستُ متزوجًا.

- لديَّ أخت... إنها جـ...

- دكتور "أوتومو".. هذه هي الروشتة.

التفت "تيد" إليَّ، مندهشًا من الطريقة التي قطعت بها الحوار.. متعمدة. فيما بعد.. سيخبرني بكل أدب.. وبكل لطف.. أنه لا ينبغي لي أن أقطع على مريض كلامه. إنهم يحضرون للمستشفى للعلاج، وأحيانًا لا يكون هذا العلاج للأجساد وحدها.

أحمر



انشغلت "يينكا" الجالسة في مكتب الاستقبال بطلاء أظافرها. ولمَّا رأتني "بونمي" أقترب، لكزتها تُنبِّهها، ولكنه كان تنبيهًا دون جدوى. لن تتوقَّف "يينكا" عمَّا تفعله لأجلي. استقبلتني بابتسامة ماكرة.

- "كوريدي".. حذاء جميل!

- أشكركِ.

- لا بد أن الأصلي منه غالي الثمن، جدًّا

كادت "بونمي" تختنق وهي تشرب الماء عندما سمعتها، ولكنني لن أنخدع بهذا الطُعم. لا يزال صوت "تيد" يسري في جسدي، يهدهدني مثل طفلة رضيعة. تجاهلتها وتحدثت إلى "بونمي":

- سآخذ استراحة الغداء الآن.

"تيد"، ثم انتظرت صوته يطلب مِنّي الدخول. نظرت "جيمبي"، عاملة نظافة أخرى (ربما تظن أن المستشفى يلمع نظافةً في ظل وجود كل هذه العمالة)، ومنحتني ابتسامة خبيرة ودودة، أضاءت لها وجنتيها. تجاهلت رد الابتسامة؛ فهي ابتسامة تقرأ أفكاري. حاولت ضبط أعصابي وأنا أطرق الباب ثانيةً.

- تفضَّل.

أنا الآن لا أدخل مكتبه بصفتي مُمرِّضة. أحمل بين يديَّ علبة طعام فيها أرز والـ"إيفو". حدست أن الرائحة وصلته ما إن دخل المكتب.

- ما الذي استدعى منحي هذا الشرف كله؟

- أنت نادرًا ما تأخذ استراحة غداء.. لذا قلت إن عليَّ أن أحضر الغداء إليك.

تناول العلبة مِنّي، ونظر إلى ما في داخلها، وأخذ نفسًا عميقًا.

- هل أنتِ مَن أعد هذه؟ رائحتها رائعة!

- تفضَّل.

ناولته شوكة، وتناول من العلبة. أغمض عينيه وهو يتنهَّد، ثم فتحهما وابتسم لي.

- "كوريدي".. يا سعد مَن ستكونين زوجته.

أتصوَّر أن الابتسامة التي ارتسمت لحظتها على وجهي أوسع من أن تحيط بها عدسة كاميرا. أحسست بها حتى أخمص قدميَّ.

- سأتناول بقيّة هذا الطعام لاحقًا. عليَّ الانتهاء من هذا التقرير.

نهضت من فوق حافة المكتب، وأنا أخبره بأنني سأعود لآخذ العلبة والشوكة.

- أشكركِ، "كوريدي".. أنتِ الأفضل حقًّا.

لمحت امرأة في قاعة الانتظار تحاول تهدئة رضيع يبكي، وتهدهده، ولكن بلا جدوى. كان ذلك يضايق بعض المرضى الآخرين في القاعة. ويضايقني. رُحتُ إليها وفي يدي شُخشيخة، أملًا في أن تلفت انتباه الرضيع، في ذات اللحظة التي انفتحت فيها أبواب المدخل.

دخلت "أيولا"، والتفت الكل نحوها. توقَّفت في مكاني، والشُّخشيخة في يدي، وأنا أحاول فهم هذا المشهد الذي يدور أمامي. وكأنها جلبت معها ضوء الشمس إلى العتمة. ترتدي فستانًا أصفر برَّاقًا يبذل جهده حتى يحتوي نهديها النافرين. وفي قدميها حذاء عالي الكعب أخضر يعوض قصر قامتها، وفي يدها حقيبة بيضاء صغيرة، ولكنها تكفي لاحتواء سكين.

ابتسمت لي، وتوجَّهت نحوي. سمعت رجلًا يتمتم مذهولًا وقد احتبست أنفاسه.

- "أيولا".. ما الذي تفعلينه هنا؟

- إنها ساعة الغداء!

- بمعنى؟

راحت نحو مكتب الاستقبال والسؤال مُعلَّق في الهواء خلفها. تسمَّرت عيون زميلاتي عليها، وهي بدورها ابتسمت لهن أجمل ابتسامة.

- أنتن صديقات أختي؟

فتحن أفواههن بلا كلمات، ولكن "يينكا" سرعان ما صاحت:

- أنتِ أخت "كوريدي"؟

واضح جدًّا أنها تحاول البحث عن أيِّ وجه شبه بيننا.. ولم تفلح، ولكن الشبه موجود.. الفم نفسه، والعينان نفسهما.. ولكن "أيولا" أقرب إلى عروسة "براتز" سمراء وأنا مثل عروسة من التي يستخدمونها في طقوس سحر "الفودو" الأفريقي. حتى إن

"بينكا"، التي نعتبرها أجمل موظفة في مستشفى "سانت بيتر"، تكاد تذبل وتذوي تمامًا إلى جوار "أيولا". وهي تعرف.. تعرف هذه الحقيقة بينما تحاول هندمة شعرها، والوقوف باعتدال. سألتها "بونمي":

- أيُّ عطر هذا؟.. هذا.. أنا أعرف الاسم..

مالت "أيولا" نحوها، وهمست في أُذنها بكلمات، قبل أن تعتدل:

- صار هذا سرًّا بيننا.. أليس كذلك؟

غمزت لها، فتحوَّل وجه "بونمي" الباهت إلى نور. هذا يكفي.. توجَّهت إلى المكتب.

ومن دون سابق إنذار، سمعت صوت "تيد"، فسقط قلبي في قدميَّ. قبضت على يد "أيولا"، وجذبتها نحو باب الخروج.

- ما هذا؟!

- اذهبي الآن!

- ماذا؟ لماذا؟ لما تتصرَّفين بـ...

- ما الذي يجري...؟

كان "تيد"، تجمَّد الدَّم في عروقي. خلَّصت "أيولا" يدها من قبضتي، ولكن هذا لا يهم؛ فات الأوان الآن. لقد رآها، وانبهر. أخذ يُعدِّل من وضع معطفه الأبيض.

- ما الذي يجري؟

هذه المرَّة صوته أجشُّ من فرط الارتباك.

- أنا أخت "كوريدي".

نظر إليَّ، ثم عاد ينظر إليها.

- لم أكن أعرف أن لديكِ أُختًا.

كان يسألني متعجِّبًا، بينما عيناه عليها هي.

- أعتقد أنها تخجل منِّي.

ابتسم لها.. تلك الابتسامة..

- مَن هذا الذي يخجل منكِ؟ مَن يجرؤ؟ آسف.. لم أعرف اسمك.

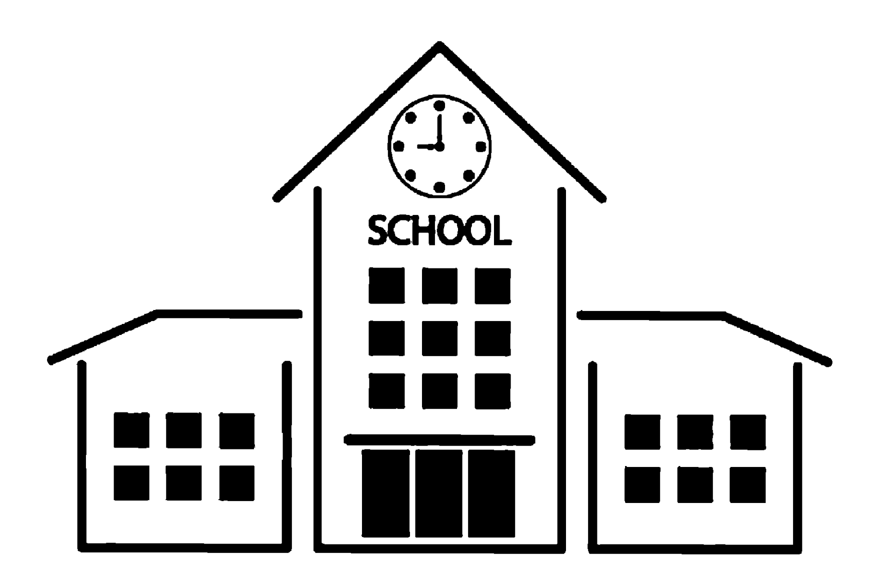
- "أيولا".

مدَّت يدها إليه، على طريقة ملكة تتعطَّف على أحد رعاياها.

صافحها وهو يتعمَّد أن يعتصرها بكل رقَّة للحظة..

- وأنا "تيد".

مدرسة



أعجز عن تحديد تلك اللحظة التي أدركت فيها أن "أيولا" جميلة وأنا.. لا. ولكن ما أعرفه هو أنني أدركت فقر جمالي منذ سنوات.

المدرسة الثانوية تجربة قاسية. يصنف الأولاد البنات بين ذوات قوام "زجاجة الكوكاكولا"، وذوات قوام عصا المكنسة. ويرسمون صورًا للبنات يبرزون فيها أجمل السمات، وأقبحها، قبل أن يضعوها على لوحات الإعلانات في أنحاء المدرسة حتى يراها الجميع؛ إلى أن يأتي معلم أو تأتي معلمة فتنزعها وتلقي بها في سلّة المهملات بعد تمزيقها.

وعندما رسموني، أبرزوا الشفتين مثل شفتي غوريلّا، والعينين الواسعتين. طمأنت نفسي بأنهم أغبياء سُذّج، ولا يهم أنني لا أجذب انتباههم؛ ولا يهم أن البعض منهم حاول معي وهو يفترض أن تواضع جمالي سيجعلني أنتهز أيّ فرصة مثل هذه، وسأكون

وسـخرت مـن الفتيـات اللاتـي يطـاردن الفتيـان. اعتبـرت نفسـي أسمى من كل هذا.

ولكن الجميع كان يعرف السبب.

بعد عامين في المدرسة، صرت أقوى، ومُستعدَّة لحماية أُختي، وأنا مُتيقِّنة من أنها ستعاني منهم. ربما بدرجة أكبر وأسوأ. ستأتي إلـيّ فـي كل يوم وهي تبكي، وسأحتضنها وأطمئنها. نحن في مواجهة العالم. سمعت أن شابًّا أكبر منها بعامين في ثانوي طلب أن يخرج معها، في أول يوم لها في المدرسة. كانت تلك واقعة لم تحدث من قبل. أولاد السنة النهائية لا ينظرون إلى بنات سنة أُولى، وحتى إن فعلوا فإنهم يحرصون على ألا يعرف بذلك أحد. والأعجب أنها هي التي رفضته.

ولكن الرسالة وصلت إليّ قوية مُدوِّية.

بُقعة



- ظننت أنكِ ستحبين أن نتناول الغداء معًا.

- كلّا.. أنتِ رغبتكِ في رؤية مكان عملي.

صاحت أُمّي:

- وما عيب هذا يا "كوريدي"؟ أنتِ تعملين هناك منذ عام، ولم يسبق لأُختكِ أن رأت المكان!

كان صوتها ملتاعًا، وكأن من الظلم أن تشعر أن "أيولا" تعاني.

أحضرت الخادمة وعاء اليخني من المطبخ، ووضعته في وسط المائدة. غرفت "أيولا" لنفسها في طبقها. قشّرت قطعة بطاطا مطهية وغمستها في الحساء قبل أن نغرف لأنفسنا أنا وأُمّي.

كُنّا نجلس في أماكننا المُعتادة إلى المائدة المستطيلة: أنا وأُمّي نجلس إلى اليسار، و"أيولا" إلى اليمين. هناك كرسي عند طرف المائدة، ولكنني قمت بإحراقه تمامًا خارج المجمع السكني الذي نعيش فيه. ولم نتحدث في الأمر. ولن نتحدث عنه. قالت أُمّي:

- اتصلت بي عمّتكُما "تايو" اليوم.

- الآن تتصل؟

- أجل. قالت إنها تريد منكما أن تتواصلا معها أكثر من هذا.

نظرت إلينا وكأنها تنتظر أيّ رد. بادرت بتغيير الموضوع:

- هلّا ناولتني طبق "الأوكرو"، من فضلك؟

فعلت، وأدركت مقصدي، وغيّرت الموضوع بالفعل:

- قالت لي "أيولا" إن هناك طبيبًا وسيمًا في المستشفى.

أسقطتُ الطبق في ارتباك، فانساب بعض محتواه فوق سطح المائدة، وسرعان ما تشرَّب المفرش ذلك السائل الأخضر.

- "كوريدي"!

لم أكن أسمعها، والأفكار المتصادمة تنهش عقلي. تظاهرت بالانشغال في تنظيف البُقعة بمنديل.

أشعر بعيني "أيولا" تُحدِّق فيَّ، وأنا أحاول لملمة أعصابي. بادرت الخادمة بتنظيف البُقعة، ولكن الماء الذي استخدمته جعل البُقعة أكبر من ذي قبل.



المنزل

بدأت باللوحة المُعلَّقة فوق البيانو الذي لا يعزف عليه أحد.

كان قد طلب رسمها احتفالًا بنجاحه في بيع شحنة من السيارات المستعملة في حالة جيدة لأحد التجار على أنها جديدة كليًّا؛ اللوحة لمنزلنا، الذي بناه من مكاسب مثل هذه (وأي عاقل يُعلِّق لوحة للمنزل نفسه الذي يعيش فيه؟).

وأنا طفلة صغيرة كنت أقف أمامها وأنا أتمنَّى لو أنني داخله. تخيَّلت أن قرينة لي تعيش داخل أسواره المرسومة بالألوان المائية. وحلمت أن الضحك والحب هناك وراء المرج الأخضر، داخل الأعمدة البيضاء والباب الخشبي الثقيل.

أضيف للرسم كلبة تنبح عند شجرة، وكأنه يعرف أننا كُنَّا نمتلك واحدة ذات يوم. كانت بُنِّية ناعمة الشعر، ولكنها أخطأت بأن بالت داخل مكتبه. ولم نرها من بعد ذلك اليوم أبدًا. لم يكن للرسام أن يعرف هذا؛ ومع ذلك فقد رسمها، وأقسم لك أنني أحيانًا ما أسمع صوت نباحها.

لا يمكن مقارنة جمال منزلنا بالجمال المرسوم في اللوحة، على خلفية ألوان الفجر الوردية وأوراق الشجر التي لا تذبل أبدًا، والشجيرات التي تحيط بالحديقة تتخلَّلها لمسات باللونين الأصفر والبنفسجي. والأسوار الخارجية في اللوحة ذات لون أبيض قوي، بينما نظيرتها في الواقع لم تحظَ بأي طلاء جديد

منذ أن اصفرَّ لونها.

عندما مات، قُمتُ ببيع كل اللوحات التي اشتراها حتى أُوفِّر المال. ولم أفتقدها كثيرًا. لو بيدي لكنت قد تخلَّصتُ من المنزل نفسه. ولكنه بنى المنزل بهذا الطراز المعماري الجنوبي على أرضه، ولن أجد مَن يشتري منزلًا على أرض مشكوك في ملكيتها. ولذلك، وبدلًا من الانتقال إلى شقَّة أصغر مساحةً، قررنا صيانة منزلنا الكبير ذي التاريخ بقدر وسعنا.

رمقتُ اللوحة وأنا ذاهبة من غُرفة النوم إلى المطبخ. يعجبني فيها أن لا أشخاص مرسومة بها. ولكنك إن دققت النظر سترى ظلًّا وراء إحدى النوافذ.. وكأنه ظل امرأة.

اقتربت مِنِّي أُمِّي وهي تقول:

- أُختك تحب أن تكون إلى جوارك. أنتِ أفضل صديقاتها.

أُمِّي لا تزال تتكلَّم عن "أيولا" وكأنها طفلة وليست امرأة، لا تحب أن يرفض لها أحد طلبًا.

- ما الذي يزعجكِ في أن تأتي إلى مكان عملكِ من حين لآخر؟

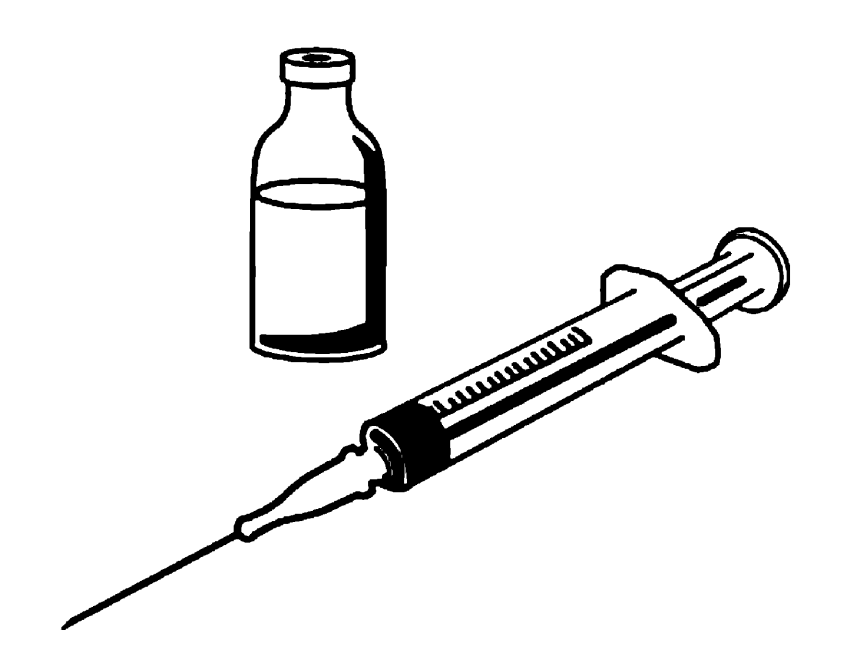
- إنه مستشفى.. يا ماما.. وليس حديقة.

- أعلم.. لاحظت أنكِ تُحدِّقين في اللوحة كثيرًا.

كانت تُغيِّر الموضوع. أَشَحتُ بنظري، ووجهته إلى البيانو بدلًا من اللوحة.

كان من اللازم أن نبيع البيانو أيضًا. مررت بإصبعي فوق غطائه، ليصنع خطًّا في الغبار. تنهَّدت أُمِّي وهي تبتعد؛ لأنها تعرف الآن أنني لن أهدأ إلا بعد أن يكون البيانو لامعًا تمامًا من دون ذرَّة غبار. رُحتُ إلى خزانة أدوات التنظيف وأحضرت مجموعة من مناديل التنظيف. تمنَّيت لحظتها لو وسعني أن أمحو كل ذكرياتنا.. تمامًا وإلى الأبد.

استراحة



- لم تُخبريني أن لديكِ أُختًا.

- نعم.

- أقصد.. أنني عرفت اسم مدرستكِ، واسم أول حبيب. حتى إنني أعرف أنكِ تحبين تناول الفشار بعد وضع العسل فوقه.

- عليك أن تجربه يومًا ما.

- ولكنني لم أعرف أن لديكِ أُختًا.

- ها قد صرت تعرف الآن.

ابتعدت عن "تيد" وأنا ألقي بالإبر في السلَّة المعدنية. بوسعه القيام بذلك بنفسه، ولكنني أحب أن أجعل عمله أسهل. جالس إلى مكتبه، ويكتب في ورقة أمامه. طريقته في الكتابة سريعة، ويكتب الأحرف كبيرة متشابكة. ولكن بطريقة مهندمة منظمة. توقَّف القلم، وتنحنح قبل أن يسألني:

- هل هي مُرتبطة؟

رأيت بعيني خيالي جثة "قيمي" القابعة في قاع المحيط، وجبة

للأسماك.

- هي في فترة استراحة.

- استراحة؟

- أجل.. لن تلتقي أحدًا لفترة من الوقت.

- والسبب؟

- دائمًا ما تنتهي علاقاتها على نحو سيئ.

- بعض الرجال حمقى.

غريب أن يقول رجل ذلك، ولكن "تيد" حسَّاس بعض الشيء.

- أتظُنِّين أنها تستاء لو أعطيتني رقم موبايلها؟

تخيَّلت "تيد"، وجثَّته تغطس ببطء نحو قاع المحيط، لترقد إلى جوار جُثَّة "فيمي".

وضعت السرنجة فوق الصينية بحذر حتى لا أجرح نفسي بها.

- عليَّ أن أسألها أولًا.

ولكنني لا أنوي أن أسأل "أيولا".. أبدًا. ما دام لا يراها، فسرعان ما ستختفي صورتها في طيَّات ذاكرته البعيدة.. مثل هبَّة نسيم باردة في يوم حار.. تذهب بلا رجعة.



- إذًا، فأنتما من الأب والأم نفسهما؟

- أخبرتكِ أنها أختي.

- تعنين أنها أُختكِ الحقيقية؟ يبدو لي أن الشبه بعيد.

بدأت "يينكا" تزعجني جدًّا. ولكن المؤسف هو أن أسئلتها هذه ليست جديدة ولا غريبة بالنسبة لي. "أيولا" قصيرة؛ عيبها الوحيد، هذا إن كنت ستعتبره عيبًا، بينما طولي يقارب المترين؛ لون بشرة "أيولا" أقرب إلى لون الكراميل، بينما بشرتي سمراء للغاية؛ جسدها كله منحنيات ونتوءات، أما جسدي فنقيضه تمامًا.

- هل أبلغتِ الدكتور "إيمو" أن أشعّة "الإكس" جاهزة؟

- كلّا، فق..

- إذًا عليكِ بالذهاب إليه.

ابتعدت عنها قبل أن تجد فرصة لتكمل بها جملتها الاعتذارية. "أسيبي" ترتب الأسرَّة في الطابق الثاني، بينما يغازل "محمد" "جيمبي" أمامي. يقفان قرب بعضهما بعضًا، ويده على الحائط بينما يميل نحوها. سيكون عليه تنظيف تلك البُقعة من الحائط الآن. كلاهما لا يراني؛ ظهره إليّ، وعيناها على الأرض، تستمع إلى كلمات الغزل التي يطرب بها أذنها. ألا تشم رائحته؟ ربما لا يتسنَّى لها ذلك، فهي مثله. رائحتها رائحة العرق، والشعر غير المغسول، ومستحضرات التنظيف، والجثث المتحللة أسفل الجسر، و..

- مُمرِّضة "كوريدي".

انتبهت، فلم أجدهما أمامي. الظاهر أنني كنت أقف منذ بُرهة، غارقة في أفكاري. وجدت "بونمي" واقفة تنظر إليّ في تساؤل. كم مرَّة نادت عليّ؟ دومًا ما يصعب عليّ معرفة ما تُفكِّر فيه.

- ما الأمر؟

- أختكِ في الأسفل.

- ماذا؟

لم أنتظر حتى تُكرِّر ما قالته، ولم أنتظر المصعد؛ هبطت الدَّرَج في عجل. ولكنني عندما وصلت لاهثة إلى منطقة الاستقبال لم أجد "أيولا". ربما أدركت زميلاتي أن وجودها يغضبني؛ ربما هن يعبثن معي لا أكثر.

- "يينكا".. أين أُختي؟

- "أيولا"؟

- أجل. أُختي الوحيدة.

- ومن أين لي أن أعرف؟ وهذه هي المرَّة الأولى التي أعرف فيها أن لديكِ أُختًا واحدة فقط.

- حسنًا.. لا بأس، أين هي؟

- في مكتب دكتور "أوتومو".

صعدت الدَّرَج، درجتان في كل قفزة. مكتب "تيد" قبالة المصعد، لذلك كنت أُقاوم في كل مرَّة أصعد فيه إلى الطابق الثاني رغبة عارمة في أن أطرق بابه. سمعت ضحكات "أيولا" في الرَّدهة؛ ضحكاتها قوية صريحة، ضحكات مَن لا يهتم لأي شيء في هذا العالم. هذه المرَّة، لم أطرق الباب.

- "كوريدي".. أهلًا.. آسف لأنني سرقت أختكِ منكِ. أعرف أنكما على موعد غداء.

لم يكن يجلس خلف مكتبه، بل على أحد الكرسيين أمامه. "أيولا" تجلس إلى الكرسي الآخر. كرسي "تيد" في مواجهة كرسيها، وكأن ليس هذا كافيًا، فهو يميل عليها وقد أسند مرفقيه على رُكبتيه.

اختارت "أيولا" أن ترتدي اليوم "توب" كاشفًا أبيض بلا ظهر، وبنطلونًا ورديًّا ضيِّقًا للغاية، ولملمت ضفائرها فوق رأسها. تبدو ضفائرها ثقيلة للغاية، ولكنها تجلس مُنتصبة الظهر في رشاقة. موبايلها في يدها، وبدا لي أنها كانت تُسجِّل رقمًا. نظرا إليَّ بكل براءة الدنيا.

- "أيولا".. أخبرتكِ أنني لن أستطيع الخروج للغداء.

اندهش "تيد" لنبرة صوتي. وبدا عليه السخط، ولكنه لم ينطق. هو مُؤدَّب إلى حدٍّ يمنعه من التدخل بين أُختين.

- حسنًا، لقد تكلَّمت مع تلك الفتاة اللطيفة "بينكا"، وأخبرتني أنها ستقوم بعملكِ حتى تعودي.

أحقًّا ستفعل؟

- ليس عليها أن تفعل ذلك. لديَّ كثير من العمل.

تبرَّمت "أيولا"، وتنحنح "تيد".

أتعلمان أنني لم أتناول غدائي بعد؟ وأعرف مطعمًا جيدًا بالقُرب.

من هنا.

كان يقصد مطعم "ساراتوبي". يقدم طبق ستيك لذيذًا للغاية. أنا مَن أصطحبه إليه. وعلى الرغم من أن "يينكا" راحت معنا، فإن هذا لم يفسد الغداء لي. لقد عرفتُ خلال وجودنا هناك أن "تيد" من مشجعي "الأرسنال"، وأنه سبق وأن لعب كرة القدم على مستوى احترافي لفترة من حياته. وعرفت أنه وحيد أهله. وعرفت أنه لا يحب الخضروات كثيرًا. وتمنَّيت أن نزور المطعم مُجدَّدًا، من دون "يينكا"، حتى أعرف عنه أكثر.

التمعت عينا "أيولا" في جذل:

- عظيم.. فأنا أكره تناول الطعام وحدي.

فستان



عندما اقتحمت غُرفة "أيولا" ذلك المساء، كانت تجلس إلى مكتبها ترسم تصميمًا جديدًا لمجموعة الأزياء التي تنفذها. تعرض الملابس التي تصممها عبر صفحاتها على مواقع التواصل الاجتماعي، وتأتيها طلبات عديدة بالكاد تُلبّيها. إنها خدعة تسويقية؛ تنظرين إلى جميلة ذات قوام رائع فتقولين لنفسكِ إنكِ قد تصبحين مثلها، باختيار الملابس والإكسسوارات اللائقة.

تُغطّي ضفائرها وجهها، ولكن لا حاجة لي برؤية وجهها حتى أُدرك أنها في قمّة تركيزها. لا شيء فوق المكتب إلا دفتر الرسم، والأقلام، وثلاث زجاجات ماء، واحدة منها فارغة. ولكن كل شيء في الغُرفة رأسًا على عقب؛ ملابسها على الأرض، وتخرج من أبواب الدُّولاب، وكذلك مُكوَّمة فوق فراشها.

التقطت قميصًا عند قدميَّ، وطبَّقته.

- ما الأمر؟

لم تلتفت إليّ. التقطت قطعة ملابس أخرى، وطبّقتها.

- أريد منكِ أن تتوقّفي عن الحضور إلى مقر عملي.

الآن انتبهت إليّ؛ وضعت القلم، والتفتت إليّ والضفائر تتطاير حول رأسها.

- لماذا؟

- أودُّ أن أفصل بين عملي وحياتي الشخصية.

- لا بأس.

عادت لتهتمّ بالتصميم. لمحت أنه فستان يأخذ شكل فساتين العشرينيات من القرن الماضي.

- كما أودُّ منكِ أن تتوقّفي عن التواصل مع "تيد".

التفتت إليّ مُجددًا.. ساخطة هذه المرّة.. وهذا أمر نادر.

- ولماذا؟

- أعتقد فقط أن من غير الحكمة أن تدخلي في علاقة معه.

- لأنني قد أؤذيه؟

- لم أقل هذا.

سكتت تُفكّر في كلامي.

- أنتِ مُعجبة به؟

- ليس هذا ما قصدته. أقصد أنه ليس عليكِ الدخول في علاقة مع أيّ رجل في الوقت الحالي.

- أخبرتكِ من قبل أن ما فعلته كان دون قصد. كنت مضطرة.

- عليكِ أن تعطي نفسكِ راحة لبعض الوقت.

- لو أنكِ تُريدينه لنفسكِ فأخبريني وحسب.

سكتت لحظة، ثم أردفت:

- كما أنه لا يختلف كثيرًا عن بقيتهم.. كما تعلمين.

- ما الذي تتحدثين عنه؟

إنه مختلف. إنه لطيف وحسَّاس. يُغنِّي للصغار.

- ليس بالرجل الرَّزين. بل يبحث عن وجه جميل فقط. مثله مثل كل الرجال.

- أنتِ لا تعرفينه! إنه لطيف وحسَّاس و...

وجدت أن نبرة صوتي كانت أعلى بكثير مما توقَّعت.

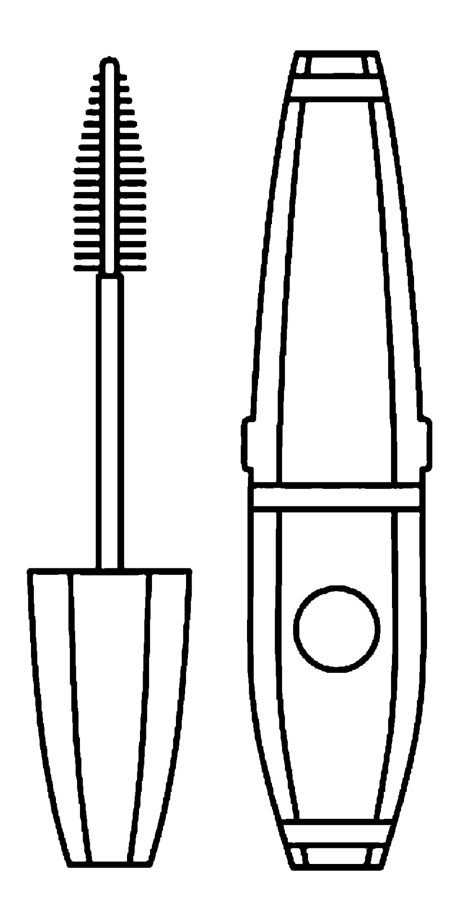
- أتريدين أن أثبت لكِ صحَّة كلامي؟

- كل ما أريده هو أن تتوقَّفي عن مُحادثته.. اتَّفقنا؟

- حسنًا.. ليس كل ما يتمنَّاه المرء يُدركه.

عادت إلى عملها. وكان عليَّ أن أخرج من الغُرفة، ولكنني بدلًا من ذلك جمعت بقيَّة الملابس، وأخذت أُطبِّقها قطعة تلو الأخرى، وأنا أحاول كبت غضبي، وألا أُشفق على نفسي.

ماسكارا



يدي مُرتعشة. تحتاج إلى يدٍ ثابتة عند وضع الماكياج، ولكنني لستُ مُعتادة على وضعه. لم أكن أجد أيَّ جدوى في محاولة إخفاء عيوبي. الأمر ميؤوس منه تمامًا مثل أن ترش مُعطِّر جو في الحمَّام وأنت خارج منه؛ في النهاية لن تحصل إلا على رائحة قذرة معطرة.

هناك مقطع "يوتيوب" يعرضه "اللاب توب" بجواري، أحاول تقليد ما تقوم به الفتاة وأنا واقفة أمام مرآة التسريحة، ولكن من الواضح أن هذا تضييع وقت، ولكنني مُثابرة. تناولت الماسكارا، وفرشت بها أجفاني. وجدتها تلتصق. حاولت أن أفصلها، وانتهى بي الأمر وقد لطَّختُ أصابعي. عندما أرمش، تبقى آثار سوداء على كريم الأساس حول عينيَّ. استغرقت وقتًا في وضع كريم الأساس، ولا أُريد أن أُفسده، وهكذا وضعت مزيدًا منه.

تفحَّصتُ صُنع يديَّ في المرآة. أبدو مختلفة.. ولكنني لا أعرف إن

ها هي الأشياء التي سأضعها في حقيبتي منتشرة فوق طاولة التسـريحة: علبتـا منـاديل، وزجاجـة ميـاه سـعة 30 سـنتيمترًا، ومجموعــة أدوات للإسـعافات الأوليـة، وعلبـة منـاديل مبللـة، ومحفظـة، وأنبـوب كـريم تـرطيب لليـد، وزبـدة كاكاو للشـفتين، وموبايل، وفوط صحية، وصافرة تنبيه في حال التعرض لمحاولة اغتصاب.

هي الأساسيات لكل امرأة. أُرَتِّبها في حقيبة كتفي وأخرج من غُرفـة نومـي وأغلـق البـاب ورائـي بعناية. ما زالت أُمِّي وأُختي نائمتين، ولكنني أستطيع سماع حركة الخادمة في المطبخ. زُحتُ إليها فناولتني كوبي المعتاد من كوكتيل عصير البرتقال والليمون والأناناس والزنجبيل. لا شيء أفضل من عصير الفاكهة لتنشيط جسدك.

وبينما تدقُّ الساعة الخامسة، كنت أُغادر المنزل في هذا الصباح الباكر. وصلت إلى المستشفى بحلول الخامسة والنصف. الأجواء هادئة للغاية في هذا الوقت من اليوم لدرجة أن المرء لا يسعه سـوى التحـدث بصـوت هـامس. وضـعت حقـيبتي خلـف مكتـب الاستقبال، وتناولت دفتر الحوادث من فوق الرَّف لأعرف ما إذا كـان هنـاك أيُّ شـيء مهم وقع خـلال الليـل. انفتـح أحـد الأبـواب ورائي، وسرعان ما كانت "تشيتشي" تقف بجانبي. هي لم تغادر بعد، رغم انتهاء ورديتها.

- ما هذا؟ ماكياج؟

- أجل.

- والمناسبة؟

- رأيت فقط أن...

- يا له من أمر عجيب حقًّا.. وضعتِ كريم أساس أيضًا!

قاومت رغبة في سحب مناديل من حقيبتي ومحو كل الماكياج من على وجهي.

- حبيب جديد؟

- ماذا؟

- أخبريني، أنا صديقتكِ.

لا أستطيع أن أُخبرها. ستنشر "تشيتشي" الخبر من قبل حتى أن أُتمَّ كلامي. كما أننا لسنا صديقتين. تبتسم، حتى أطمئن إليها، ولكن تعبيرات وجهها تقول خلاف ذلك. إنها تضع "كونسيلر" على جبهتها ووجنتيها لتُخفي بثورًا عديدة (رغم أنها فارقت مرحلة المُراهقة قبل فترة طويلة من يوم ميلادي)، وتُسرِّب أحمر الشفاه الفاقع إلى شقوق شفتيها. سأكون مطمئنة أكثر الآن لو أنني أقف أمام الچوكر شخصيًّا

يصل "تيد" في التاسعة صباحًا. وعلى الرغم من أنه لم يرتدِ معطفه الطبي بعد، فإنني ألاحظ عضلاته المفتولة وراء قماش قميصه. أحاول ألا أُحدِّق فيها. أحاول ألا أُفكِّر في أنها تذكِّرني بـ"فيمي". "أيولا" هي أول ما سألني عنه. أخبرته أنها بخير. وجدته يُحدِّق فيَّ بفضول.

- لم أعلم أنكِ تضعين ماكياچ.

- لا أضعه في الحقيقة، ولكن قلت أُجرِّب وحسب.. ما رأيك؟

تأمَّل صنيع يدي في شك.

- أعتقد أنكِ أفضل من دونه. بشرتكِ لطيفة، ولا تحتاجين له.

لقد انتبه إلى نعومة بشرتي!

ومع الفرصة الأولى، بادرت بالذهاب إلى الحمَّام لإزالة الماكياچ، ولكنني تجمَّدت في مكاني عندما رأيت "يينكا" وهي تُلوِّن شفتيها أمام إحدى المرايات. تراجعت في صمت خطوات إلى الوراء، ولكنها التفتت نحوي وهي ترفع حاجبها.

- ماذا تفعلين؟

- لا شيء. سأنصرف.

- ولكنكِ دخلتِ للتَّوِّ..

ضاقت عيناها في شك فوري، وهي تقترب منِّي. وما إن لاحظت الماكياج حتى صاحت.

- وأين ذهب "الطبيعي"؟

- كنت أُجرِّب فحسب.

- تجربة لمحاولة الفوز بقلب الدكتور "تيد"؟

- كلَّا! لا بالطبع!

- أنا أُمازحكِ. كلانا يعلم العلاقة بين "أيولا" و"تيد". يليقان ببعضهما بعضًا.

- حسنًا.

ابتسمت "يينكا" في وجهي. ابتسامة ساخرة. مرَّت أمام وجهي وهي تُغادر الحمَّام، وزفرت في قوة ما إن خرجت. أسرعت إلى الحوض وأخرجت المناديل المبللة من حقيبتي، ونظَّفت بشرتي. عندما كدت أنتهي، غسلت وجهي بقليل من الماء.

أمسح عنه آثار الماكياج.. والدموع.

أوركيد



وصلت إلى منزلنا باقة من زهور الأوركيد البيضاء، مُهداة إلى "أيــولا". تنــاولت البطاقــة التــي وُضِعَت بعناية بـين الأزهـار، وابتسمت.

- إنها من "تيد".

هكذا يراها إذًا؟ جمال ساحر؟ عزَّيتُ نفسي بحقيقة أن حتى أجمل الزهور يأتي عليها يوم تذبل فيه وتموت.

أخرجت موبايلها وبدأت تكتب رسالة، وهي تقرأ بصوت عالٍ:

- أنا أفضل الورد.

كان عليَّ أن أُوقفها.. "تيد" من الرجال الذين يفكِّرون كثيرًا في الأمـر قبـل الإقدام عليه. أكاد أتخيَّله وهو داخل محل الزهور، يتفحَّص الباقة تلو الباقة، ويطرح السؤال تلو الآخر عن أنواعها وطرق العناية بها حتى يتأكد من حُسن اختياره. انتقيت فازة من

مجموعتنا، ووضعت الزهور في قلبها فوق المائدة. ألوان جدران غُرفة المعيشة بيج هادئ، لذا أنارت الزهور المكان.

أرسلت الرسالة.

سيندهش من رسالتها، ويخيب أمله ويشعر بأذى نفسي. ولكنه ربما يفهم أنها ليست من النوع الذي يناسبه ويبتعد عنها.

وما إن حلَّ الظهر حتى وجدنا باقة جديدة تصل إلى منزلنا. باقة ورد. مزيج بين الأحمر والأبيض. كانت "أيولا" في الخارج تشتري أقمشة، وهكذا ناولتني الخادمة الباقة، رغم أن كلتينا تعرف لمن أهديت الباقة. لم يكُن الورد من النوع الذي اعتدنا أن نستقبله من معجبي "أيولا"؛ هذا ورد ينبض بالحياة.

- ممَّن هذه؟

سمعت نفسي أقول:

- "تيد".

رغم أن "أيولا" غير موجودة، ولم أفتح البطاقة بعد.

- الدكتور؟

- أجل.

- ألم يُرسل باقة أوركيد هذا الصباح؟

- أجل، والآن يرسل وردًا.

ندت عنها ابتسامة حالمة؛ وابتعدت عنِّي في عالم حالم اختارت فيه الفستان وانشغلت فيه بإعداد قائمة ضيوف حفل الزفاف. تركتها في عالمها وهي تحمل الورد وعُدتُ إلى غُرفتي. لم أشعر من قبل أن غُرفتي خاوية من أيِّ حياة بقدر ما كنت أشعر في تلك اللحظة.

عندما عادت "أيولا" في ذلك المساء، تلمَّست الورد، والتقطت له صورًا، وكانت على وشك أن تنشرها عبر "إنستجرام" قبل أن

أذكِّرها، من جديد، أن لديها حبيبًا مفقودًا منذ شهر، ومن المفترض أنها حزينة لأجله. فتراجعت.

- إلى متى سيتوجب عليَّ نشر "بوستات" مُملَّة حزينة؟

- ليس عليكِ أن تنشري أيَّ "بوست" من الأصل.

- إلى متى؟

- عام.. أعتقد.

- أتمزحين؟!

- أيُّ مدة أقل من ذلك، سيعتبرونك الناس عارًا على البشر.

تأمَّلتني، وكأنها تريد أن تعرف إذا كنت ممَّن يعتبرونها عارًا على البشر. لم أعُد أدري هذه الأيام في ماذا أُفكِّر، أو حتى كيف. تطاردني خيالات جُثَّة "فيمي"؛ يقتحم كل فكرة أُفكِّر فيها. يجبرني على الشك في كل ما كنت أعتقد أنني أفهمه. كم أتمنَّى لو تركني لحالي، ولكن كلماته.. والطريقة التي يعبر بها عن نفسه.. وجماله الذي يميزه عن الآخرين. ثم سلوكها الغريب.. على الأقل لقد بكت على آخر ضحيتين.

ورد



يُعانـدني النوم. راقدة فـي الفراش، أتقلَّب مـن جنب إلـى جنب، ومـن ناحيـة إلـى أخـرى. فتحـت جـهاز المكيف، ثم مـا لبثـت أن أغلقتـه. وفـي النـهاية، غـادرت الغُرفـة. المنزل صامت. الخادمة نائمة. زحفتُ إلى غُرفة المعيشة، فوجدت الأزهار تتحدَّى العتمة. اقتـربت مـن باقـة الـورد أولًا وتلمَّسـتُ بتلاتـها. جـذبت واحـدة، وأخرى، ثم أخرى. يمر الوقت بطيئًا وأنا واقفة مُرتدية قميص النـوم، أنتـف أوراق وردة وراء أخـرى حتـى تنـاثرت كلـها حـول قدمي.

في الصباح، أسمع صراخ أُمِّي؛ يغزو حلمي، ويعيدني إلى عالم الوعي. فزعت من الفراش، واندفعت نحو الأسفل؛ وانفتح باب غُرفة "أيولا" وسمعتها تهرع ورائي. أشعر ببوادر صُداع. في الليلة الماضية، أتلفتُ باقتي ورد رائعتين، والآن تقف أُمِّي على أطلالها، مُقتنعة بأن أحدهم اقتحم المنزل ليلًا»

هرعت الخادمة إلى حيث نقف، وهي تقول:

- البوّابة الأمامية لا تزال مُغلقة؛ سيدتي.

- من فعلها إذًا؟ أنتِ؟

كانت تصرخ في الفتاة.

- كلّا.. سيدتي.. لا يمكن أن أفعل هذا.

- كيف حدث هذا إذًا؟

إذا لم أبادر بالتدخل، فسُتقرِّر أُمّي أن الخادمة هي الفاعلة، وستطردها. فمَن غيرها قد يفعلها؟ عضضت على شفتيّ بينما أُمّي تُوبِّخ الفتاة التي صارت تبكي، ويرتجف عُقد الخرز في عُنقها مع ارتجاف جسدها. إنها لا تستحق هذا التوبيخ، وعليّ أن أتدخّل. ولكن كيف أشرح لها ذلك الشعور الذي أذهلني؟ هل يجب أن أعترف بأنني أغار؟

- أنا مَن فعلها.

كانت "أيولا" التي تكلّمت، وليس أنا. ذُهلت أُمّي، ولم تعرف ماذا تقول:

- ولكن.. لماذا تـ..

- لقد تشاجرنا في الليلة الماضية. أنا و"تيد". وتحدّاني أن أفعلها. ففعلتها، بل كان عليّ أن ألقي بهما في سلّة المُهملات. أنا آسفة.

هي تعرف. تعرف أنني الفاعلة. أطرقت برأسي، أُحدِّق في البتلات المنثورة. لماذا تركتها هنا؟ فأنا أمقُتُ الفوضى. هزّت أُمّي رأسها في حيرة شديدة.

- أتمنّى أن.. تعتذري له.

- بالفعل.. لقد تصالحنا.

راحت الخادمة لتُحضر مكنسة تجمع بها بقايا غضبي.

ولم أتحدّث مع "أيولا" عمّا حدث.

الأب



ذات يوم، كان يحوم حولي وهو في ثورة غضب. مدَّ يده ليتناول عصاه ولكنه.. تعثر، وارتطمت رأسه بزجاج طاولة القهوة بينما كان يسقط أرضًا. كان لون دمائه أفتح من ذلك اللون القاتم الذي شاهدناه في التليفزيون. نهضت في ارتباك، وخرجت "أيولا" من خلف الأريكة، حيث كانت تختبئ. وقفنا عند رأسه. للمرَّة الأولى نشعر أننا أطول منه. راقبنا الحياة وهي تنسل من جسده. وفي النهاية، رُحتُ أُوقظ أُمِّي من نومها لأخبرها بأن كل شيء انتهى.

مرَّت عشر سنوات، ومن اللائق أن نحتفي بذكراه، وأن نُقيم حفل تأبين تكريمًا لحياته. فإذا لم نفعل ذلك، فسيكون علينا تلقِّي

أسئلة صعبة، ونحن لا شيء من دون قُدرتنا البارعة على خداع الآخرين.

اجتمعنا في غُرفة المعيشة للتخطيط لهذا الحدث الغريب، واقترحت أُمّي:

- يمكننا تنظيم شيء ما في هذا المنزل؟

ولكن عمّتي "تايو" هزّت رأسها في رفض:

- كلّا.. المنزل صغير للغاية. وأخي يستحقُّ تجهيزًا أكبر.

أنا مُتيقّنة من أنهم يحتفلون به هناك في الجحيم. بينما لم تكُن "أيولا" مُبالية بأي شيء وهي تمضغ اللبان. كانت العمّة "تايو" ترمقها بغضب من حين لآخر. سألت بأدب بارد:

- أين تريدين إقامة المناسبة، يا عمّتي؟

- هناك قاعة لطيفة للغاية في "ليكي".

ذكرت اسم المكان، فشعرت بغُصّة في حلقي. إن المبلغ الذي عرضت المساهمة به لن يُغطّي حتى نصف تكلفة مكان مثل هذا. إنها تتوقّع، بالطبع، أننا نسبح في بحر الأموال التي تركها، وبالتالي ما المانع في أن تتفاخر وتستعرض أمام صديقاتها وتشرب كثيرًا من الشمبانيا. إنه لا يستحق دفع نيرة واحدة، لكن والدتي ترغب في مُواكبة العمّة في هذه النّعرة الكاذبة، فوافقت على المكان. ومع انتهاء هذه المفاوضات، اعتدلت العمّة "تايو" في جلستها على الأريكة، وقالت وهي تبتسم لنا:

- هل تُواعدان أحدًا هذه الأيام؟

بادرت أُمّي:

- "أيولا" تُواعد طبيبًا!

- رائع. أنتما تكبران في السن، والمنافسة شديدة. الفتيات لا يمزحن فيما يتعلّق باصطياد الرجال. بعضهن يصطدن الرجال

حتى من أحضان زوجاتهم!

كانت العمَّة "تايو" أفضل مثال على هذا النوع الأخير؛ فهي متزوجة من مُحافظ سابق كان متزوجًا بالفعل عندما عرفته. إنها امرأة فضولية تزورنا كلما عادت من دبي، ويبدو أنها لا تشعر بكُرهنا لها. لم تُنجب أطفالًا، وقد أخبرتنا مرَّات لا حصر لها بأنها تعتبرنا بمثابة بنتين لها. أما نحن فلا نعتبر أنفسنا كذلك أبدًا.

- يسعدني أن تنبهيهما إلى ذلك. أشعر وكأنهما تودَّان البقاء في هذا المنزل للأبد.

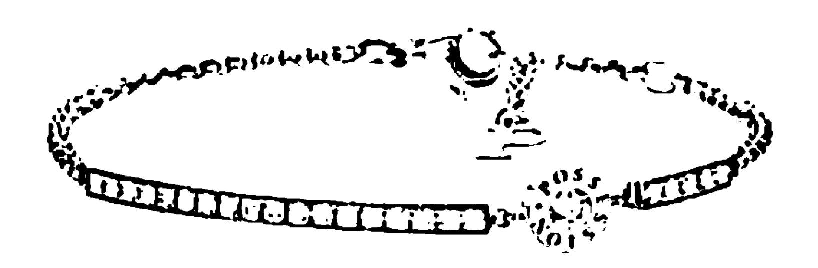
- تعلمان أن الرجال مُتقلِّبون للغاية. امنحيه ما يريد، وسيفعل أيَّ شيء من أجلك. حافظي على شعرك طويلًا لامعًا، أو البسي ملابس جديدة على الموضة؛ اطهي له الطعام وأرسليه إلى منزله ومكتبه. داعبي إحساس الرجولة فيه أمام أصدقائه، وتعاملي معهم بشكل جيد من أجله. كوني في طوع والديه، واتَّصلي بهما في المناسبات المهمَّة. ما إن تحرصي على فعل تلك الأشياء تجدي خاتم الزفاف في إصبعك في لمح البصر.

أمَّنت أُمِّي على كلامها في استحسان:

- نصيحة حكيمة جدًّا.

كان كلامها، طبعًا، يدخل من أُذنينا أنا وأُختي ليخرج من الجهة الأخرى.. "أيولا" لا تحتاج إلى مَن يساعدها فيما يتعلَّق بالرجال، وأنا أفضل من أن أتلقَّى نصائح في الحياة من امرأة فقدت بوصلة أخلاقها.

سُوَار



حضر "تيد" ليصطحبها يوم الجمعة، في السابعة. وصل في الموعد، ولكن "أيولا" طبعًا لم تكُن جاهزة. حتى إنها لم تكُن قد أخذت حمَّامها عندما حضر؛ لا تزال بعد راقدة في الفراش مستغرقة في مشاهدة فيديوهات مضحكة لقطط.

- "تيد" هنا.

- مبكرًا!

- ولكن الساعة تجاوزت السابعة.

- حقًّا!

ولكنها لم تتحرك قيد أُنملة. نزلت إليه حتى أخبره أنها تتجهَّز.

- لا توجد مشكلة.. لستُ على عجل.

كانت أمي تجلس قبالته، وعلى وجهها ابتسامة من الأذن إلى

- ماذا كنت تقول؟

- أنا شغوف بالعقارات. أقوم أنا وابن عمِّي ببناء عمارة في "إيبيجوليكي". سيستغرق البناء ثلاثة أشهر تقريبًا، ولكننا بعنا بالفعل خمس شقق!

صاحت أُمِّي وهي تحسب قيمته ماليًّا:

- مُدهش! "كوريدي".. هلَّا قدَّمتِ لضيفنا شيئًا؟

- ماذا تحب؟ كيكة؟ بسكويت؟ نبيذ؟ شاي؟

- أنا لا أريد أن...

- أحضري كل شيء يا "كوريدي".

نهضتُ، وزحتُ إلى المطبخ، حيث كانت الخادمة مستغرقة في مشاهدة مسلسل "تينسل". جفلت لمَّا رأتني ونهضت تساعدني في جمع كل شيء فوق الصينية ذات العجلات. لم تكُن "أيولا" قد هبطت بعد لما عُدتُ بها.

علَّق "تيد" في تلذُّذ بعد أن تناول أول قضمة من الكيك:

- لذيذ، مَن صنعها؟

بادرت أُمِّي، وهي تُحدِّجني بنظرة تحذير:

- "أيييوولا".

كانت كذبة فاضحة. هذه كيكة أناناس، حلوة وناعمة، و"أيولا" لا تعرف حتى كيف تقلي لنفسها بيضة لو جاعت. نادرًا ما تدخل المطبخ، إلا إذا كانت تبحث عن وجبة خفيفة.

- رائعة..

زاد استمتاعه بالكيكة لحظتها.

كنت أول مَن رآها؛ لأن وجهي كان قبالة الدَّرَج. تابع حركة عينيَّ

فاعتــدل لــيرى بـدوره. سـمعت صـوت شـهقته. تـوقّفت "أيـولا" متعمـدة حتى يزداد حضورها قوة. كانت ترتـدي الفسـتان الذي كانت ترسم تصميمه منذ أسابيع. الخرز الذهبي منسجم في روعة مـع بشـرتها. جمعـت ضـفائرها فـي واحـدة طويلة انسدلت على كتفها اليمنى، وكانت ترتدي حذاءً ذا كعب عالٍ بدرجة مُبالغ فيها؛ واحدة غيرها كانت لتتعثّر وتقع فوق الدَّرَج.

نهض "تيد" ببطء ومشى ليلتقيها عند أسفل الدَّرَج. أخرج من جيب سُترته علبة قطيفة.

- جميلتي، هذه لكِ.

تنـاولت "أيـولا" الـهدية، وفتحتـها. ابتسـمت، وهـي تـرفع السُّوَار الذهبي حتى تراه أُمِّي.. وأراه أنا.

الزّمن

ترك الهاشتاج FemiDurandIsMissing# صدارة الترند للهاشتاج #NaijaJollofvsKenyanJollof. ربما يحب الناس متابعة الحوادث الغامضة، ولكنهم سرعان ما يملُّون، وهكذا غابت أخبار اختفاء "فيمي" وسط حوار كبير عن أيّ بلدة تصنع طبق أُرز الجولوف أفضل. كما أن الرجل في الثلاثينيات، وليس طفلًا. قرأت التعليقات. يقول البعض إنه ربما قرر مغادرة "لاجوس" وحسب. ويقول آخرون إنه ربما انتحر.

وفي محاولة منها للحفاظ على اهتمام الناس بقضية "فيمي"، بدأت أُختـه في نشر شعر من مدونته www.wildthoughts.com قرأته فأدركت أنه كان موهوبًا بالفعل:

وجدت السَكِينَة

في حضنكِ؛

يوميًّا .

أنتِ خاوية.

وأنا مشحون .

أغرق تمامًا .

تساءلتُ عمّا إذا كان كتب هذه القصيدة لأجلها. لو كان يعرف..

- ما الذي تنظرين إليه؟

بادرت بإغلاق "اللاب توب". كانت "أيولا" تقف عند باب غُرفة نومي. ضاقت عينيّ وأنا أنظر إليها. سألتها:

- أخبريني مرّة أخرى عمّا حدث مع "فيمي".

- لماذا؟

- جاريني وحسب.

- لا أريد أن أتحدث عن ذلك الأمر. يحزنني مجرد التفكير فيه.

- قلتِ إنه كان يعتدي عليكِ.

- أجل.

- مثل أنه يعتدي عليكِ جسديًّا؟

- أجل.

- وحاولتِ الهرب؟

- أجل.

- ولكنه، كان مطعونًا في ظهره.

تنهدت، وقالت:

- اسمعي.. كنت خائفة، ثم لم أعرف ماذا أفعل.

- مِمَّ كنتِ خائفة؟

- كان يهددني؛ يهددني بالضرب وأكثر من الضرب. خفت.

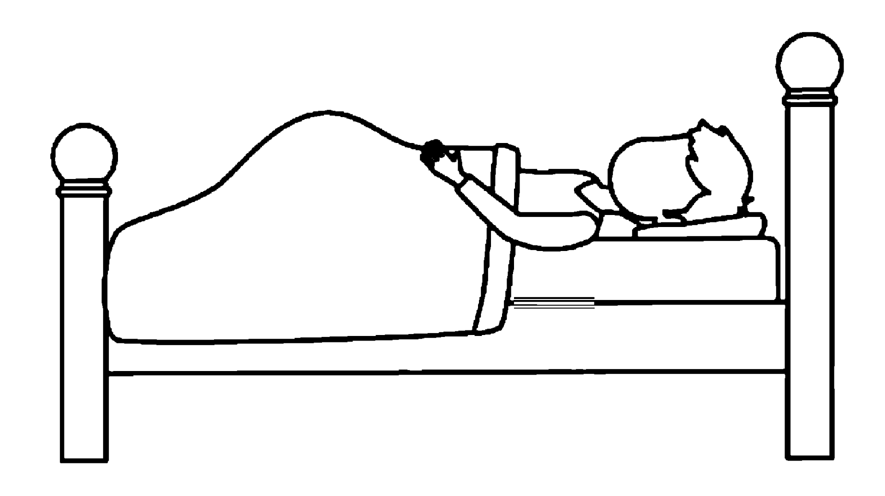
- لماذا؟ ما سبب غضبك؟

- أنا لا.. أنا لا أتذكَّر. أظن أنه شاهد رسائل من شخص على موبايلي، فغضب جدًّا.

- وبالتالي حاصركِ، وهددكِ، كيف حصلتِ على السكين إذًا؟ كانت في حقيبتكِ، أليس كذلك؟

- أنا.. أنا لا أعرف.. الذكريات مشوشة في ذهني للغاية. لم أكن لأفعل أيَّ شيء من هذا لو أمكنني العودة بالزمن للوراء.. لم أكن لأفعل.

المريض



"أُريد أن أصدقها. أريد أن أصدق أنه كان دفاعًا عن النفس.. أقصد أنني في المرَّة الأولى كنت غاضبة بالفعل. كنت مُقتنعة بأن "سومتو" استحق ما جرى له. كما أنه كان.. لزجًا.. يلعق شفتيه باستمرار، ويتحسس جسدها باستمرار. حتى إنني لمحته ذات مرَّة وهو يهرش في...".

نظرت إلى "مختار" فوجدته جامدًا. تخيَّلت للحظة أنه سيتدخل ليخبرني أن هرش الرجل في... ليس بجريمة.

"طبعًا يا "مختار".. معك حق.. ولكن هذا انطباع عن شخصية.. أعني أنه قميء وقذر، وهو ما دفعني إلى أن أصدق كل ما حكته أختي عنه تبريرًا لما فعلته به. كما أن "بيتر" بدوره كان.. خبيثًا غامضًا.. كان يقول إنه رجل أعمال ودائمًا ما يرد على سؤالك بسؤال.. لا أحد يحب شخصية مثل هذه.. ولكن "فيمي".. "فيمي" كان مختلفًا".

يكاد يسألني "مختار" عن وجه الاختلاف فيه.. ألم يكن مهووسًا بجمال "أيولا".. مثله مثل "بيتر" و"سومتو"؟

"الكل مهووس بها يا مختار".

يقول لي إنه على الأقل ليس كذلك، فأضحك.

"ولكنك لم ترها من قبل..".

انفتح الباب فجأة، فجفلت في مقعدي. دلف "تيد" إلى الغُرفة.

- قلت إنني سأجدكِ هنا. يبدو أنكِ تعتنين بحق بهذا المريض.. أليس كذلك؟

- لم تعد عائلته تزوره كثيرًا كما كانت تفعل من قبل.

- بالفعل، هذا محزن. ولكنها الدنيا. لقد كان أستاذًا جامعيًا.

- ما زال.

- ماذا؟

- أنت قلت كان.. ولكنه لم يمت.. بعد على الأقل.

- أجل.. عذرًا.

- قلت إنك كنت تبحث عنّي؟

- لم تتصل "أيولا" بي.. اتصلت بها مرَّات عدة. لا ترد.

أعترف بأنني شعرت بالحرج. فأنا لم أحكِ لـ"مختار" حتى الآن عن علاقة "أيولا" و"تيد".

- إنها ليست مغرمة بالمكالمات التليفونية.

- أعرف ذلك. ولكن هذه المرَّة مختلفة. لقد مرَّ أسبوعان. هلّا أخبرتِها عن ذلك؟ اعرفي منها إن كنت قد أغضبتها دون أن أنتبه.

- أفضل ألا أتدخل.

- رجاءً، من أجلي.

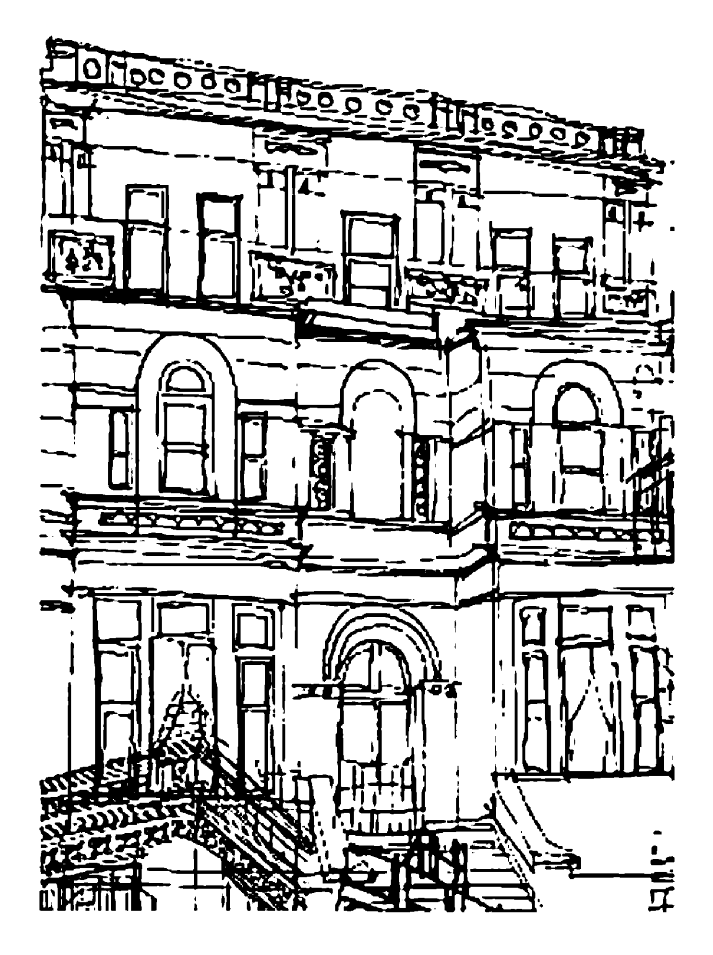
كان جاثيًا على رُكبته وهو يمسك بيدي، يترجاني.

كان يجب أن أرفض، ولكن دفء يده التي تحتضن يدي طيَّر عقلي، فوجدتني أومئ برأسي مطمئنة إيَّاه.

- أشكركِ.. هذا جميل لن أنساه.

غادرني، وتركني وحدي مع "مختار" وأجهزته. وشعرت بسخافة أن أظل هنا لمدة أطول مما قضيتها بالفعل.

عاملة النَّظافة



أرسلت عائلة "فيمي" عاملة نظافة إلى منزله، حتى تنظفه، تمهيدًا لعرضه للبيع. وكأنها ارتضت بالأمر الواقع، كما ظننت. ولكن عاملة النظافة وجدت منديلًا مُبقعًا بالدم في طيات الأريكة. وسرعان ما انتشرت صورة منديل الدّم عبر "سناب شات"، حتى يعرف العالم أنه أيًّا كان ما جرى لـ"فيمي" فقد جرى له جبرًا لا اختيار. وعادت العائلة تطلب فتح ملف التحقيق في اختفائه.

أخبرتني "أيولا" أنها ربما تكون قد جلست إلى تلك الأريكة، وأنها ربما نسيت ذلك المنديل..

- لا بأس.. إن سألني أحد عنه سأخبره أنه كان يُعاني من نزيف بسيط في الأنف.

كانت تجلس أمام التسريحة تعتني بضفائرها بكل ارتياح، بينما كنت أقف خلفها، أحاول كتم حنقي.

- "أيولا".. لو أنكِ دخلتِ السجن فـ..

- لا يدخل السجن إلا المذنبين.

- أولًا، هذا غير صحيح. ثانيًا، أنتِ بالفعل قتلتِ إنسانًا.

- دفاعًا عن النفس.. سيتفهم القاضي ذلك.. أليس كذلك؟

كانت مُنهمكة في ترصيع وجنتيها ببودرة تجميل. تعيش في عالمها الذي لا بد أن تسير فيه كل الأمور حسبما تحب هي. هذا قانونها الذي تراه يقينًا مثل قانون الجاذبية.

تركتها مع ماكياجها، وخرجت لأجلس أعلى الدَّرَج، وأسندت رأسي إلى الجدار. إعصار يضرب مخي. من المفترض أن يكون الجدار باردًا، ولكن الجو حار.

كلما شعرت بالقلق، ألجأ إلى "مختار"؛ ولكنه في المستشفى، ولا ملاذ لي في هذا المنزل. تخيَّلت للمرَّة الألف رد فعل أُمِّي لو أخبرتها كل الحقيقة:

- أمي.

- نعم؟

- أريد أن أتحدث معكِ عن "أيولا".

- تشاجرتما ثانيةً؟

- كلَّا، أمي.. الأمر.. الأمر أن هناك حادثة لها علاقة بـ"فيمي".

- الولد المفقود؟

- إنه ليس مفقودًا.. إنه مقتول.

- ماذا!!.. ارحمنا يا إلهي!

- أجل.. فعلًا.. ولكن ما لا تعرفينه هو أن "أيولا" هي التي قتلته.

- ما الذي تقولينه؟ أتتهمين أختكِ؟

- هي مَن اتَّصلت بي. وأنا.. رأيت الجُثَّة.. والدَّم.

- اخرسي! أهذا موضوع يحتمل المزاح فيه؟

- امي.. أنا...

- اخرسي! "أيولا" بنت جميلة، ومزاجها جيد.. أليس كذلك؟ أهذا بسبب الغيرة؟

كلَّا، لا جدوى من أن تعرف أمِّي بشيء. إما أن تموت من وقع المفاجأة، وإما أن تظل تنكر وتكذبني. إنها ستنكر حتى لو كانت هي مَن تلقت المكالمة وراحت تساعد في إخفاء الجُثَّة. وبعدها ستلومني أنا لأنني الأخت الكبيرة.. ومسؤولة عن أفعال "أيولا".

هكذا هو الأمر دائمًا. تكسر "أيولا" كوبًا، فأتلقى أنا اللوم لأنني مَن ناولها كوب العصير. ترسب "أيولا" في مادة، فأتحمل اللوم لأنني لم أذاكر لها. تأخذ "أيولا" تفاحة وتغادر المحل دون أن تدفع، فأصبح أنا المُلامة لأنني تركتها تجوع.

تساءلت ماذا سيحدث لو قبضوا على "أيولا". إذا، ولو لمرَّة واحدة، صارت مسؤولة عن تصرفاتها. أتصورها وهي تحاول التملص من إدانتها. دغدغتني الفكرة واستمتعت بها للحظة، ثم أجبرت نفسي على تنحية الخيال جانبًا. إنها أُختي. لا أريدها أن تتعفن في السجن، كما أن "أيولا" التي أعرفها قادرة على أن تقنع المحكمة بأنها بريئة. وأن جرائمها كانت خطأ ضحاياها، وأنها تصرفت كما هو متوقع من أيِّ فائقة جمال في ظل تلك الظروف.

- سيدتي؟

رفعت رأسي، لأجد الخادمة تقف أمامي. في يدها كوب ماء. تناولته منها، ووضعته على جبيني. كان الماء مثلجًا فشعرت براحة لم أشعر بها منذ زمن. شكرتها وانصرفت في صمت كما جاءت.

هناك مطرقة تضرب جنبات رأسي بقوة. تأوَّهت وتقلَّبت في الفراش. لقد نمت بملابسي كاملة، انتبهت إلى الظلمة الحالكة

حولي، وأن الطرق كان على باب الغُرفة وليس في رأسي. نهضت وأنا أحاول مقاومة آثار المسكن الذي تناولته. رحت أفتح الباب. كانت "أيولا".

- اللعنة.. اللعنة.. لقد رؤونا!

- ماذا؟

- انظري!

تناولت الموبايل من يد "أيولا". كان فيديو على "سناب شات".. أرى وجه وكتفي أخت "فيمي". ماكياچها عبثي، ولكنها تبدو مقبولة.

"أصحابي.. لقد أتانا أحد الجيران. لم يكن قد ذكر أيَّ شيء من قبل، لأنه اعتقد أن ما لديه غير مهم، ولكنه بعد أن رأى صورة المنديل الممتلئ دمًا قرر أن يخبرنا بكل ما يعرفه. قال إنه شاهد امرأتين تغادران شقَّة أخي في تلك الليلة.. اثنتان! لم يرهما بوضوح، ولكنه متأكد من أن إحداهما هي "أيولا".. صاحبة أخي. لم تخبرنا "أيولا" من قبل عن وجود امرأة أخرى معها.. فما الذي دعاها إلى أن تكذب؟".

سرت قشعريرة عارمة في جسدي. طرقعت "أيولا" أصابعها وهي تقول:

- لديَّ فكرة!

- ماذا؟!

- سنخبرهم أنني اكتشفت أنكِ كنت على علاقة به من دون علمي.

- ماذا؟!

- وحضرت إلى شقَّته فوجدتكما معًا.. وتشاجرت معه، وأنهيت العلاقة فأسرعت أنتِ خلفي تتوسَّلين إليَّ. ولم أذكر ذلك من قبل لأنني لم أكن أريد أن أسيء إلى شا..

- أنتِ غير معقولة.

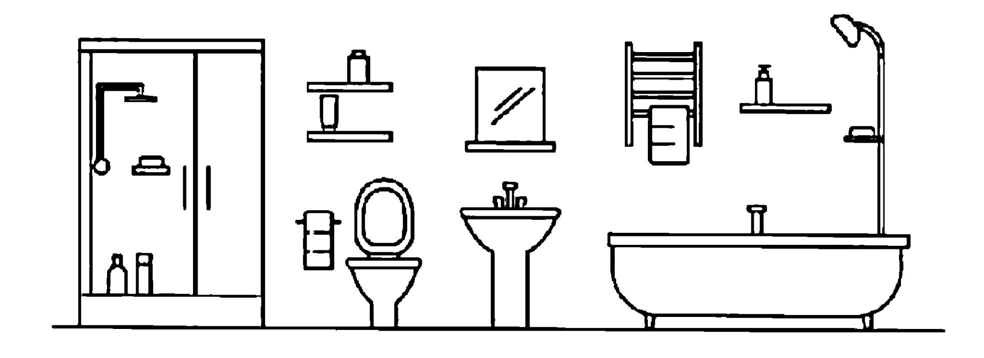
- اسمعي.. أعرف أن هذا سيُسيء إليكِ، ولكنه أفضل من الاختيار الآخر.

كنت أهزُّ رأسي في عدم تصديق، بينما أناولها الموبايل وأفتح الباب لها حتى تخرج وتدعني وحدي.

- حسنًا.. ماذا لو قلنا إنكِ أتيتِ لأنه اتصل بكِ يطلب وساطتكِ بيننا؟ كنت أريد إنهاء العلاقة بيننا، وهو اعتقد أن بمقدوركِ إقناعي.. أو ماذا لو قلنا إنه كان يريد إنهاء العلاقة معكِ ورأى أن أتدخل بينكما.. وأنتِ كنت محرجة من ذكر هذا الأمر من قبل؟.. هل تعتقدين أنهم سيصدقون هذا؟

- اخرجي!

الحمَّام



أجوب غُرفتي.. وحدي.

تمتلك عائلة "فيمي" من المال ما يمكنه إيقاظ روح التحري والبحث والاحترافية الكاملة في جنبات الشرطة. والآن صارت لديهم أسباب تجعلهم يخافون ويرتبكون. وسيبحثون عن إجابات.

وللمرَّة الأولى في حياتي وأنا كبيرة أتمنى لو كان أبي موجودًا إلى جواري. كان ليعرف ما يتوجب فعله. قادر على السيطرة. لم يكن ليسمح لأخطاء ابنته الشنيعة بأن تدمر سُمعته؛ وكان لينهي الأمر كله بأسرع ما يكون ومنذ أسابيع.

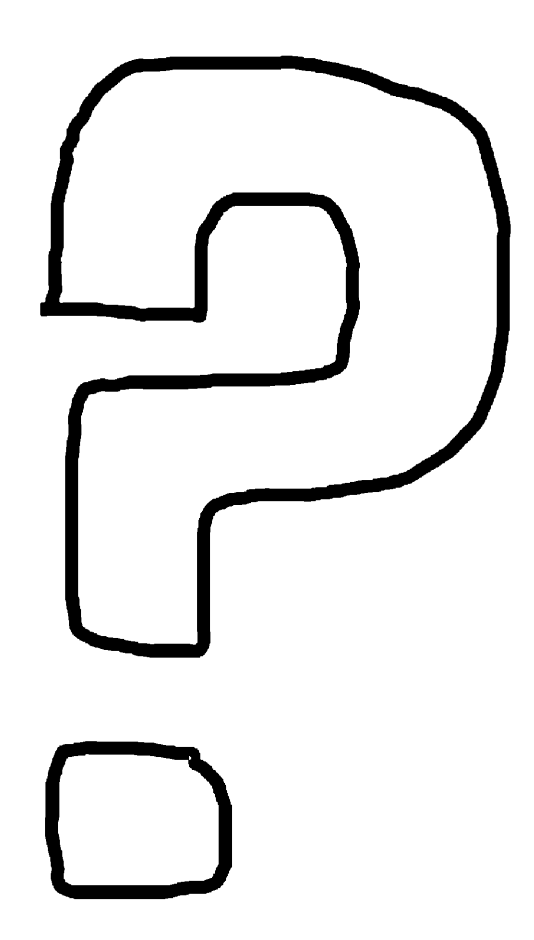
ولكنني أشك في أن ترتكب "أيولا" جرائمها وهو في هذه الدنيا. فهي لم تكُن تخشى إلا عقابه.

جلست إلى فراشي، وقضيت الليل أفكِّر في مقتل "فيمي". تشاجرا.. مثلًا. وكانت سكين "أيولا" في حقيبتها، كما هي عادتها. طعنته، ثم تركته في الحمَّام لتتصل بي. وضعت المنديل على الأريكة وجلست فوقه. انتظرتني. وصلت، ونقلنا الجُثَّة. تلك هي اللحظة التي خرجنا فيها من شقَّته. أستطيع أن أؤكد أن أحدًا لم يلمحنا بصحبة الجُثَّة، ولكنني لستُ مُتيقِّنة تمامًا.

لن تجد في غُرفتي أيَّ شيء ليس في مكانه.. مهندمة مرتبة دائمًا. "اللابتوب" فوق مكتبي، وشاحن الموبايل في مكانه

شيء فوقها، على النقيض من تلك التي في غُرفة "أيولا" والتي غرقت منذ زمن أسفل أكوام الملابس من كل شكل ولون. فراشي مرتب بلا أيّ غلطة. خزانة ملابسي مغلقة، وبداخلها ملابس مرتبة ومُعلّقة ومصنفة حسب لونها. ولكن تنظيف الحمّام والتأكد من تمام نظافته أمر آخر؛ وهكذا شمرت ساعديّ ودخلت الحمّام. الخزانة أسفل الحوض مُمتلئة بكل لوازم التنظيف والتطهير؛ قفازات، ومبيض، ومناديل معقمة، وبخاخ معقم، وإسفنجة، ومنظف قاعدة الحمّام، ومنظف لجميع الأغراض، ومنظف لجميع الأسطح، وغطاس البلاعة، وفوّاحات، وأكياس قمامة. ارتديت القُفّاز وتناولت منظف الأسطح. أحتاج إلى مساحة من الوقت للتفكير.

أسئلة



أرسلوا الشرطة لاستجواب "أيولا". أعتقد أن عائلة "فيمي" سئمت لعب الدور الطيب. أتى الضباط إلى منزلنا، وطلبت مِنِّي أُمِّي أن أحضر لهم بعض المشروبات الباردة.

وما هي إلا دقائق، حتى كان ثلاثتنا، "أيولا"، وماما، وأنا، أمام شرطيان، وبيننا طاولة. يتناولان الكيك، ويشربان الكولا، ويتطاير الفتات من فميهما بينما يطرحان أسئلتهما. الأصغر سنًّا بينهما يحشو فمه كما لو كان لم يأكل شيئًا منذ أيام، على الرغم من

حقيقة أن المقعد الكبير بالكاد يستوعب جسده البدين.

- دعاكِ إلى منزله إذًا؟

- أجل.

- ثم حضرت أختكِ؟

- أها..

- إجابة بنعمُ أو بلا.. سيدتي.

- نعم.

طلبت منها أن تحافظ على إجاباتها قصيرة ومحددة، حتى تتفادى الكذب بقدر ما أمكنها ذلك، وأن تنظر في عينيه وهي تتكلم.

عندما أبلغتني أنهم قادمون، أخذت "أيولا" سريعًا إلى مكتب أبي.

بعد أن أفرغناه من الكتب والمقتنيات التذكارية، أضحى مساحة مغبرة ليس بها سوى مكتب ومقعد وسجادة صغيرة. معتم كئيب، حاولت تخفيف تأثيره السلبي بفتح الستائر، فكشف ضوء الشمس عن الغبار في كل مكان.

- لماذا أتيت بي إلى هنا؟

- يجب أن نتحدث.

- هنا؟

طبعًا.. فلا شيء يُشتِّت الانتباه هنا.. لا فراش لترقد "أيولا" عليه، ولا تليفزيون لتنشغل به، ولا دُمية تتلاعب بها.

- اجلسي..

أطاعتني مُتبرِّمة.

- متى كانت آخر مرَّة التقيتِ فيها "فيمي"؟

- ماذا؟! أنتِ تعرفين متى الـ..

- "أيولا".. لا بد أن نكون جاهزين لتلك الأسئلة.

اتَّسعت عيناها، وسرعان ما ابتسمت. صارت مرتاحة الآن.

- لا.. يجب ألا تُبدي مرتاحة الأعصاب إلى هذا الحد أمامهم. حتى البريء يكون متوترًا في موقف مثل هذا. لماذا قتلتِه؟

- هل سيسألون هذا السؤال فعلًا؟

- ربما يريدون أن يوقعوكِ.

نظرت إليَّ في عينيَّ نظرات ثابتة، وهي تقول:

- أنا لم أقتله.

أجل.. أتذكَّر الآن أنني لم أكن مضطرة إلى تدريبها على نظرات العينين. إنها محترفة للغاية في هذه الجزئية. حتى إن الضابط الصَّغير تفادى نظراتها في حرج، وهو يسألها:

- كم مرَّ على علاقتكما معًا، سيدتي؟

- شهر.

- تلك ليست بالفترة الطويلة.

تجاهلت التعليق على كلامه.. وشعرت بالفخر لأدائها.

- ولكنه كان يريد الانفصال عنكِ؟

- نعم.

- أم أن العكس هو الصحيح؟

أتساءل عمَّا إذا كانت "أيولا" على حق أنني أثناء غضبي أغفلت صعوبة احتمال أن يتركها رجل بحرية إرادته وعن طيب خاطر. إننا وحتى الآن غائبون جميعًا في ظل حضورها القوي. كانت ترتدي ملابس بسيطة؛ بلوزة رمادية، وبنطلونًا كحليًّا، ولم تضع

أيَّ مـاكياچ سـوى تحـديد حاجبيـها، ولـم تضـع أيَّ مجوهـرات، فظهرت أصغر سنًّا وأكثر نضارة. وكلما منحت الشرطيين ابتسامة عرضية، ظهرت غمَّازتاها.

تنحنحت، وأنا أتمنى أن تنتبه "أيولا" لهذه الإشارة.

- أيهم أن تعرف مَن كان الطرف الذي رغب في إنهاء العلاقة؟

- نريد أن نعرف يا سيدتي.

تنهَّدت، وهي تشابك أصابعها.

- كنت أهتم به، ولكنه ليس النوع الذي يعجبني إلى ذاك الحد..

أختي تمارس المهنة الخطأ. يجب أن تكون نجمة أمام الكاميرات التي عليها أن تبرز كل تلك البراءة الكامنة فيها.

سألها الضابط الأصغر سنًّا:

- وما النوع الذي يعجبكِ يا سيدتي؟

بادر الضابط الأكبر بتغيير الموضوع:

- إذًا تدخَّلت أُختكِ في العلاقة بينكما؟

- أجل، حضرت للمساعدة.

- وهل فعلت؟

- فعلت ماذا؟

- هل ساعدت؟ هل عادت المياه إلى مجاريها؟

- كلَّا.. انتهى الأمر.

- إذًا خرجتِ أنتِ وأختكِ من الشَّقَّة وتركتاه.

- مممممم..

- نعم، أم لا؟

تدخَّلت أمِّي للمرَّة الأولى:

- لقد أجابتك بالفعل.

أشعر بصُداع شديد يقترب من رأسي. هذا ليس وقت مشهد الدبة الأم الشرسة. ولكن الكيل طفح بها الآن، بعد أن حافظت على هدوء أعصابها طوال الجلسة. أعرف أن أغلب هذه التفاصيل جديدة عليها. لمحت "أيولا" وهي تربت على يدها لتطمئنها.

- لا بأس، ماما، إنهما يقومان بعملهما. وإجابتي هي نعم.

- شكرًا، سيدتي. ماذا كان يفعل وقت أن تركتماه؟

عضَّت "أيولا" على شفتيها، ونظرت نحو السقف، وهي تقول:

- أوصلنا حتى الباب ثم أغلقه خلفنا.

- أكان غاضبًا؟

- كلَّا.. كان مستسلمًا.

- مستسلمًا؟

تنهَّدت تنهيدة كانت مزيجًا بين التعب والأسى. راقبناها وهي تلف ضفيرة من ضفائرها حول إصبعها.

- أعني أنه تقبل حقيقة أن العلاقة انتهت إلى هذا الحد.

- سيدة "كوريدي"، هل توافقينها الرأي؟ هل تقبل السيد "دوراند" الأمر الواقع؟

حضرت في مخيلتي صورة جُثَّته.. نصف راقدة، ونصف جالسة على أرضية الحمَّام وسط بركة دم. أشك في أنه كان لديه وقت لتقبل الأمر الواقع والتصالح مع مصيره، ناهيك عن قبوله.

- أتخيل أنه لم يكن راضيًا. ولكن لم يكن هناك من شيء يمكنه فعله لإثنائها عن رأيها.

- متى عدتما بعدها معًا إلى هنا في السيارة؟

- أجل.

- السيارة نفسها؟

- أجل.

- سيارة آنسة "كوريدي"؟

لم أشعر بأظافري وهي تكاد تخترق فخذيَّ من فرط التوتُّر. لماذا اهتمَّا بالسيارة؟ ما الذي يمكن أن يتشككا فيه؟ هل رآنا أحد ونحن ننقل الجُثَّة؟ حاولت إبطاء سرعة أنفاسي المتلاحقة من دون أن ألفت الانتباه إليَّ. كلا.. لم يرنا أحد. لو أن هذا حدث، لما كان هذا الاستجواب ليتم في منزلنا من الأساس. نحن لسنا في دائرة شكوك هذين الضابطين. ربما تقاضيا مالًا لاستجوابنا بهذه الطريقة.

- أجل.

- إذًا.. كيف وصلتِ إلى منزله.. آنسة "أيولا"؟

- "أوبر".. أنا لا أحب قيادة السيارات.

إجابة مُقنعة.

- هل يمكننا تفقُّد سيارتكِ.. آنسة "كوريدي"؟

تدخَّلت أُمِّي للمرَّة الثانية:

- لماذا؟

كان يجب أن تتحرك مشاعري وأنا أجدها تبادر بالدفاع عنِّي؛ ولكنني كنت حانقة من كونها لا تعرف أيَّ شيء. لماذا أتركها في براءتها، بينما أغرق أنا أكثر وأكثر في هذا الوحل؟

- نحن حريصان على تغطية كل جزئية.

- ولماذا يتوجب عليكما ذلك؟ لم تفعل ابنتاي أيَّ خطأ!

نهضت أُمِّي من مقعدها، وكأنها تحول دفاعها من أقوال إلى أفعال. نهض الضابط الأكبر في تبرُّم، بعد أن أزاح مقعده للوراء فوق الأرض الرخامية، وأومأ إلى زميله أن يتبعه. ربما عليَّ أن أساير أمي.. أليس من المفترض أن يغضب البريء في موقف كهذا؟

- سيدتي.. إنها مجرد نظرة سريعة.

- لقد احتملنا بما فيه الكفاية.. أرجو أن تغادرا المنزل.

- سيدتي.. لو أننا غادرنا فسنعود ومعنا إذن رسمي بالتفتيش.

أردت أن أتكلم، ولكن الكلمات علقت في حنجرتي. شلت أفكاري، وتوقفت عند آثار الدَّم التي علقت بصندوق السيارة.

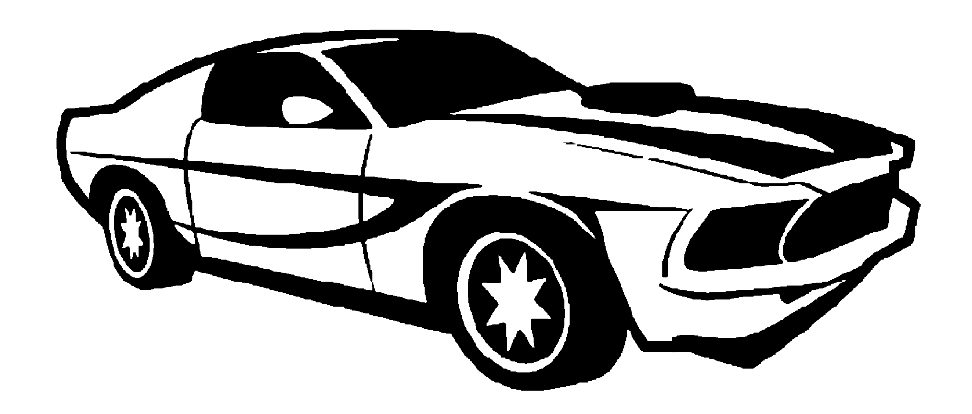
صاحت أُمِّي تطالبهما بالرحيل. وراحت إلى الباب في خطوات واسعة، فكانا مجبرين على اللحاق بها.

ألقيا تحية صامتة على "أيولا" قبل أن يرحلا. وأغلقت أُمِّي الباب خلفهما بقوة.

- ما هذه التصرفات؟!

التزمت الصمت أنا و"أيولا".. وكلتانا تفكران فيما بقي من خيارات متاحة.

دماء



حضروا في اليوم التالي وأخذوا السيارة؛ سيارتي "الفورد فوكس" الفضية. وقف ثلاثتنا عند عتبة الباب، عاقدات الأذرع، نراقب السيارة وهي تبتعد. ينقلون سيارتي إلى مركز الشرطة، في منطقة لم أذهب إليها كثيرًا، لفحصها بدقة بحثًا عن دليل على جريمة لم أرتكبها، بينما تقبع سيارة "أيولا" "الفيستا" بكل أبهة في جراج المجمع السكني. استقرت عيناي على السيارة البيضاء. تبدو لامعة وكأنها غسلت للتَّوِّ. لم تكُن ملوثة بدماء.

التفت إلى "أيولا".

- سأستعير سيارتكِ حتى أذهب للعمل.

- ولكن ماذا لو احتجت إليها خلال النهار؟

- اطلبي "أوبر".

تدخَّلت أُمِّي:

- لماذا لا تقودين سيارتي يا "كوريدي"؟

- سيارتكِ ليست أوتوماتيك. وسيارة "أيولا" موجودة.

عدت إلى داخل المنزل وتوجهت إلى غُرفتي، حتى لا أدع لهما مجالًا للرد. شعرت ببرودة في يديَّ، ففركتهما في بنطلوني الجينز.

نظفت تلك السيارة. كل سنتيمتر فيها. ولو أنهم وجدوا نقطة دم، فستكون من دمائهم هم. طرقت "أيولا" بابي قبل أن تدخل الغُرفة. لم أُبالِ بوجودها وتناولت المكنسة لأنظف أرضية الغُرفة.

- غاضبة مِنِّي؟

- كلّا.

- كان يمكنكِ أن تأخذيها من دون علمي.

- الأمر هو أنني لا أحب أن أبقى من دون سيارة.

- وهذا خطئي أنا.

- أبدًا.. إنه خطأ "فيمي" الذي سمح لجُثّته أن تنزف في صندوق سيارتي.

تنهَّدت، وجلست إلى فراشي، متجاهلة تعبيرات وجهي التي كانت تطالبها بالرحيل.

- لستُ الوحيدة التي تعاني. تتصرفين وكأنكِ تحملين الهم وحدك.. ولكنني مهتمة أيضًا.

- حقًّا؟! سمعتكِ منذ يومين وأنتِ تغنين "أُؤمن أنه يمكنني الطيران" بكل سعادة.

- أغنية تعجبني وحسب.

حاولت ألا أصرخ في وجهها وأنا أمام تجسيد لكل معاني اللا مُبالاة. إنها تذكرني به أكثر وأكثر. كان يرتكب الفظائع ويتصرف وكأنه مواطن صالح وكأن شيئًا لم يكن. هل ورثت عنه هذا البرود؟

ولكن دمها هو دمي.. ودمي هو دمها.

الأب



كنت و"أيولا" نرتدي الملابس نفسها.. "السو إيبي" الأفريقي. وهذا هـو المُعتـاد فـي مناسـبات كـهذه. اختـارت هـي أن يكـون لونـه بنفسجيًّا فاتحًا. وذلك لأنه كان يكره اللون البنفسجي. كما أنها هي مَن صمَّمت الفساتين، وجعلت ردائي أشبه بفستان عروس البحر، بينما صمَّمته لنفسها ضيقًا يبرز مفاتنها. ارتدينا نظارتي شمس حتى لا يعرف أحد أننا لن نبكي.

أُمِّي تبكي في الكنيسة، بحرقة؛ تنتحب بصوت عالٍ وبقوة، حتى إن جسدها لا يتوقف عن الارتجاف. أتساءل عن ذلك الذي تركز على التفكير فيه حتى يدفعها إلى كل هذا البكاء.. هشاشتها؟ أو

ربما هي تذكَّرت وحسب ما فعله بها.. وبنا.

مسحت المكان بعينيَّ، حتى رأيت "تيد" وهو يبحث عن مكان يجلس فيه. همست لها في دهشة:

- دعوتِه؟

- حكيت له عن المناسبة. ويبدو أنه تطوع بالحضور.

- اللعنة.

- ما المشكلة؟ طلبتِ مِنِّي أن أكون لطيفة معه.

- قُلت لكِ أن تُسوِّي أمورَكِ معه. لا أن تحضريه إلى هنا.

قرصتني أُمِّي حتى أخرس. وضع أحدهم يده في رفق على كتفي، ظنًّا منه أن ارتجاف جسدي الآن بسبب فرط مشاعري.

- لنغمض أعيننا ونتذكر هذا الرجل، فالأعوام التي قضاها معنا في هذه الدنيا كانت هبة من الرَّبِّ.

كان صوت القس هادئًا وقورًا. يسهل عليه التَّفوُّه بمثل هذه الكلمات، فهو لم يعرفه. لم يعرفه أحد.

أغمضت عينيَّ وتمتمت ببعض كلمات امتنان لتلك القوى التي تحبس روحه. بحثت "أيولا" عن يدي، وتشبَّثت بها.

عقب مراسم التأبين، بادر الحضور بالاقتراب منَّا ومُواساتنا. اقتربت امرأة مِنِّي وحضنتني بشدَّة. وهمست في أُذني:

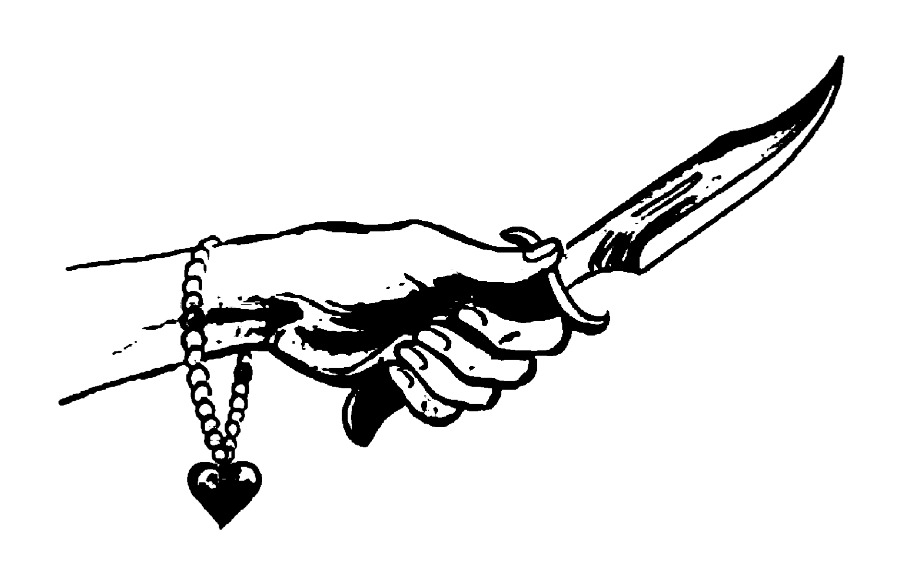
- كان أبوكِ رجلًا عظيمًا. وكان دائمًا ما يتصل بي ليطمئن عليَّ، وساعد في مصاريف مدرستي.

كدت أخبرها أن له عشيقات في عديد من جامعات "لاجوس". فشلنا في الإحاطة بعددهن. وقد أخبرني ذات مرَّة أن على الإنسان أن يطعم البقرة جيدًا قبل أن يذبحها؛ ذلك كان أسلوب حياته.

- أجل.. لقد دفع كثيرًا من المصاريف.

ما دمت غنيًّا، فإن فتيات الجامعة يلتصقن بك التصاق الطحالب بالحوت. تبسمت لي، وشكرتني قبل أن تبتعد.

بعض الناس نعرفهم، وكثير منهم لا نتذكرهم، ولكننا كُنَّا نوزع الابتسامات عليهم. ولما وجدت وقتًا أختلي فيه بنفسي، خرجت لأتصـل بمـركز الشـرطة أسـألهم عـن موعـد إعادتـهم لسـيارتي. الحقيقة، إنني كنت أريد أن أتأكد من أنهم لم يجدوا فيها أيَّ أثر، ولكنني تظاهرت بالغضب من تأخيرهم سيارتي، حتى والرجل على الطرف الآخر لا يلقي بالًا لما يسمعه.



عدت في اللحظة التي كانت فيها العمَّة "تايو" في وسط أرض الرقص تثبت للكل مدى براعتها في أداء خطوات إيقاعية غريبة. وكانت "أيولا" جالسة بين ثلاثة شباب، يتنافسون على نظرة منها. آمالهم زادت بعد أن غادر "تيد" المكان. حاول "تيد" أن يبدي لها حسن مساندته، كما يليق برجل محترم؛ ولكن "أيولا" انشغلت عنه فـي سعيها للبقاء في دائرة الضوء. لو كان معي أنا لما تركت جواره. أشحت بوجهي عنها، وأنا أرشف شرابي.



"الماجا".. صديق

- سيدتي؛ هناك رجل بالخارج يودُّ لقاءكِ.

كانت "أيولا" تشاهد فيلمًا على الـ"لاب توب" في غُرفتي. يمكن أن تشاهده في غُرفتها، لكنها دائمًا مرتاحة في غُرفتي. ترفع رأسها لتلقي نظرة على الخادمة. جلست على الفور. لا بد أنها الشرطة. سرت البرودة في يديَّ.

- مَن هو؟

- لا أعرف، سيدتي.

حدجتني "أيولا" بنظرة عصبية وهي تنهض من سريري، وتبعتها إلى الخارج. كان الرجل جالسًا إلى الأريكة، وسرعان ما أدركت أنه ليس من الشرطة، كما أنه ليس "تيد". غريب يحمل باقة ورد.

- "جبوييجا"!

ركضت نحوه، واحتضنها بين ذراعيه، قبل أن يدور بها، ثم يُقبِّلها.

أما "جبوبيجا" هذا فهو طويل القامة، ذو كرش عظيم. وجهه مستدير، ومُلتحٍ، وعيناه صغيرتان وحادتان. من الواضح أنه أكبر بخمسة عشر عامًا على الأقل من "أيولا". إذا أمعنت النظر فيه، يمكن أن أتبين تلك الجاذبية. ولكنني أول ما رأيته هو ساعة باهظة ماركة "بولجاري" في معصمه وحذاء "فيراجامو" في قدميه. وجدته ينظر إليَّ.

- أهلًا..

- "جبوبيجا".. هذه "كوريدي".. أختي الكبيرة.

- يسعدني لقاؤكِ، "كوريدي". تخبرني "أيولا" أنكِ تعتنين بها.

- اعذرني، ولكنها لم تحدثني عنك أبدًا.

ضحكت "أيولا" وكأنني ألقيت نكتة، وأشاحت بيدها وكأنها تبعد وقع كلامي عنها.

- كنت اتصلت قبلها؛ "جبوبي".

- أعرف أنكِ تحبين المفاجآت.. كما أنني وصلت للتَّوِّ.

مال عليها ولثم قُبلة على شفتيها. كتمت غيظي، وهو يناولها باقة الورد بينما تعبِّر هي عن فرحتها بشكل فجٍّ.. كانت باقة متواضعة لا تقارن أبدًا بتلك التي كان يحضرها "تيد".

- هيَّا نخرج.

- حسنًا، سأغير ملابسي أولًا. "كوريدي"، هلَّا جلستِ مع "جبوبي"؟

لم تنتظر مِنِّي ردًّا، وهي تهرع إلى أعلى. ولكنني تجاهلت طلبها، وكدت ألحق بها، لولا أنه خاطبني.

- أنتِ مُمرِّضة؟

توقَّفت في مكاني، وأنا أتنهَّد في فروغ صبر.

- وأنت متزوج.

- ماذا؟

- أثر خاتم الزواج واضح في إصبعك. موضعه أفتح من بقيَّة أصابعك.

هزَّ رأسه وهو يبتسم:

- "أيولا" تعلم.

- طبعًا.. أنا متأكدة من ذلك.

- أنا مهتم بها. أريد لها أفضل الأشياء. أنا مَن منحها أموال الموضة التي تنفذها. وأنا مَن دفع رسوم دراستها.

اندهشت من هذه المعلومات الجديدة. كانت قد أخبرتني أنها دفعت تلك المصاريف من عائد مقاطع الفيديو التي تنشرها عبر "يوتيوب". حتى إنها أعطتني مُحاضرات في جهلي بهذا النوع من الأعمال المُربحة. كلما تحدث هذا الرجل أكثر، تبين لي أنني مجرد مُغفَّلة. مشكلتي ليست "جبوبيجا"، إنه مجرد رجل آخر تستغله "أيولا"، بل أنا مشفقة عليه. رغبت في أن أخبره أن بيننا قواسم مشتركة، وبينما كان يتفاخر بما قدمه لها، كنت أندم في كل ثانية على ما قدمته أنا لها. وحتى أدفعه إلى الصمت، قدمت له قطعة كيك.

- أحب الكيك.. هل لديكِ شاي؟

أومأت له أن نعم.. فغمز لي بعينه شاكرًا.

- "كوريدي"، من فضلك، لا تبصقي في فنجان الشاي.

طلبت من الخادمة إحضار الشاي، ومررت من المطبخ إلى الطابق العلوي، بحثًا عن "أيولا". كانت منشغلة بوضع الكحل؛ "الآيلاينر".

- ما هذا الذي يجري بحق الجحيم؟

- لهذا لم أرغب في أن تعرفي. صرتِ حساسة للغاية.

- حقًّا؟ أخبرني أنه يدفع مصاريفكِ. كل شيء. على عكس ما كنتِ تقولين.

- اعتبريه راعيًا، "سبونسر".

- وماذا عن، ماذا عن "تيد"؟

- لن يضره شيء ما دام لا يعرف. أتلومينني لرغبتي في إضفاء بعض الإثارة على حياتي؟ "تيد" ممل للغاية. ولحوح.. وأنا لا أريد صُداعًا.

- ما بكِ؟ متى تتوقّفين عن كل هذا؟

- أتوقّف عن ماذا؟

- "أيولا"، من الأفضل أن تقطعي علاقتكِ بهذا الرجل، وإلا فإنني أقسم أن..

- تقسمين؟

كانت تُحدِّق فيَّ بكل استغراب.

الحق، إنني لا أفعل أيَّ شيء. أريد تهديدها وحسب، لأقول لها إنها إذا لم تستمع إليَّ، فسيتعيَّن عليها التعامل مع عواقب تصرفاتها بنفسها ولو لمرَّة واحدة. أردت أن أصرخ.. وأصرخ فيها.. ولكنني أعرف أنني سأصرخ في جدار أصم. أسرعت الخطى إلى غُرفة نومي. وبعد نصف الساعة، كانت تغادر المنزل بصحبة "جبوييجا".

لم تعد قبل الواحدة بعد منتصف الليل.

ولم أنم قبل الواحدة بعد منتصف الليل.

الأب



كان يعود في كثير من الأحيان إلى المنزل في وقت متأخر، لكنني أتذكَّر تلك الليلة، لأنه لم يكن وحده. كانت معه امرأة صفراء. خرجنا من غُرفتي على صراخ أُمِّي. كانت والدتي في ملابس نومها المُعتادة.

لم ترفع صوتها عليه من قبل، ولكنها كانت مجنونة في تلك الليلة. أصابها مسٌّ من الجنون بسبب ما فعل. كانت تشبه الأسطورة الإغريقية "ميدوسا"، وكان أبي وهذه المرأة تمثالين أمامها. انقضَّت عليه، وجذبت المرأة من ذراعه.

لم تكُن تصرخ في زوجها، بل في وجه تلك الدخيلة. أتذكَّر أنني كنت أهمس لوالدتي كي تهدأ، على الرغم من الدموع في عيني. وأتذكَّر أنني كنت أفكِّر في أنها تبدو سخيفة، بينما يقف منتصبًا غير مُبالٍ أمامها. قال لها بنبرة صلبة:

- إن لم تخرسي الآن فسأعلمكِ كيف تخرسين.

وقفت "أيولا" بجواري، كاتمة أنفاسها. كان دائمًا ينفذ تهديداته. لكن هذه المرَّة كانت والدتي غير مُبالية، إنها في تحدٍّ مع امرأة، عرفت الآن أنها لم تكُن تتجاوز العشرين، رغم أنها بدت لي يومها ناضجة راشدة. وأفهم الآن أيضًا أنه على الرغم من أن والدتي كانت تدرك سوء تقديره، ومُعتادة على تصرفاته تلك، فإن وقاحة أن يحضر امرأة معه إلى منزلها كانت أشد وطأة من أن تتحمَّلها.

كانت الفتاة تحاول التملُّص من قبضة أُمِّي دون جدوى، فأخذت تصرخ في يأس.

وما هي إلا دقيقة، حتى كان يجذب أُمِّي من شعرها، ويدفع بها بكل قوة لترتطم بالجدار. وبعدها لطمها على وجهها. تشبَّثت "أيولا" بجسدي من دون أن تعي أنها تفعل. وتعالت ضحكات "المرأة".

- انظري.. صديقي لن يسمح لكِ بأن تمسيني بأذى.

انزلق جسد أُمِّي الواهن من الجدار إلى الأرض. مرًّا من فوقه، وذهبا إلى غُرفة نومه. انتظرنا حتى غابا، ثم ركضنا لمساعدتها. لم تكُن هناك من تعزية قادرة على تهدئتها. أرادت أن تبقى وحدها تبكي. كان عويلًا، وليس بُكاءً. وكان عليَّ أن أخرجها مما هي فيه.

- ماما؛ أرجوكِ دعينا نصعد لغرفتنا.

في تلك الليلة، نام ثلاثتنا معًا.

في صباح اليوم التالي، اختفت الفتاة التي كانت بشرتها بلون الموز، وجلسنا حول المائدة لتناول الإفطار، في صمت، باستثناء

والدي الذي تحدَّث بصوت عالٍ عن نهاره الجديد، وشكر "زوجته المثالية" على إفطارها الممتاز. لم يكن يرضيها، بل بدا وكأن شيئًا لم يكن بالنسبة له.

ولم يمر وقت طويل قبل أن تبدأ أُمِّي في الاعتماد على "أمبين"، خادمتنا.

بحث



أُحدِّق في صورة "جبوبيجا" على "الفيسبوك". الرجل الذي أراه أمامي نسخة أصغر وأنحف منه. أتصفَّح صوره حتى أشعر بأنني عرفت أيَّ نوع من الرجال هو. وهذه هي المعلومات التي جمعتها عنه؛ لديه زوجة أنيقة وثلاثة أولاد طوال القامة: اثنان يدرسان الآن في إنجلترا، في حين لا يزال الثالث في المدرسة الثانوية هنا. يقيمون في منزل من دورين في جزيرة "بانانا"؛ واحدة من أغلى مناطق العقارات في "لاجوس". يعمل في مجال النفط والغاز. معظم صوره لأيام العُطلات التي قضتها العائلة في فرنسا وأمريكا ودبي، وغيرها. إنهم مثال لأسرة من الطبقة المتوسطة العليا في نيجيريا.

إذا كانت حياته تمضي على هذا النحو، فمن المنطقي أن تعجبه فتاة مثل "أيولا"، بكل ما تمثله من انطلاق وعفوية. إنه يعلق كثيرًا على جمال وروعة زوجته، وكيف أنه محظوظ بكونه زوجها، وأتساءل عما إذا كانت زوجته تعلم أن زوجها يبحث عن

نساء أخريات. إنها جميلة بالفعل. على الرغم من أنها أنجبت ثلاثة أبناء وتجاوزت ريعان شبابها، فإنها حافظت على شخصية رائعة. تجيد وضع الماكياج والاعتناء بملابسها وتضع أمواله في المكان الصحيح.

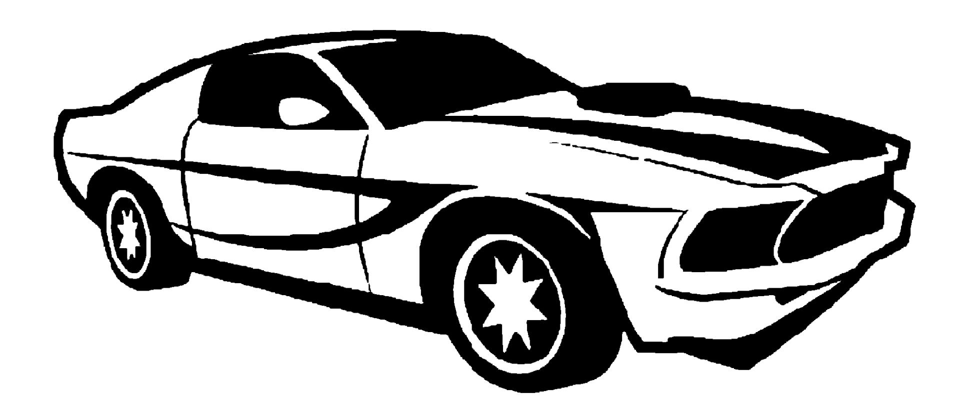
كنت أتصل بـ"أيولا" باستمرار طوال النهار، خاصة أنني لا أعرف أين هي. غادرت المنزل في الصباح الباكر وأبلغت أُمِّي أنها مسافرة. ولم تكلف نفسها عناء إخباري. كان "تيد" يتصل بي باستمرار أيضًا ولم أرد عليه. ماذا عساي أن أقول له؟ فليس لديَّ أيُّ فكرة عن مكان وجودها، أو ماذا تفعل. "أيولا" لا تعرفني إلا وقت المصائب. أحضرت لي الخادمة كوب عصير بارد، بينما كنت مستغرقة في التنقيب وراء الرجل. الجو جهنم في الخارج، لذلك أفضل قضاء إجازتي في المنزل.

زوجة "جبوييجا" قليلة النشاط على "الفيسبوك"، ولكنني وجدت حسابها على "الإنستجرام". منشوراتها كثيرة جدًّا عن زوجها وأولادها، ولا تهتم إلا بصور الطعام ومنشورات هنا وهناك تنتقد نظام الرئيس "محمد بخاري". منشورها اليوم عبارة عن صورة قديمة تجمعها وزوجها يوم زفافهما. تنظر ضاحكة إلى الكاميرا وهو ينظر إليها بمحبَّة صادقة. يقول التعليق:

"قلبي ووالد أبنائي. أشكر الله على اليوم الذي رأيتك فيه. لم أكن أعرف يومها أنك كنت تخجل من التحدث إليّ، ولكنني سعيدة لأنك تغلبت على خجلك. لا أتصوَّر حياتي من دونك. أشكرك على أنك فارس أحلامي. عيد زواج سعيد".

#كل_يوم #ذكريات_الخميس #الحب_الحقيقي #شكرًا #اعتزازي

السيارة



أعادت الشرطة سيارتي، عند المستشفى. أصابني القلق عندما رأيتهم يدخلون صالة الاستقبال بزيِّهِم الرسمي. همست لهم في حنق:

- ألم يكن من الأفضل أن تعيدوها عند منزلي؟

لمحت بطرف عيني "تشيتشي" وهي تقترب.

أجابني وهو يناولني الإيصال:

- اشكري الله على أننا أعدناها لكِ من الأصل.

قصاصة ورقية مُدوَّن فيها رقم لوحة سيارتي، وتاريخ إعادتها، وإجمالي مصاريف خمسة آلاف نيرة.

- وما هذا المبلغ؟

أجاب الضابط الصَّغير، الذي كان موجودًا في منزلنا ونسى أمر التحقيق كله لخاطر "أيولا":

- تكاليف النقل والخدمات اللوجستية.

وجدته هذه المرَّة متحفِّزًا ومُستعدًّا للنيل مِنِّي عند أيٍّ بادرة. تمنَّيت للحظة لو أن "أيولا" هنا.

- معذرة؟!

تكاد "تشيتشي" تصل إليّ. ليس من مصلحتي أن أطيل هذا الحوار أكثر من ذلك. فكرت أنهم اختاروا إحضار السيارة إلى مكان عملي لهذا السبب بالذات. فعند منزلي أكون أنا المُسيطرة على الموقف. ويكون بمقدوري ببساطة أن أطلب منهم مغادرة المجمع السكني. أما هنا، فأنا تحت رحمتهم.

- هذه تكاليف نقل السيارة إلى مركز الشرطة، ومن ثم إلى هنا.. خمسة آلاف.

ليس من مصلحتي الشجار معهم؛ كل همي الآن أن يغادروا قبل أن يلفتوا مزيدًا من الأنظار. العيون عليّ وعلى السيارة، وعلى هذين المتحذلقين.

نظرت إلى سيارتي. مُتَّسخة، غطَّاها الغبار. أستطيع رؤية علبة طعام في المقعد الخلفي. أستطيع أن أتخيَّل حال صندوق السيارة. لقد لوثوا كل جزء في سيارتي بأيديهم القذرة، ولن ينجح أيّ قدر من التنظيف في محو آثارهم.

وما باليد حيلة. أخرجت من جيب نقود وعددت منها المبلغ.

- هل وجدتم فيها أيّ شيء؟

- كلَّا؛ سيارتكِ نظيفة.

كنت أعلم أنني قمت بعملي على نحو بارع. كنت أعلم أنهم لن يجدوا فيها أيّ شيء. ولكن سماع ذلك منهما أطربني. وبغتة، سمعت صوتها من خلفي.

- صباح الخير!

ما الذي يبقي "تشيتشي" هنا؟ ورديتها انتهت منذ نصف الساعة. ردا عليها صباح الخير بالقدر نفسه من الجذل والسعادة.

- أحسنتما، أرى أنكما أعدتما سيارة زميلتي.

- طبعًا، على الرغم من أننا في غاية الانشغال.

أجابها الضابط الصَّغير، وهو مستند إلى سيارتي بيده الضَّخمة.

- برافو.. برافو.. لقد كانت مضطرة لاستعارة سيارة أُختها.

ناولتهما النقود، فمنحاني المفتاح. تظاهرت "تشيتشي" أنها لم ترَ ذلك.

كم يؤلمني أن أتظاهر بالابتسام في هذه اللحظة:

- شكرًا، أعرف أنكما مشغولان للغاية لذلك لا داعي لتعطيلكما أكثر من هذا.

لحظات وابتعدا عن مدخل المستشفى، ربما عليهما الآن استئجار دراجة بخارية لتعيدهما إلى مركز الشرطة. شعرت بتحفُّز "تشيتشي" الواقفة إلى جواري.

- ما الذي حدث؟

سألتها بدوري وأنا أعود إلى داخل المستشفى، وهي في خطاي:

- ما الذي حدث في ماذا؟

- لماذا كانت سيارتكِ عند الشرطة؟ لاحظت من قبل أن سيارتكِ غير موجودة، ولكنني قلت لنفسي ربما هي عند الميكانيكي أو شيء من هذا القبيل. ولم تخطر الشرطة ببالي!

حاولت أن تنطق كلمة الشرطة همسًا، ولكنها فشلت.

كنا ندخل في اللحظة ذاتها التي تدخل فيها السيدة "روتينو". "تيد" لم يحضر بعد، وسيكون عليها أن تنتظر.

جذبت "تشيتشي" يدي وأخذتني نحو غُرفة الأشعَّة.

- ماذا جرى؟

- لا شيء. موضوع يتعلَّق بحادث سيارة. كانوا يحتاجونها لأمور تتعلَّق بالتأمين.

أخذوا السيارة لهذا السبب فحسب؟

- تعرفين أن الشرطة تؤدي عملها دائمًا على أكمل وجه.



كان "تيد" في حالٍ يُرثى لها. قميصه غير مهندم، وربطة عُنقه تائهة فوقه، ويحتاج إلى حلاقة ذقنه. لا غناء، أو صفير له نغمة. ذلك هو جبروت "أيولا". ولا يسعني سوى أن أخضع لهذه الحقيقة، وأنا أرى بعيني مُعاناة "تيد". قال لي:

- هناك شخص آخر.

- شخص آخر؟!

من الواضح أنني بالغت في التمثيل. ولكنه لم ينتبه لذلك وهو مُطرق الرأس. يجلس إلى حافة مكتبه، وذراعاه مُرتخيتان إلى جانبيه، وجسده يكاد يرتجف.

وضعت الملف الذي أحضرته له على المكتب سريعًا، ووضعت يدي عليه في محاولة لتهدئته. قميصه أبيض. ليس البياض الناصع الذي لا بد أنه ميّز قمصان "فيمي"، أو ذلك الذي يُميِّز زيَّ

"تيد" في الاعتناء بملابسه البيضاء، إذا سمح لي بذلك. كنت أربت على ظهره. هل يجد في ذلك أيّ طمأنينة؟ في النهاية، تنهَّد بعُمق.

- من السَّهل التحدث إليكِ يا "كوريدي".

أشمُّ رائحة عطره الممتزجة بعرقه. حرارة الجو في الخارج تتسلل إلى الغُرفة وترطب الهواء المتدفق من جهاز المكيف.

- أنا أحب التحدث إليك.

رفع رأسه لينظر إليّ. ليس بيننا سوى خطوة، كافية لقُبلة. هل شفتاه ناعمتان كما يبدوان من بعيد؟ ابتسم لي في لطف، فابتسمت له.

- أحب أن أتحدث إليكِ. وأتمنَّى أن...

- أن ماذا؟

هل بدأ يدرك أن "أيولا" لا تناسبه؟

أطرق رأسه مُجدَّدًا، فلم أعد قادرة على تمالك نفسي.

- أنت أفضل من دونها، لو تدري.

- ماذا؟

كان صوته ناعمًا، ولكن فيه شيء لم يكن موجودًا من قبل. هل هو الضيق؟

- لماذا تقولين ذلك عن أُختكِ؟

- "تيد".. إنها لم تكـ..

أزاح يدي عنه، ونهض عن المكتب، بعيدًا عنِّي.

- أنتِ أُختها.. يُفترض أن تكوني مُساندة لها.

- أنا دائمًا كذلك.. دائمًا إلى جانبها، الأمر هو أن لها أكثر من جانب.

- أهكذا تُساندينها؟ أخبرتني أنكِ تعاملينها كما لو كانت وحشًا، وأنا لم أصدقها.

أصابتني كلماته مثل سهم. كان صديقي. صديقي أنا. كان يلجأ إليَّ ويستشيرني. ولكنه الآن ينظر إليَّ كما لو كنت غريبة. وكم كرهت منه ذلك. فعلت "أيولا" ما تفعله دائمًا كلما كانت بصُحبة رجل، هذا أعرفه، ولكن، ما عذره هو؟ وضعت ذراعيَّ على بطني، واستدرت، حتى لا يرى ارتجاف شفتيَّ ألمًا.

- أرى أنك تصدقها الآن؟

- أنا متأكد من أنها مُمتنَّة لذلك! ولا عجب في أنها تبحث عن لفت أنظار الرجال.

نطق الكلمة الأخيرة بصعوبة، فهو يعجز عن تخيُّل "أيولا" في أحضان رجل آخر. ضحكت.. لم يسعني سوى ذلك. لقد انتصرت "أيولا" انتصارًا ساحقًا. لقد سافرت إلى دبي بصُحبة "جبوبيجا"، عرفت ذلك من رسالتها على موبايلي، وتركت "تيد" كسير القلب. ولكنه يتَّهمني أنا!

أعتقد أنها نسيت أن تخبره بدورها الكبير في مصرع آخر ثلاثة رجال عرفتهم. تنفَّست بعُمق حتى لا أتفوَّه بكلام أندم عليه لاحقًا. "أيولا" طائشة وأنانية، ولا يهمها أحد، ولكن حياتها وحمايتها تبقى مسؤوليتي.

بطرف عيني لمحت الأوراق بارزة من قلب الملف. لا بد أنه حركها وهو ينهض من فوق المكتب. وبإصبعي سحبت الملف باتجاهي، والتقطته، ثم عدَّلت وضع الأوراق بداخله. أيُّ جدوى في قول الحقيقة؟ إنه لا يريد أن يسمعها، ولا يريد أن يصدق أيَّ شيء أتحدَّث به. إنه يريدها هي فقط.

- ما تحتاج إليه هو دعمكِ وحبكِ. عندئذٍ، ستستقر عاطفيًّا.

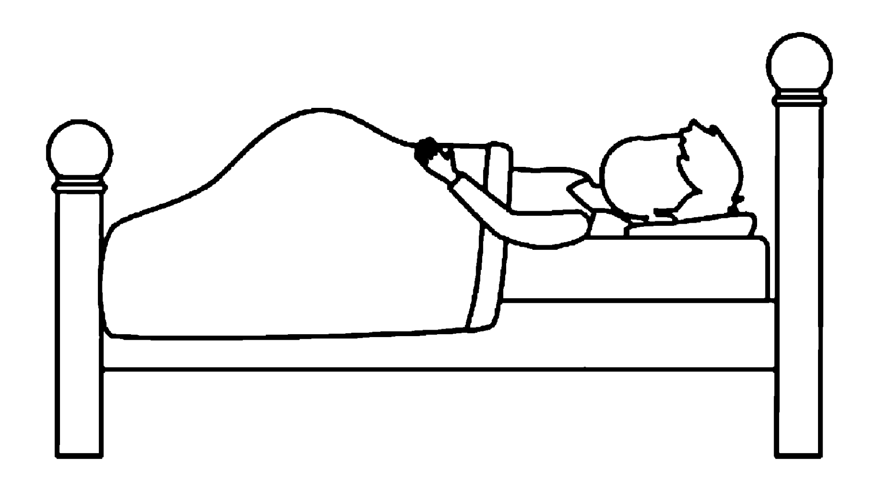
لماذا لا يخرس؟ أكاد أُمزِّق الملف الذي بين يديَّ، وأنا أشعر ببوادر صُداع يجتاح رأسي.

- أنتِ أُختها الكبيرة. وعليكِ أن تتصرَّفي على هذا النحو. ولكنني لا أرى منكِ إلا النقيض.

"هذا بسببك أنت"؛ كدت أنطق بها.. ولكنني سكت. لم تعد لديَّ رغبة في الدفاع عن نفسي.

هل يودُّ أن يُلقي عليَّ مُحاضرات على هذا النحو؟ وضعت الملف فوق مكتبه ثانيةً، وسارعت بمُغادرة الغُرفة. خُيِّل إليَّ أنني سمعته يُنادي عليَّ وأنا أفتح الباب. ولكن الواضح هو أنني لا أسمع سوى صوت ذلك الطرق العنيف على جنبات رأسي.

المريض



يرقد "مختار" في سلام، ينتظرني. دخلتُ غُرفته في هدوء، وأغلقت الباب.

"هذا لأنها جميلة، كما تعلم. هذا كل شيء. إنهم لا يهتمون بأي شيء آخر. هذه هي تذكرتها الذهبية في هذه الدنيا.. تخيَّل أنه يتهمني بعدم مُساندتها، وأنني لا أحبها؟.. دفعته إلى أن يظن هذا.. أخبرته بذلك. بعد كل ما فعلته لأجلها".

خنقتني الكلمات، وعجزت عن الكلام. لا يقطع صمتنا الآن إلا صوت "تيت" الإيقاعي المتقطع في الشاشة. أخذت أنفاسًا عدة ثابتة، وأنا أتفحَّص بياناته. سيحصل قريبًا على جلسة العلاج الطبيعي، لذلك يمكنني القيام ببعض التمارين لأجله. جسده يطاوعني وأنا أحرك أطرافه. أما ذهني فيستعيد المشهد مع "تيد" مرارًا وتكرارًا؛ يبرز مشاهد بعينها، ويستبعد أخرى.

كلمات من إحدى قصائد "فيمي"، أتذكَّرها الآن من دون سبب. أتساءل عن رأيه في كل هذا الذي يجري. لم يبقَ مع "أيولا" لفترة طويلة. كان من الممكن أن يكتشف شخصيتها لو أمهلته ما يكفي من الوقت. فقد كان حسَّاسًا.

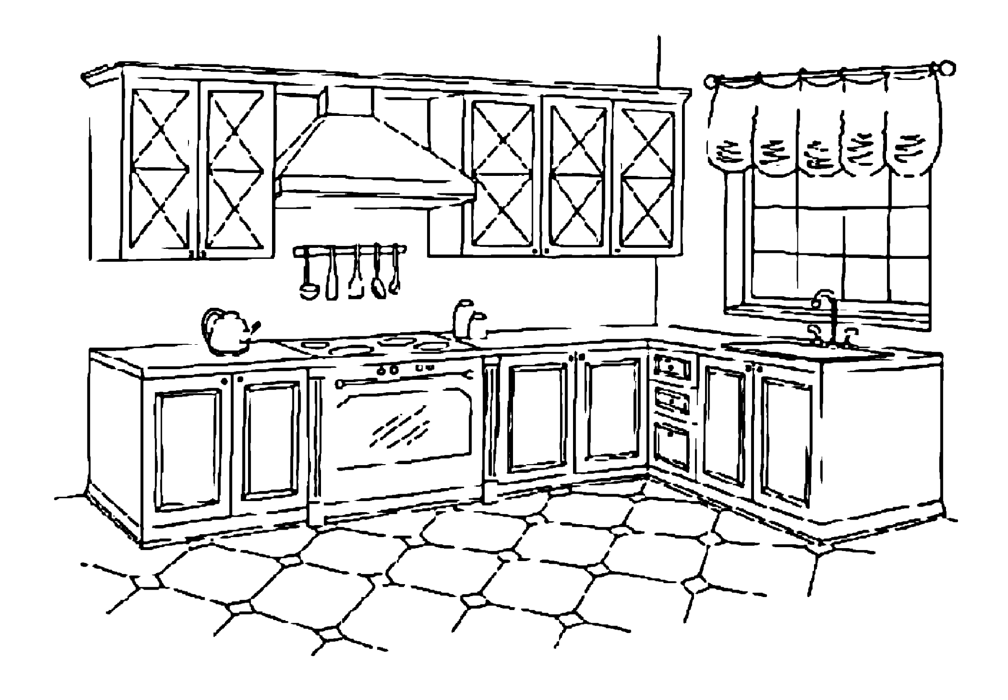
أشعر بألم في معدتي؛ ربما يكون القلب كسيرًا، ولكن البطن جائع. انتهيت من تدليك قدمي "مختار"، ورتبت فراشه، ثم غادرت الغرفة. وجدت "محمد" يمسح أرضية الممر. المياه التي يستخدمها عكرة، بينما يُدندن بأغنية.

- "محمد"، غيِّر المياه.

- حاضر يا سيدتي.

ارتبك عندما سمع صوتي الصارم.

ملاك الموت



- كيف كانت رحلتكِ؟

- جيدة.. عدا أنه.. مات.

سقط الكوب الذي كنت أشرب العصير منه وتحطَّم على أرضية المطبخ.. "أيولا" واقفة عند المدخل. لم يمضِ على وجودها في المنزل سوى عشر دقائق، وها أنا أشعر أن العالم حولي ينقلب رأسًا على عقب.

- ما.. مات؟

- أجل.. تسمم من طعام.

لاحظت أنها جملت ضفائرها، وأضافت إليها حبات خرز في أطرافها، وهكذا كلما تحركت، كانت حبات الخرز ترتطم ببعضها بعضًا في صخب رتيب. طوقت معصميها بأساور مذهبة كبيرة. السم ليس أسلوبها، وجزء مِنِّي يتمنَّى أن يصدق أن الأمر صُدفة.

- اتَّصلت بالشرطة، وأبلغوا عائلته.

حاولت الانشغال بلملمة ما يمكن جمعه من شظايا الكوب. تذكَّرت

تطلب تشريح الجُثَّة؟

- كُنَّا معًا في الغُرفة، ووجدته فجأة يرتعش ويتعرَّق وهو يقبض على رقبته. ثم بدأ زبد يخرج من فمه. كان مشهدًا مُرعبًا.

كانت تحكي بكل حماس وكأنها معجبة بفيلم رعب مثير. لم أكن أودُّ أن أتحدث معها في ذلك، ولكنها مصممة على إخباري بالتفاصيل.

- هل طلبتِ المساعدة من أحد؟

تذكَّرت مشهدنا أنا وهي، واقفان عند رأس أبي وهو يحتضر، فأيقنت أنها لم تحاول مساعدة "جبوييجا". بل راقبته في صمت. ربما لم تضع له السُّم، ولكنها لم تتدخل في قدره.

- طبعًا.. اتصلت بالطوارئ في الفندق، ولكنهم لم يصلوا في الوقت المناسب.

تركَّزت عيناي على ذلك المشط الماسي الذي يقبع في شعرها. يبدو أنها كانت رحلة جيدة بالنسبة لها. ويبدو أن هواء دبي أفاد بشرتها التي تغطيها الآن بملابس على أحدث موضة. لم يبخل عليها "جبوييجا" بكل تأكيد.

- خسارة.

بحثت في أعماقي عن إحساس أقوى من الشفقة لأجل رب العائلة الذي مات، ولكنني لم أجد. لم ألتقِ "فيمي"، ولكن مصيره المشؤوم أثر فيَّ بشدة، على النقيض من إحساسي الآن. أجابتني في شرود:

- أجل.. سأفتقده. مهلًا.. لقد أحضرت لكِ شيئًا.

أخذت تبحث في حقيبتها، في اللحظة التي رنَّ فيها جرس الباب. بدا عليها شيء من الانزعاج. من المؤكد أن.. ولكن، مَن يدري. إنه "تيد".. دخل وسارعت هي بالارتماء في أحضانه. احتضنها بقوة، ودفن رأسه في شعرها.

- أنتِ مشاكسة.

تمتم في أُذنها وهو يُقبِّلها بكل شغف الدنيا.

ابتعدت بسرعة قبل أن يدرك وجودي في المكان. كنت أكره أن أضطر للحديث معه الآن. أغلقت باب غُرفتي عليَّ، وجلست إلى الفراش أُحدِّق في اللا شيء.

مرَّ وقت.. قبل أن أسمع طرقًا على الباب.

- سيدتي، هل ستنزلين للغداء؟

سألتني الخادمة في عجل.

- مَن يجلس إلى المائدة؟

- الوالدة.. "أيولا".. والسيد "تيد".

- ومن طلب منكِ أن تأتي إليَّ؟

- أنا أتيت من نفسي، سيدتي.

طبعًا.. وهل كانوا ليتذكَّروا وجودي؟ أُمِّي و"أيولا" تائهتان الآن في بحر "تيد". ابتسمت للشخص الوحيد الذي لا بد أنه يهتم بطعامي. وبادلتني صورتي في المرآة الابتسامة.

- شكرًا.. ولكنني لستُ جائعة.

أغلقت الباب وهي تبتعد، وكأنها تخرس صوت السعادة الذي يأتيني من الأسفل. ستبتعد عنِّي "أيولا" لفترة، وهذا مطلوب. انتهزت الفرصة، وبحثت باسم "جبوييجا" في "جوجل". ووجدت ما توقعته.. خبر موته المأساوي.

"وفاة نيجيري في رحلة عمل إلى دبي

لقي رجل أعمال نيجيري مصرعه في دبي نتيجة تعاطيه جرعة مخدرات زائدة.

أصدرت وزارة الخارجية بيانًا أكدت فيه وفاة "جبوييجا

تيجودومي" داخل غُرفته التي كان مُقيمًا فيها بمُنتجع "رويال".

وأُعلن رسميًا عن وفاته بعد أن بذلت خدمات الإسعاف محاولات لإنقاذ حياته.

وحسب تقرير الشرطة، فلم يكن هناك طرف مسؤول عن الحادث".

أتساءل كيف أقنعت "أيولا" الشرطة بإخفاء اسمها من أوراق التحقيق، ومن الأخبار.

وأتساءل عن الفارق بين التسمم الغذائي وجرعة مخدرات زائدة.

وأتساءل ما فرص وفاة شخص موجود بصُحبة قاتلة متسلسلة.. صُدفة.

ربما السؤال الحقيقي هو: ما مدى ثقتي في أن "أيولا" لا تستخدم سوى سكينها؟ تصفَّحت أخبار موت "جبوييجا"؛ ووجدت أكاذيب أخرى.. "أيولا" لا تضرب ضربتها إلا بعد أن تجد ما يستفزها إلى ذلك. ولكن.. إن كان لها يد في مصرع "جبوييجا".. إن كانت هي المسؤولة.. فلماذا فعلتها؟ بدا "جبوييجا" مفتونًا بها. هو رجل خائن.. ولكن بخلاف ذلك بدا لي مُسالمًا للغاية.

فكَّرت في "تيد" الجالس بالأسفل، وهو يبتسم ابتسامته المميزة ويُحدِّق في "أيولا" بكل وَلَهٍ. أنا لا أحتمل النظر في عينيَّ "تيد"، ما دام لا ينظر إليَّ. ولكن.. ألم أفعل كل ما بوسعي لإبعادهما عن بعضهما بعضًا؟ لم يعد لديَّ ما أُبديه لمعضلتي سوى الانتقاد، والازدراء.

أغلقت الـ"لاب توب".

وكتبت اسم "جبوييجا" في مُفكِّرتي.

ميلاد



عرفت من عائلتي أنني في المرة الأولى التي أرى فيها "أيولا" ظننت أنها دُمية. كانت أُمِّي تُهدهدها أمامي، بينما أقف أراقبها بكل اهتمام وفضول، وأنا أسحب ذراع أُمِّي لأسفل حتى أراها بشكل أوضح. كانت صغيرة للغاية، بالكاد تشغل مساحة في ذراعي أُمِّي. عيناها المغمضتان تشغلان نصف مساحة وجهها. أنفها دقيق، وشفتاها ممتلئتان. شعرها ناعم مُتعرِّج.

- هل هي لي؟

ضحكت أُمِّي حتى ارتجَّ جسدها، فاستيقظت "أيولا". أصدرت صوتًا واهنًا. فجفلت وتراجعت للوراء حتى سقطت على ظهري.

- أمي.. إنها تتكلم.. الدُّمية تتكلَّم!

- إنها ليست دُمية يا "كوريدي". إنها الصَّغيرة.. أُختكِ الصَّغيرة.



#120206861

عيد ميلاد

إنه عيد ميلاد "أيولا". سمحت لها بمُعاودة التفاعل على صفحات التواصل الاجتماعي، خاصة بعد أن تراجع تريند أخبار "فيمي"، بل يبدو أنهم نسوه.

- افتحي هديتي أنا أولًا!

طلبت أُمِّي منها بإصرار. اعتدنا في العائلة أن يقوم صاحب عيد الميلاد بفتح الهدايا التي تأتيه من أفراد عائلته حالما يستيقظ صباحًا. استغرقت وقتًا طويلًا في اختيار هدية لها. لم أكن في مزاج يساعدني على ذلك.

كانت هدية أُمِّي مجموعة مائدة كاملة من الخزف الصيني، حتى تضمها "أيولا" لاحتياجات منزلها عند الزواج. وعلَّقت أُمِّي تأكيدًا على هذا المعنى:

- أعرف أن "تيد" سيتقدم لطلب يدكِ قريبًا.

- يطلب ماذا؟

كانت منشغلة بفتح هديتي. اشتريت لها ماكينة خياطة جديدة. ابتسمت لي، ولكنني عجزت عن رد الابتسامة. كلمات أُمِّي أصابتني بالغثيان.

- يطلب يدكِ للزواج! فقد حان وقت استقراركما أنتما الاثنان.

- وكأن زواجكِ كان ناجحًا إلى هذا الحد..

- ماذا قلتِ؟

- لا شيء.

حدجتني أُمِّي بنظرة نارية بعد تعليقي هذا، ولكنها لم تجد بُدًا من تجاهل ما قلت. نهضت "أيولا" حتى تستعد لحفلتها، وواصلت أنا نفخ البالونات. اخترنا أن تكون باللونين الرمادي والأبيض، من باب الاحترام لروح "فيمي".

قرأت قصيدة في مُدوَّنته..

شمس أفريقيا قوية شابة،

تحرق ظهورنا،

فروة رؤوسنا،

عقولنا

غضبنا لا سبب له،

إلا إذا كانت الشمس سببًا

حنقنا لا جذور له،

إلا إذا كانت الشمس هي الجذور .

تركت رسالة من دون اسمي في المُدوَّنة، اقترحت فيها تجميع قصائده وطبعها في ديوان. أتمنى أن تصادف أُخته أو صديق له تلك الرسالة.

ليس لديَّ أنا و"أيولا" أصدقاء بالمعنى التقليدي للكلمة. اعتقادي أن الصديق أو الصديقة هو الشخص الذي استطاع أن يكسب ثقتك، وأن تكسب أنت ثقته. هي لديها مُريدون، وأنا صديقي "مختار".

وهكذا، بدأ مُريدوها في التدفق على المنزل قُرب الرابعة مساءً؛ استقبلتهم الخادمة، ورحبت بهم وقدمت لهم الطعام الوفير على طاولة غُرفة المعيشة. أدار أحدهم الموسيقى، واستمتعوا بالوجبات الخفيفة، ولكنني انشغلت بالتفكير فيما إذا كان "تيد" سيستغل هذه الفرصة لطلب يد "أيولا" أم لا. إذا كنت أظن أنها تحبه، فأعتقد أنني سأكون سعيدة لأجلهما. أعتقد هذا.. لكنها لا تحبه، ولسبب ما أجده غافلًا عن هذه الحقيقة؛ أو أنه غير مهتم لهذه الحقيقة.

إنها الخامسة مساءً، و"أيولا" لم تنزل لهم بعد. أرتدي فستانًا أسودَ عاديًّا قصيرًا، وتنُورته واسعة. أخبرتني "أيولا" أنها سترتدي الأسود أيضًا، ولكنني مُتيقِّنة من أنها غيرت رأيها عشر مرَّات حتى

الآن على الأقل. قاومت رغبة في الذهاب إلى غُرفتها، على الرغم من أنهم يسألون عنها باستمرار.

أمقت حفلات المنازل. ينسى الناس الإتيكيت تمامًا، رغم أنهم قد يراعونه بحرص لو زاروا المنزل نفسه في يوم عادي. يتركون أطباقهم الورقية في أيّ مكان؛ ينسكب الشراب من أكوابهم وهم يتجولون. يغمسون أيديهم في أطباق المقرمشات، ومن ثم يأخذون بعضه ويعيدون بعضه. يبحث كل مَن يريد خطف لحظات غرام مع صديقته عن أماكن مُتوارية داخل المنزل. أحمل مجموعة من الأكواب الورقية التي تركها شخص ما على مقعد وأضعها في كيس قمامة. كنت أهم بإحضار منظف الأسطح لحظة أن رَنَّ جرس الباب.. إنه "تيد".

يا لها من طلَّة! يرتدي الجينز و"تيشيرت" أبيض، يحتضن جسده المفتول بقوة، ومن فوقه سُترة رمادية رائعة. لا يسعني سوى أن أقف لأحدِّق فيه.

- فستان جميل.

من الواضح أنه يقدم لي غصن زيتون. يصالحني بعد الموقف الأخير. وينبغي لي ألا أتأثر بهذا. تعمَّدت أن أبقى بعيدة عنه. لا أريد لكلماته أن تؤثر فيَّ، على الرغم من أن كل مشاعري وجوارحي في هذه اللحظات تتمرَّد على عقلي. مارست ضغطًا كبيرًا على عضلات وجهي حتى لا تخونني وتبتسم. بادرني ثانية:

- "كوريدي".. أنا آسـ...

- أهلًا.

جاءتني الـ"أهلًا" من خلفي مثل طعنة في تلك اللحظة.. إنها "أيولا". ترتدي فستانًا ضيقًا طويلًا، لونه قريب من لون بشرتها، حتى إنها تبدو في الأضواء الخافتة وكأنها عارية تمامًا.. قُرط ذهبي، وحذاء ذهبي عالي الكعب، وفي معصمها سُوَار "تيد". وكأنها تمثال ذهبي دبَّت فيه الحياة.

نسيني "تيد" تمامًا وهو يقترب منها ويلثم شفتيها بلطف. يليقان ببعضهما جدًّا، سواءً كان الأمر حبًّا أم لا. أو هي المظاهر. قدم لها الهدية وأنا أقترب حتى أتبين ما هي؛ العلبة صغيرة، ولكنها أطول وأنحف من أن تكون علبة خاتم.

رمقني "تيد" في استغراب، فتظاهرت بأنني منشغلة بأمر آخر. عدت إلى قلب الحفلة وبدأت في جمع الأطباق الورقية مرَّة أخرى.

بقيتُ أُراقبهما من بعيد طوال الليلة؛ يضحكان معًا عند ركن المشروبات، يتبادلان القُبلات عند الدَّرَج، يطعمان بعضهما وهما يرقصان، حتى لم أعد أحتمل المزيد. أخذت سُترة، وانطلقت خارج المنزل. كان الجو دافئًا، ولكنني احتميت بالسُّترة. أرغب في التحدث مع أحد.. أيّ شخص؛ أيّ شخص مثل "مختار".

ذات مرَّة، فكَّرت في اللجوء إلى العلاج النفسي، ولكنني تعلَّمت من أفلام هوليوود أن الأطباء النفسيين لا يحتفظون بالأسرار في حال كانت حياة مريضهم أو شخص آخر على المحك. وشعرت أنني لو بُحت بأسراري إلى "أيولا" فإنها ستكون على المشاع في غضون خمس دقائق فحسب. ألا توجد نسخة أخرى لهذه الحياة لا يمكن فيها لأحد أن يُقتل، ولا يمكن فيها لـ"أيولا" أن تُسجن؟ ربما أمكنني اللجوء إلى طبيب نفسي لأصارحه بكل شيء، عدا جرائم القتل. يمكنني أن أملأ وقت جلسات عديدة بالتحدث فقط عن "تيد" و"أيولا" وعن مشاعري المُنهارة وأنا أراقبهما معًا.

ذات مرَّة، سألتني "أيولا": "هل يعجبكِ؟".

كلَّا، "أيولا".. أنا أعشقه.



كبيرة المُمَرِّضات

دخلـت المسـتشفى، وتـوجَّهت مباشـرة إلـى مكتـب الـدكتور "أكيجبي"، حسبما طلب في الإيميل الذي وصلني منه. كالعادة، كانت رسالة مقتضبة، غامضة، وغرضها أن يبقى مُتلقيها على أعصابه. طرقت بابه.

- ادخل.

صوته مثل مطرقة ارتطمت بالباب.

وجدت الدكتور "أكيجبي"، كبير الأطباء في مستشفى "سان بيتر"، يُحدِّق في شاشة الكمبيوتر، مُحرِّكًا الماوس بيده. لم يبادرني بأي شيء، وهكذا جلست في صمت. وبعد لحظات، التفت إليّ.

- أتعرفين متى تأسَّس هذا المستشفى؟

- 1971، سيدي.

أهذا ممكن؟.. هل استدعاني إلى مكتبه ليلقي عليّ مُحاضرة عن تاريخ المستشفى؟

- ممتاز.. ممتاز.. أنا لم أكن هنا ساعتها بالطبع.. لستُ عجوزًا إلى هذا الحد!

ضحك على نُكتته. هو بالطبع عجوز إلى ذاك الحد. الأمر أنه كان يعمل في مكان آخر ساعتها. تنحنحت، أملًا في منعه من الاستطراد في حكاية أخرى سمعتها من قبل ألف مرَّة. نهض من مقعده، ليبرز طوله الذي يقارب المترين، وتمطَّع. أعرف مقصده. سيحضر ألبوم الصور. سيعرض عليّ صور المستشفى في أعوامه الأولى، وصور مؤسسيه الثلاثة، ويتكلم إلى ما لا نهاية.

- سيدي، "تي.."،... الدكتور "أوتومو" ينتظرني في غُرفة أشعَّة المسح الذري.

- أجل؛ أجل.

لا يزال يتفقَّد رَفَّ الكتب بحثًا عن ألبوم الصور.

- سيدي... عليّ أن... يريدني الدكتور "أتومو" أن أساعده في عمل أشعة المسح الذري.

ربما أفرطت في أملي أن تؤدي كلماتي إلى ردعه، ولكن لا ينبغي أن أنتظر ساعات قبل أن أسمع منه الموضوع الذي أراد رُؤيتي لأجله، ولكنني فوجئت بأنه يلتفت إليّ سريعًا وفجأة.

- ولهذا السبب استدعيتكِ!

- سيدي؟

- كنت أراقب عملكِ منذ فترة.

أكد تلك الكلمات بتقريب سبَّابته وإصبعه الوُسطى من عينيه.. تلك الإشارة الشهيرة.

- وقد أعجبني عملكِ ومجهودكِ. أنتِ دقيقة وصارمة وشغوفة بهذا المستشفى. الحقيقة إنكِ تذكِّرينني بنفسي!

ضحك مُجدِّدًا. ضحك أقرب إلى النباح.

- أشكرك يا سيدي.

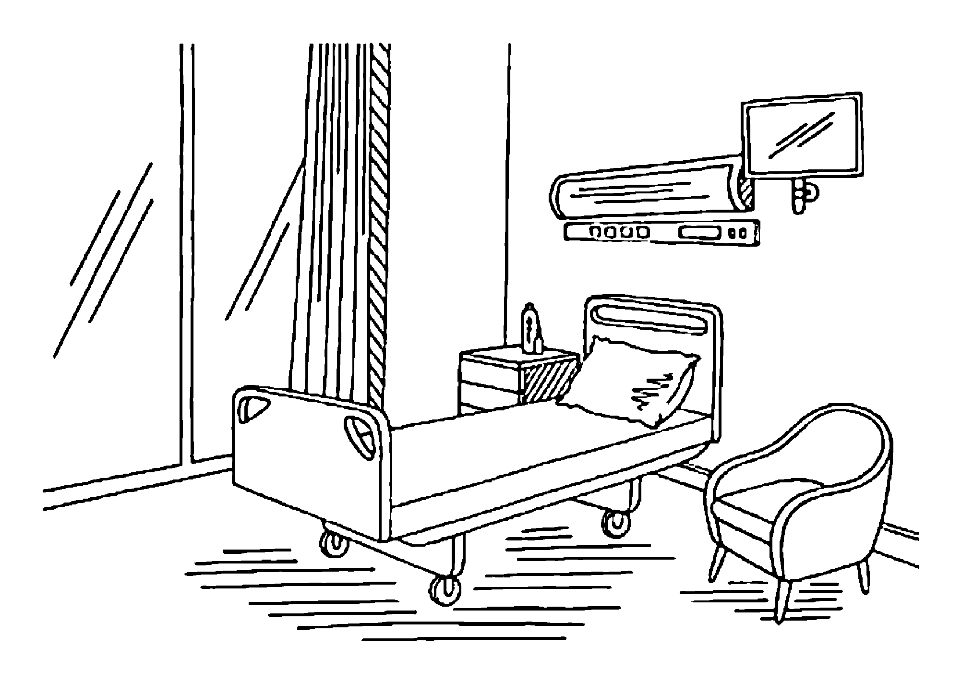
كلماته أطربتني، فابتسمت له. أقوم بعملي وحسب، ولكن من الجيد أن أجد مَن يثمن ذلك العمل ويقدره.

- وغني عن القول إنكِ أنسب مَن يشغل منصب كبيرة المُمَرِّضات!

كبيرة المُمَرِّضات. إنه منصب يناسبني بكل تأكيد. الحق إنني أقوم بمهام هذا المنصب بشكل غير رسمي منذ فترة. وأخبرني "تيد" من قبل أنهم يفكِّرون في تكليفي بهذا المنصب، وتذكَّرت عزومة العشاء التي وعدني بها في حال نلت المنصب. أعتقد أن لا عزومة الآن، بطبيعة الحال. فقدت صداقة "تيد"، بينما تنتفخ جُثَّة "فيمي" في قاع المحيط أكثر وأكثر في هذه اللحظات. ولكنني اليوم كبيرة مُمَرِّضات مستشفى "سان بيتر". لقب يليق بي فعلًا.

- لي الشرف يا سيدي.

غيبوبة



لمّا وصلت إلى مكتب الاستقبال، كانت "تشيتشي" لا تزال تحوم في المكان. ربما هي تكره العودة إلى ذلك الرجل الذي ينتظرها في البيت. كانت تتحدَّث على راحتها مع مجموعة من العاملين الذين يسمعونها دون اكتراث. سمعت من بين الكلام كلمتي "معجزة" و"غيبوبة".

- ما الذي يجري؟

- ألم تعرفي؟

- أعرف بماذا؟

- صاحبكِ أفاق!

- أفاق؟ مَن؟ "ينكا"؟

- كلَّا. إنه السيد "ياوتاي"! فاق من الغيبوبة!

وجدتني أركض قبل حتى أن أُفكِّر في رد مناسب عليها. تركت "تشيتشي" واقفة عند مركز المُمَرِّضات، وهرعت إلى الطابق الثالث. يبدو أن الدكتور "أكيجي" نسي أن يخبرني بذلك، وكانت

أخرى لمُحاضرة جديدة عن تاريخ المستشفى، وبالتالي لم أعرف منه أيّ شيء. أو ربما هو لم يذكر الأمر لأنه لم يحدث، وأن "تشيتشي" أساءت الفهم.

كانت عائلة "مختار" مُلتفَّة حول فراشه، وبالتالي لم ألمحه فور دخولي الغُرفة. زوجته، التي لا أنسى قوامها النحيل، ورجل طويل القامة أعتقد أنه أخوه. كان ظهرهما ناحيتي. يقفان متساندين، وكأن هناك قوة خفية تجذبهما. ربما يعزيان بعضهما بعضًا.

رآني أولاده. ابناه يقفان في انتباه، وأحدهما يبكي في صمت، بينما ابنته تحمل وليدتها بين ذراعيها، ويبدو أنها تريها لأبيها. تلك هي الإشارة الوحيدة على أنه بالفعل أفاق من الغيبوبة. عاد "مختار" إلى دنيانا أخيرًا.

تراجعت حتى أترك العائلة على راحتها في لحظات لم الشمل الفريدة هذه، ولكنني سمعت صوته.

- إنها جميلة.

لم أكن سمعت صوته من قبل. كان أسير الغيبوبة يوم أن عرفته في المرة الأولى، وتخيلت صوته عميقًا قويًّا. الحق إنه لم يتحدَّث منذ أشهر، لذلك خرج صوته الآن كالفحيح؛ واهنًا مثل همسات.

استدرت أنصرف، ولكنني وجدت "تيد" في وجهي. كدت أرتطم به.

- على مهلك!

تماسك بصعوبة قبل أن يسقط أرضًا.

- أهلًا.

كنت شاردة الذهن، وعقلي هناك إلى جوار "مختار". تطلع "تيد" إلى ما يجري بالداخل.

- أجل؛ خبر سعيد.

- أنا متيقن من أن الفضل يعود إليكِ.

- أنا؟

- أنتِ مَن منحه الأمل. شعر أنه منسي أو مهمل.

- ولكنه لا يعرف ذلك.

- ربما، ولكن أغلب مُحفِّزات المخ لا تزال مجهولة بالنسبة للعلم.

- بالفعل.

- وبالمناسبة.. مبروك.

- أشكرك.

انتظرت أن يتذكَّر وعده بالاحتفال بالترقية، ولكنه لم يذكره. مضيت في طريقي عبر الممر.

وصلت إلى مكتب الاستقبال، على دوي صرخة. أخذ المرضى في قاعة الانتظار يتلفتون حولهم في وجل واستغراب، وركضت أنا و"يينكا" نحو مصدر الصرخة. في الغُرفة 105. فتحت "يينكا" الباب سريعًا ودخلنا لنجد عراكًا محتدمًا بين "أسيبي" و"جيمبي". "جيمبي" تقبض على شعر "أسيبي"، بينما الأخيرة تغرس أصابعها في صدر "جيمبي". وقفتا بلا حراك لحظة أن دخلنا. ولم تتمالك "يينكا" نفسها فضحكت. ولما فرغت من الضحك صاحت في فرح!

أمرتها أن تخرس، فتسمرت في مكانها وإن لم تختفِ الابتسامة.

آخر ما أريده الآن هو أن تصب "يينكا" البنزين على حريق مُستعر بالفعل.

- شكرًا.. اخرجي.. سأتعامل أنا.

- ماذا؟

- قلت اخرجي..

تأهبت لجدال متوقع منها، ولكنها سلَّمت للأمر الواقع. رمقت "أسيبي" و"جيمبي" في سُخرية واضحة، قبل أن تغادر الغُرفة سريعًا. تنحنحت، قبل أن آمرهما:

- أنتِ قفي هناك؛ وأنتِ هناك.

أطاعتنا الأمر، وشرعت في تذكيرهما بأننا في مستشفى، ولسنا في بار قذر على جانب طريق.

- يجب عليَّ فصلكما.

- كلَّا، سيدتي.

- أرجوك يا سيدتي.

- إذًا اشرحا لي ما الأمر الجلل الذي يستدعي أن تتشاجرا بالأيدي؟

- ....

- ....

- أنا في انتظار سماع أيِّ حجة.

- "جيمبي" هي مَن بدأت. تحاول أن تخطف حبيبي منِّي.

- أوه؟

- "محمد" ليس حبيبكِ!

"محمد"؟ حقًّا؟ كان من الأفضل أن أتركهما لبراثن "يينكا". وربما كانت هي تعرف أصل الحكاية، ولذلك كانت تضحك.

"محمد"؟! عامل النظافة الغبي ذو الرائحة المميتة تتصارع عليه امرأتان؟ مسلسل دراما كامل في هذا المستشفى بطله "محمد"؟ كان من اللازم فصله، ولم أكن لأشفق عليه.

- لا يهمني حبيب مَن "محمد". ولا يهمني أن تقتلا بعضكما، ولكن ليس داخل هذا المستشفى. عندما تدخلان إليها يتوجب عليكم احترام عملكما وإلا اتركاه. مفهوم؟

بادرتا في الهمهمة والتمتمة بكلام لم أسمعه.

- مفهوم؟

- حاضر، سيدتي.

- ممتاز.. عودا إلى عملكما.

عُدتُ إلى مكتب الاستقبال، ووجدت "يينكا" تستند بظهرها إلى المقعد، وعيناها مغلقتان، وفمها مفتوح.

ضربت بحافظة الورق بقوة على "الكاونتر"، فاستيقظت مفزوعة.

- "يينكا"!.. إن حدث، ووجدتكِ نائمة مرَّة أخرى، فسأقدم فيكِ مذكرة.

- مَن مات حتى يجعلوكِ أنتِ رئيسة المُمَرِّضات؟

أجابتها "بونمي":

- تمت ترقيتها هذا الصباح.

- ماذا!؟

عقَّبت أنا هذه المرَّة:

- سينعقد اجتماع بهذا الشأن في وقت لاحق اليوم.

وانعقد لسان "يينكا".

اللُّعبة



السماء تمطر مطرًا من النوع الذي لا تنفع معه مظلّة، ولا يُجدي معه معطف مطر. صرنا حبيبي المنزل: "أيولا"، "تيد"، وأنا. حاولت تجنبهما، ولكن "أيولا" لحقت بي في غُرفة المعيشة.

- لنلعب لعبة!

تنهّدت أنا و"تيد" في اللحظة ذاتها.

- أنا خارج اللعبة.

فقال "تيد" لها:

- لماذا لا نلعب نحن الاثنان فقط؟

تجاهلت كلماته التي طعنت قلبي.

- كلّا. إنها لعبة لا تُلعب بأقل من ثلاثة. إما جميعنا، أو لن نلعب.

- ما رأيكِ أن نلعب الشطرنج؟

- كلّا. أريد أن نلعب "الكلودو".

نهضت سريعًا لتحضرها، فبقيت أنا و"تيد" في الغُرفة وحدنا. تحاشيت النظر إليه، وحدّقت في المطر خارج النافذة. الشوارع خاوية، فالكل لائذ ببيته من قسوة المطر. في الغرب يرقصون

ويمرحون تحت وابل الأمطار، ولكن الأمطار هنا لا يسعها سوى أن تميتك غرقًا.

- ربما كنت قاسيًا بعض الشيء ذلك النهار.

انتظر مِنِّي ردًّا، ولكنني صمت.

- سمعت أن الأخوات.. يغرن من بعضهن بعضًا.

- مَن قال لك هذا؟

- "أيولا".

أردت أن أضحك، ولكن الضحكة خرجت مثل أنَّة ضعيفة.

- إنها شغوفة بكِ.

نظرت إليه أخيرًا.. نظرت في تلك العينين العسليتين البريئتين، وتساءلت عما إذا كنت قد امتلكت ذات يوم كل هذا القدر من البراءة. إنه طبيعي وساذج إلى حد مُبهر. ربما انجذبت "أيولا" إلى تلك السذاجة.. تمامًا كما انجذبت أنا؛ والتي أعتقد أنها لم تكُن يومًا لدى كلتينا. هممت بالرد عليه، ولكن "أيولا" حضرت. تحمل اللعبة بين ذراعيها. نسيتني عيناه وهي تبحث عن عينيها.

- هل لعبتها من قبل يا "تيد"؟

- كلَّا.

- حسنًا، اللعبة هي أن تبحث عن القاتل، وفي أيّ مكان وقعت الجريمة وبأي سلاح. ومَن يتوصل إلى ذلك يكون الفائز!

ناولته دليل اللعبة، وهي تغمز لي.



كانت "أيولا" في عُمر السابعة عشرة عندما قتلت للمرة الأولى. اتصلت بي، ولم أفهم من صوتها المُلتاع أيَّ كلمة.

- ماذا؟

- أنا.. السكين.. إن.. الدَّم في كل مكان..

كـانت أسـنانها تصـطكُّ وكأنـها تُعـاني بـردًا قـارسًا. وحـاولت أن أحتفظ بهدوئي.

- مهلًا، "أيولا". خذي نفسكِ. من أين تنزفين؟

- لستُ أنا.. إنه.. إنه "سومتو".

- هل تعرَّضتما لهجوم؟

- أأأ..

- أين أنتما؟ سأتصل بالـ..

- لا! تعالي وحدكِ.

- "أيولا".. أين أنتما؟

- هل ستأتي وحدكِ؟

- أنا لستُ طبيبة.

- لن أخبركِ إلا إذا وعدتني أن تأتي وحدكِ.

وعدتها..

وقت أن وصلت إلى الشَّقَّة، كانت "سومتو" ميتًا بالفعل. بنطلونه نازل حتى كعبيه، وتعبيرات مُرعبة انطبعت على وجهه، وكأن وجهه مرآة للتعبيرات نفسها التي غلَّفت وجهي لحظتها.

- أنتِ.. أنتِ فعلت هذا؟

في ذلك الوقت، كنت خائفة جدًّا من البقاء في المكان والتنظيف خلفها، لذا أضرمنا النيران في الغُرفة. لم أُفكِّر أبدًا في ترك "أيولا" تحت رحمة الشرطة. لماذا المخاطرة بأن يصموا آذانهم عن زعمها بأن ما جرى كان دفاعًا عن النفس؟

كان لدى "سومتو" شقَّة إستوديو يعيش فيها وحده وتطل على بحيرة؛ أجل.. هي نفسها البحيرة التي تقبع مياهها تحت الجسر البري الرئيسي الثالث. أخذنا من البنزين الذي كان يحتفظ به من أجل مولد الكهرباء، وصببناه على جُثَّته، وأشعلنا عود ثقاب قبل أن نفر من المكان. بادر السُّكَّان بالهروب من المبنى عندما انطلق جرس إنذار الحريق، لذلك لم يكن هناك من ضحايا غيره. كان "سومتو" مدخنًا؛ ولم تكُن الجامعة بحاجة إلى دليل أقوى من هذا.

القاتل.. "أيولا".

المكان.. "شقَّة إستوديو".

السلاح.. "سكين".



ربحت "أيولا" اللعبة، وهذا لأنني انشغلت بشرح قواعدها لـ"تيد" حتى لا يقع في الفخاخ التي تحب أن تنصبها.

أقنعت نفسي بأن "تيد" لو فاز هنا.. فلربما..

قال لها، وهو يقرص فخذها مُداعبًا:

- أنتِ مُحترفة في هذه اللعبة. لقد جُعت.. ما رأيكما في تناول الكيك؟ ألا تزال هناك قطع منه؟

- اسأل "كوريدي".

- "كوريدي" هي التي تصنعه؟

رفعت حاجبيها وهي ترمقني. نظرت في عينيها في تحفُّز.

- أتعتقد أنني أجيد صنع مثلها؟

- أجل.. لديَّ كيكة الأناناس التي صنعتِها.

- هل أخبرتك "كوريدي" أنني صنعتها؟

- مهلًا.. لقد كانت أُمَّك.

ابتسمت له، وكأنها تأسف على انخداعه بسهولة.

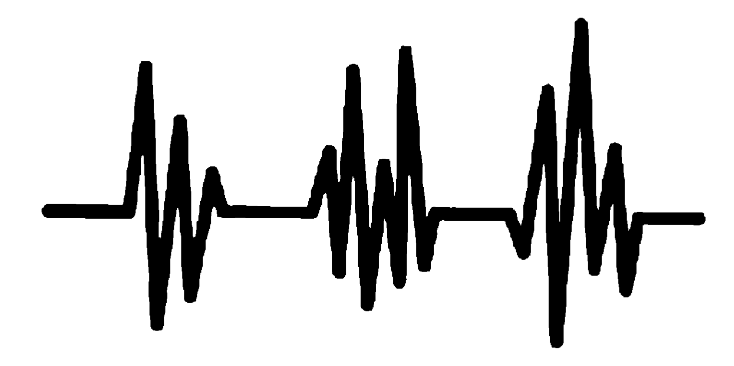
- أنا لا أجيد لا الطهي، أو الخبز. صنعت "كوريدي" فطائر تفاح هذا الصباح.. أتريد منها؟

- بالتأكيد.

نـادت "أيـولا" الخادمـة وطلبـت منـها إحضـار فطـائر التفـاح مـع الكاستارد، وأطباق جانبية. وما هي إلا خمس دقائق حتى كانت تعـود إلينـا وهـي تحمـل الطعـام. لـم أتنـاول شيئًا، في ظـل هـذا الغثيـان الـذي أشـعر بـه. قضـم "تيـد" قطعة، قبل أن يصيـح فـي انبهار:

- "كوريدي".. هذه لذيذة للغاية.

استفاقة



لم أكن قد ذهبت إلى غُرفة "مختار" منذ أن فارق عالم الغيبوبة. وكأنـها نـهاية عصـر. لـم يعـد بمقـدوري أن أبـوح إلـى غيبوبتـه بأسراري، كما أنني لستُ المُمرِّضة المُشرفة عليه الآن. أخرجتني "تشيتشي" من شرودي:

- "كوريدي".

- نعم.

- مريض الغُرفة 313 يُريد رؤيتكِ.

- "مختار"؛ لماذا؟

- الأفضل أن تسأليه بنفسكِ.

فكَّرت في تجاهله، ولكنني تذكَّرت أنه سرعان ما سيبدأ جلسات العلاج الطبيعي، ويتحرك في المكان، أي إنها مسألة وقت قبل أن ألتقيه. وقفت أمام باب الغُرفة وطرقته.

- تفضَّل.

جالس في الفراش، وفي يديه كتاب. نحَّاه جانبًا. كان ينظر إليَّ في ترقُّب. هناك هالات ثقيلة حول عينيه، ولكن نظراته مركزة حادَّة. بدا لي أنه تقدم في السن منذ أن أفاق.

- أنا المُمرِّضة "كوريدي".

اتَّسعت عيناه في اندهاش متسلسلة»

- هي أنتِ.

- أنا؟

- مَن كنتِ تزورينني.

- هل أخبرنك؟

- مَن؟

- المُمَرِّضات.

- المُمَرِّضات؟ كلّا.. بل أتذكّر.

- تتذكّر ماذا؟

انتبهت إلى برودة الغرفة، وارتعاش يديّ، البرد ينهشهما.

- أتذكّر صوتكِ.. وأنتِ تتحدثين إليّ.

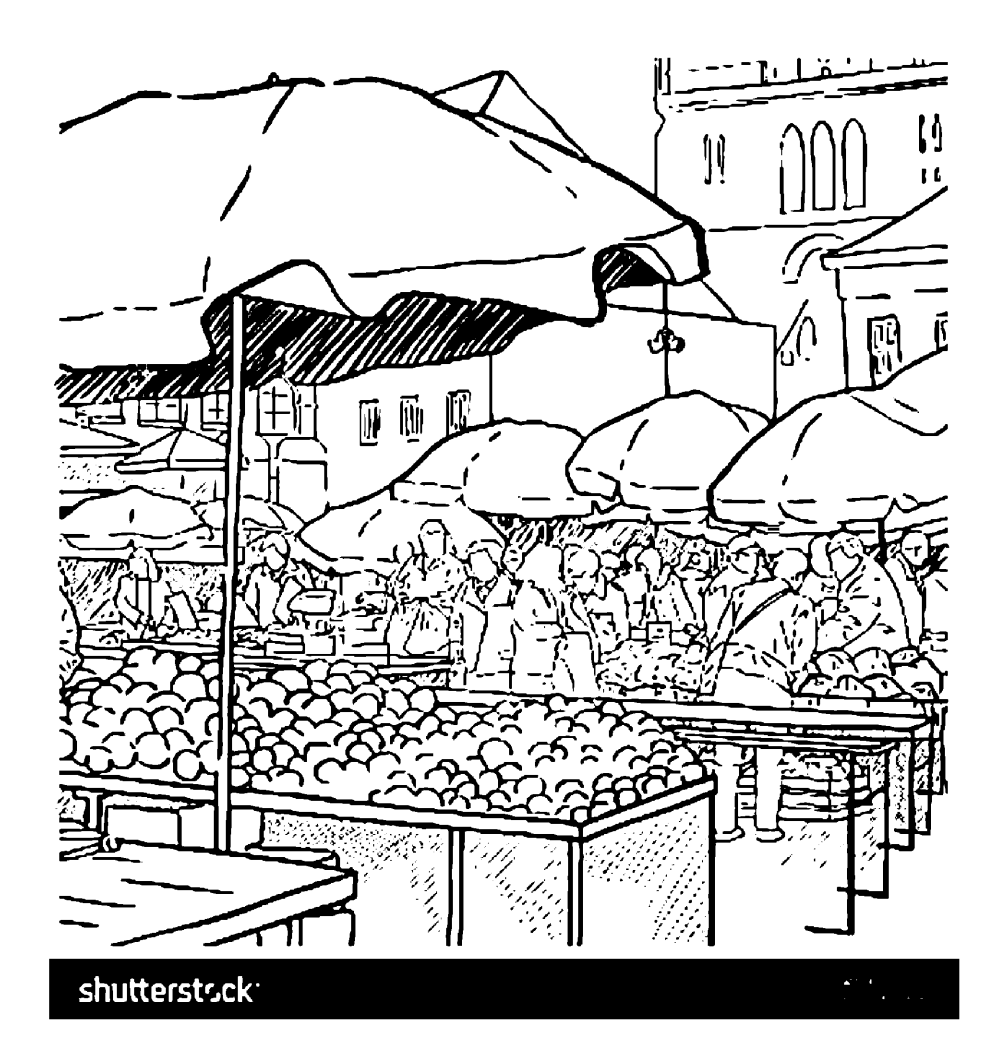
بشرتي داكنة، ولكنني متأكدة في هذه اللحظة أنها صارت بيضاء بعد أن تخلّى الدّم عنها وهرع إلى قدميّ. ماذا عن كل تلك الأبحاث التي أثبتت استبعاد أيٍّ احتمال لأن يكون أسير الغيبوبة مُدركًا لما يحيط به؟ كان "تيد" مقتنعًا بأن زياراتي تفيده، لكنني لم أعتقد مُطلقًا أن "مختار" يسمعني بالمعنى الحرفي للكلمة.

- تتذكّر أنني كنت أتحدث إليك؟

- أجل.

- هل تتذكّر ما كنت أقوله لك؟

السُّوق



ذات يوم، وأنا في العاشرة، أضاعتني أُمِّي في السوق.

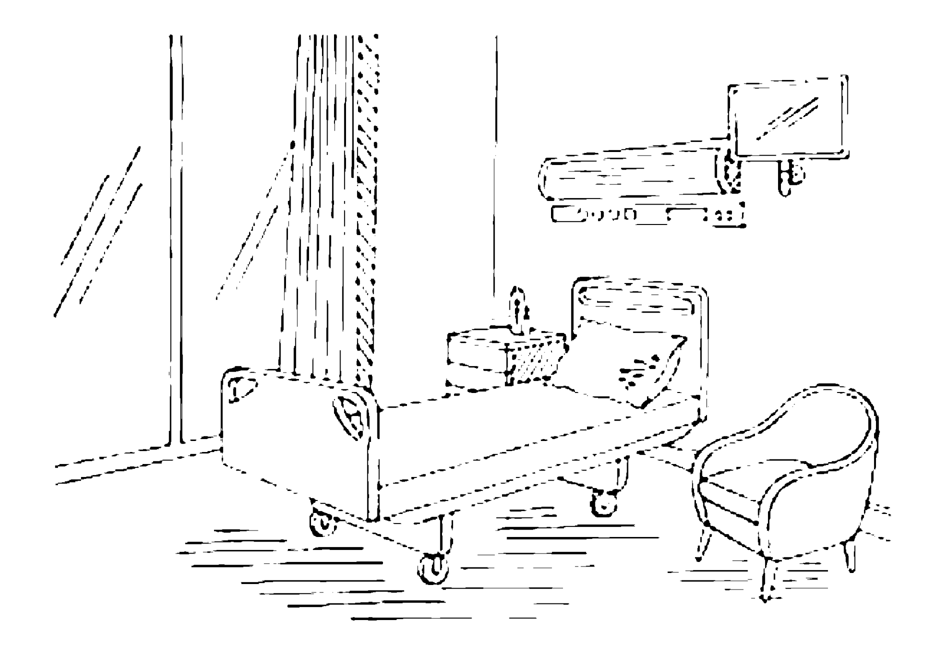
ذهبنا لشراء الطماطم، وأوراق الشاي المُرَّة، وجراد البحر، والبصل، والآتا رودو، والتاتاسي، والموز، والأرز، والدجاج واللحم البقري. كنت أمسك ورقة تلك القائمة في يدي، ولكنني كنت قد حفظت كل شيء فيها. كانت أُمِّي تمسك بيد "أيولا" وأنا أمشي خلفهما. عيني لا تفارق ظهر أُمِّي، حتى لا أتوه عنها في بحر الناس المتدفق بين الأكشاك. لمحت "أيولا" شيئًا، ربما هي سحلية، وقررت مطاردتها. سحبت يدها من يد أُمِّي، وركضت. وبعفوية، ركضت أُمِّي خلفها.

تصرَّفت في ثانية. لم أكن أعرف وقتها أن "أيولا" ركضت. وبعد أن كانت أُمِّي تمشي في خطى سريعة، ولكنها منتظمة، وجدتها في لحظة تركض بكل عزمها وتبتعد عنِّي. حاولت أن أتبعها،

مكان غريب، ومن حولي أغراب خفت منهم.

شعوري في هذه اللحظات هو نفسه شعوري يومها.. الخوف الممتزج بيقين بأن كارثة على وشك الحلول.

ذاكرة



حـاول "مختـار" أن يتـذكَّر، ولكنـه سـرعان مـا تنـهَّد فـي سـخط وتسليم.

- إنها مثل شظايا بعيدة.

- ما الذي تتذكَّره؟

- ألا تودِّين الجلوس؟

أشار إلى كرسي، فأطعته. أريد ألا يتوقف عن الكلام. لقد بُحت لهذا الرجل بكل سر لديَّ، وأنا مقتنعة بأنه سيحمل تلك الأسرار معه إلى القبر، ولكن ها هو ذا جالس يبتسم لي في حياء ويحاول أن ينظر في عينيَّ.

- لماذا فعلتِ ذلك؟

- فعلت ماذا؟

بالكاد أسمع صوتي.

- زيارتي. أنتِ لا تعرفينني، كما أشعر بأن مرَّات زيارة عائلتي لي تراجعت حتى انعدمت.

- كان من الصعب عليهم أن يشاهدوك في تلك الحال.

- لا داعي للبحث عن أعذار لهم.

ساد الصمت بيننا، بلا سبب. قبل أن يقطعه:

- صار لديّ حفيدة.

- مبروك.

- ولكن الأب يرفض الاعتراف بأنها ابنته.

- أوه.. غريب.

- متزوجة؟

- كلّا.

- جيد. الزواج ليس كما يقولون عنه.

- قلت لي إنك تتذكّر شيئًا؟

- أجل. إنه أمر مُدهش. المرء يعتقد أن الجسد كله يكون غائبًا عن الدنيا، ولكن المخ مستمر في دوره، ويجمع المعلومات. مُدهش فعلًا.

وجدت أن "مختار" ثرثار، على عكس ما تخيَّلت، ويحرك يديه كثيرًا وهو يتكلم. أتخيله وسط قاعة مُمتلئة بالشباب، يحاضرهم عن أمور يهتمون لها، بكل حماس وشغف.

- تتذكّر الكثير إذًا؟

- كلّا. ليس الكثير. أعرف مثلًا أنكِ تحبين الفشار بالعسل. أخبرتني أن عليّ أن أجربه ذات يوم.

اختنقت أنفاسي في حلقي.. لا أحد يعرف تلك المعلومة سوى "تيد".. و"تيد" ليس من النوع الذي يهوى مثل هذه المقالب.

- أهذا كل شيء؟

- تبدين عصبية نوعًا ما.. أنتِ بخير؟

- أنا بخير.

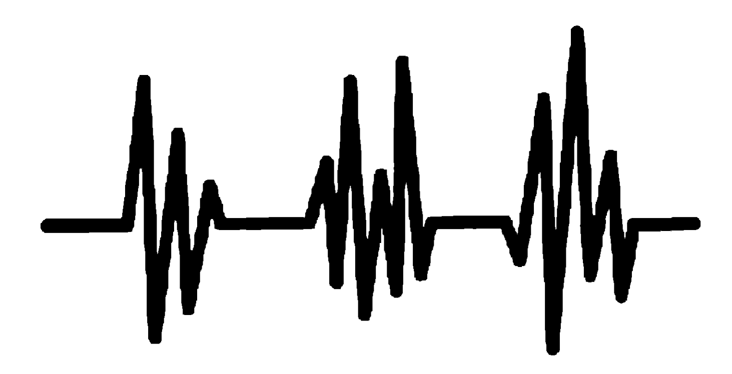
- لديَّ ماء هنا.. لو كنتِ..

- أنا بخير حقًّا. هل هناك شيء آخر؟

تأملني للحظة، قبل أن يقترب برأسه تجاهي:

- أجل.. أتذكر أنكِ أخبرتني بأن أختكِ قاتلة متسلسلة.

جنون



ما الذي دفعني للوثوق في جسد لا يزال يتنفَّس؟

خطر لي أنها وسيلة لأجل غاية. نفضت عنِّي هذه الفكرة، ونظرت له وأنا أضحك:

- وهل أخبرتك مَن قتلت؟

- لا أتذكَّر هذا.

- هذا مُتوقَّع. مرضى الغيبوبة يجدون صعوبة في التمييز بين الحلم والواقع.

- قلت لنفسي الشيء ذاته.

لم يبدُ لي مُقتنعًا، أو هو الخوف الذي يجعلني أفسر نبرة صوته بأكثر مما تحتمل. لا يزال يحدق فيّ، وهو يحاول الاستيعاب. عليّ أن أستمر في احترافيتي.

- هل كنت تعاني من أيّ صُداع؟

- كلَّا..

- جيد. صعوبة في النوم؟

- أحيانًا..

- حسنًا، لو أنك بدأت تعاني من هلاوس فـ..

هلاوس؟!

- لا داعي للتوتر، عليك أن تبلغ الطبيب وحسب.

بدا فزعًا، فأشفقت عليه. نهضت لأغادر الغُرفة.

- ارتح، وإذا رغبت في أيِّ شيء اضغط الزِّرَّ إلى جوارك.

- هلَّا بقيتِ معي لبعض الوقت؟ صوتكِ حلو.

التوتر واضح على وجهه. عيناه تمتلكان قدرة تعبير كبيرة. نهضت، وأنا أدفع الكرسي للوراء وأضعه في مكانه السابق، بينما تتابعني عيناه وأنا أتظاهر بترتيب الغُرفة. لم أعد أحتمل أكثر.

- معذرة، سيدي، يجب أن أعود إلى عملي.

- أليس هذا ضمن عملكِ؟

- أنا لستُ الممرضة المكلفة برعايتك.

ابتسمت بصعوبة وأنا أتظاهر بقراءة أوراق حالته، قبل أن أتوجَّه نحو الباب:

- يسعدني أن حالتك تتحسَّن يا سيد "ياوتاي".

عقب ثلاث ساعات، أخبرتني "بونمي" أن "مختار" طلب أن أكون أنا مُمرِّضته. ولم أجد أيَّ اهتمام من "يينكا"؛ التي كلفت في الأساس برعايته.

- عيناه مُخيفتان.

- تحدث مع مَن بخصوص هذا الطلب؟

- مع دكتور "الأولية دائمًا للمريض".

إنه دكتور "أكيجبي". إذًا هناك فرصة كبيرة أن يوافق على طلب "مختار". إنه يحب تلبية طلبات المرضى، وخصوصًا إن كانت لن تكلفه هو شيئًا.

لُذتُ بمقعدي في مكتب الاستقبال وأنا أُفكِّر في خياراتي، ولم أجد أيًّا منها مثاليًّا. تخيّلتني وأنا أكتب اسمه في مُفكّرتي

الصّغيرة. تخيّلت أن هذه الحالة العقلية التي أعانيها هي ذاتها التي ابتليت بها "أيولا".. ساعة تكون مُبتهجة فرحانة.. وساعة تكون قاتلة سفّاحة.

نائمة



shutterstock.com • 1173144649

حلمت بـ"فيمي". ليست الجُثّة الهامدة؛ بل "فيمي" الذي انتشرت ابتسامته في أنحاء "إنستجرام"، والذي حفظت شعره عن ظهر قلب. لطالما حاولت أن أفهم كيف تحوَّل إلى ضحية.

كان وقحًا، هذا لا شك فيه. ولكن هذا هو دائمًا حال الوسيمين الموهوبين. أسلوبه في مُدوَّنته مُقتضب ساخر، ولا يبدو أنه كان يُعاني. ولكن شعره الرومانسي المُراوغ يعكس وجود صراع في نفسه. لقد كان مُعقَّدًا. إنه من النوع الذي لم يكن ينبغي أن يقع في أسر لعنة "أيولا".

في حلمي، يسند ظهره إلى مقعده ويسألني عمّا سأفعل.

- أفعل ماذا؟

- إنها لن تتوقَّف.. تعرفين هذا.

- كانت تُدافع عن نفسها.

- ولكنكِ لا تُصدِّقين هذا.

نهض وبدأ يبتعد عنِّي. تبعته، فهل بيدي خيار آخر؟ رغبت في الاستيقاظ، ولكنني رغبت كذلك في أن أتبعه إلى أين يقتادني.

"فيمي". اكتشفت أنه يريد زيارة المكان الذي قتل فيه. حدَّقنا معًا في جُثّته القابعة بلا حول ولا قوة؛ إلى جواره على الأرض السكين الذي تحمله معها وتسفك بها الدماء. خبَّأتها قبل أن أصل إلى هناك، ولكنني أراها في الحلم واضحة مثل شمس نهار.

سألني عمَّا إذا كان بوسعه أن يغير مصيره.

- كان بمقدورك أن تراها على حقيقتها.

آيس كريم



اسمها "بيجو".

كانت تحوم خارج المجمع السكني، وتحرَّكت في اللحظة التي خرجت فيها من البوَّابة. لم أتعرَّف إليها من فوري، ولكنني أخرجت رأسي من نافذة السيارة لأتبيَّن ما تريد.

- ما الذي فعلتما به؟

- معذرة؟

- "فيمي".. ما الذي فعلتما به؟

عندئذٍ، أدركت مَن تكون. لقد رأيتها من قبل، مرَّات عدَّة على "الإنستجرام". هي التي كانت تنشر عن "فيمي"، والتي اتصلت بـ"أيولا" عبر "سناب شات". فقدت كثيرًا من وزنها، وعيناها حمراوان. حاولت أن أظل هادئة.

- ليس بمقدوري مساعدتكِ.

- ليس بمقدورك؟ أم أنكِ لا تريدين ذلك؟ كل ما أريده هو أن أعرف ماذا حدث له.

حاولت أن أمضي بسيارتي، ولكنها فتحت الباب. كانت تصرخ:

- أسوأ شيء هو ألا أعرف.

أطفأت المحرك، وخرجت من السيارة.

- آسفة، ولكن..

- بعضهم يقول إنه غادر البلاد، ولكنه ما كان ليفعل ذلك ويتركنا ينهشنا القلق هكذا. لو كُنَّا نعرف ما..

قاومت رغبة عارمة في أن أبوح لها بكل شيء، وما جرى لأخيها حتى لا تبقى طيلة عُمرها في هذا العذاب. فكَّرت في الكلمات في مُخيِّلتي. "آسفة، ولكن أختي طعنته في ظهره وأنا مَن خطط لكل شيء بعد ذلك". فكرت في وقع هذا عليها، وفكَّرت فيما سيحدث بعد ذلك.

- اسمعي، أنا حقًّا لـ..

- "بيجو"؟

التفتت "بيجو" في عصبية فوجدت أُختي قادمة.

- ما الذي تفعلينه هنا؟

- أنتما آخر مَن رآه. وأعلم أنكما تخفيان شيئًا. أخبراني بما حدث لأخي.

كانت "أيولا" ترتدي "سالوبيت" چينز؛ أعتقد أنها الوحيدة التي ما زالت ترتدي هذه الأشياء، وتلعق الآيس كريم، ربما ابتاعته من الكشك المجاور. توقَّفت عن لعق الآيس كريم، ليس لأن كلمات "بيجو" حركت مشاعرها، ولكن لأنها تعرف أن من الإتيكيت أن تتوقَّف عمَّا تقوم به أيًّا كان طالما كانت في حضرة شخص حزين

أنا أعرف؛ لأنني قضيت ذات ظهيرة أحد ثلاث ساعات أشرح لها معنى هذا الإتيكيت.

سألتها "أيولا" بنبرة خفيضة:

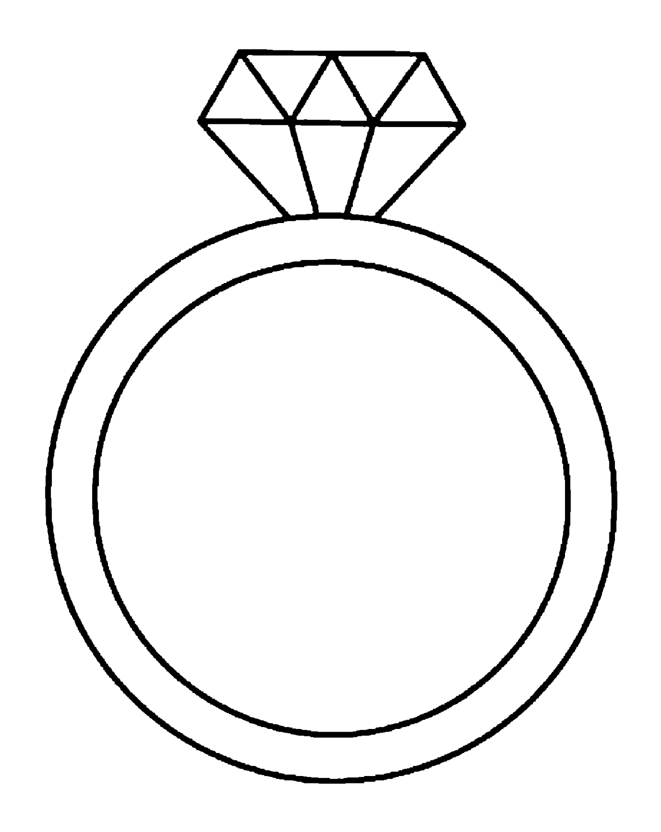
- أتعتقدين أنه مات؟

بدأت "بيجو" تبكي. وكأن سؤال "أيولا" هدَّ السد الذي كانت تحاول بجهدها تقوية أركانه بداخلها. بكاؤها عميق صاخب. تلهث وجسدها يرتجف. لعقت "أيولا" الآيس كريم قبل أن تأخذ "بيجو" في حضن ذراعها الأخرى. ربتت على ظهر "بيجو" الباكية.

- لا بأس، كل شيء سيكون على ما يُرام.

هل يهم مَن يطمئن "بيجو"؟ ما حدث قد حدث والسلام. ماذا لو كانت قاتلة أخيها هي الوحيدة التي يمكنها التحدث بصراحة عن احتمال وفاته؟! كان يجب أن تتحرَّر "بيجو" من براثن أمل زائف يوسوس لها بأن "فيمي" على قيد الحياة، ولا يوجد أنسب من "أيولا" للقيام بهذه المهمة.

استمرَّت "أيولا" تربت على ظهر "بيجو" في حنان ظاهر، بينما تنظر إلى الآيس كريم الذي بدأ يسيح.. في حسرة.



السِّرُّ

- "كوريدي"، هل يمكن أن أتحدَّث معكِ لثانية؟

أومأت برأسي لـ"تيد" وتبعته إلى مكتبه. وما إن أغلق الباب، حتى وجدته يبتسم لي. احمر وجهي، ولم يسعني سوى التبسُّم له.

يبدو متألقًا اليوم؛ وعلى رأسه قَصَّة شعر جديدة. هو في العادة محافظ فيما يتعلق بتصفيف شعره، ودائمًا ما يكون شعره قصيرًا، ولكنني لاحظت أنه تركه يطول في الآونة الأخيرة، والآن شعره قصير في الخلف والجانبين، وأطول قليلًا أعلى رأسه. قَصَّة تليق به.

- أُريد أن أُريكِ شيئًا، ولكن عديني أن يبقى الأمر سرًّا

- حسنًا.

- عديني.

- أعدك أن أبقيه سرًّا

كان يُدندن وهو يقترب من مكتبه، ويُخرج شيئًا من الدُّرج. علبة خاتم.

- لمن هذا؟

وكأن هناك شكًّا في هويَّة صاحبة الخاتم.

- أتعتقدين أنه سيعجبها؟

خاتم أنيق جدًّا يتكون من قطعتين من الألماظ بحجم قيراطين مع أحد الأحجار الكريمة. يجب أن تكون أعمى حتى لا يعجبك الخاتم.

- تريد أن تعرض الزواج على "أيولا".

- أجل، هل ستوافق؟

أخيرًا أسمع سؤالًا لا أعرف إجابته. حبست دموعي وأنا أتنحنح.

- أليس هذا مبكرًا؟

- كل شيء بميعاد. ستفهمين هذا يا "كوريدي"، عندما تقعين في شباك الحب.

اندهشت من ضحكاتي التي أطلقتها. بدأت مثل أنَّات صغيرة، ثم ضحكة، ثم ضحكات لم أعد أسيطر عليها. وقف "تيد" يحدق فيَّ مندهشًا، ولكنني تجاوزت خط الرجعة. ولما هدأت، سألني:

- ما المُضحك في الأمر إلى هذا الحد؟

- "تيد".. ما الذي يعجبك في أُختي؟

- كل شيء.

- تحديدًا.

- الحقيقة.. الحقيقة إنها مميزة.

- وما الذي يجعلها مميزة في رأيك؟

- إنها.. أقصد.. إنها جميلة ومتكاملة. هي الفتاة التي كنت أحلم أن أكون برفقتها.

فركت جبهتي بأصابعي في عصبية. إنه عاجز عن تبين استهتارها ولا مُبالاتها. لا يذكر أنها تغشُّ حتى في اللعب. إنه لا يعرف أفضل صفاتها أو.. أسوأ أسرارها. لا يبدو أنه يبالي بأي شيء.

- ضع خاتمك في مكانه يا "تيد".

- ماذا؟

- لأن الأمر كله.. الأمر كله مجرد تسلية في نظر "أيولا".

تنهَّد، وهو يهزُّ رأسه.

- الناس تتغيَّر يا "كوريدي". أعرف أنها كانت تخونني، أو ما شابه ذلك، ولكن هذا لأنها لم تكُن قد عرفت الحب الحقيقي بعد. وهو الحب الذي بوسعي أن أُقدِّمه لها.

حاولت وضع يدي على كتفه، ولكنه أزاحها.

- يمكنني أن أتعامل معها.

كيف يمكن لرجل أن يكون ساذجًا إلى هذا الحد؟ كان غيظي مثل فُقَّاعة غاز تكاد تنفجر في صدري.

- كلَّا. أنا أقصد أنها ستؤذيك، حرفيًّا.. ستؤذيك بدنيًّا! لقد فعلتها من قبل.

حاولت أن أشرح له بحركات من يديَّ، لعلَّه يفهم أوضح.

خيَّمت لحظات من الصمت، وهو يُفكِّر في معنى ما قلته، بينما كنت أُفكِّر أنا في فداحة حقيقة ما قُلته للتَّوِّ.

عليَّ أن أخرس الآن. لقد قلت له كل ما يمكن قوله بالفعل. هو حر من الآن في قراراته.

- أتقولين هذا لأنكِ لستِ في علاقة؟

- ماذا؟

- لماذا تريدين حرمان "أيولا" من المضي قُدُمًا في حياتها؟ يبدو لي أنكِ تحبين أن تبقى معتمدة عليكِ بقيَّة حياتها.

كان يهزُّ رأسه في خيبة أمل، وكان عليَّ أن أُقاوم كل رغبة تعتمل في روحي لكي أصرخ في وجهه حتى يفيق. لم أشعر بأظافري وهي تنغرس في راحة يدي. أنا لم أكن عائقًا أمام "أيولا"، بل أنا مَن يحافظ على مستقبلها حتى الآن.

- أنا لا أفعل ذلك.

- أشعر أنكِ لا تريدين لها السعادة.

- لقد قَتَلت من قبل!

صرخت فيه، وندمت على ما تفوَّهت به ما إن خرجت الكلمات من فمي. هزَّ "تيد" رأسه في عدم تصديق، وهو مُقتنع بأنني

وصلت إلى حضيض النذالة.

- لقد سبق وأخبرتني عن ذلك الشاب الذي مات. وقالت إنكِ تلومينها وتتهمينها بأنها السبب في موته.

كدت أسأله عن هويَّة ذلك الشاب الذي يتحدث عنه، ولكنني أيقنت أنني في معركة يستحيل أن أنتصر فيها. الحق إنني خسرتها من قبل أن أكون طرفًا فيها. ربما لا تكون "أيولا" موجودة، ولكن "تيد" صار دُميتها التي تتحرك بإرادتها وينطق بعقلها.

قال لي بنبرة هادئة:

- اسمعي.. كل ما تريده منكِ هو موافقتكِ، ولكنها لم تحصل سوى على اتهامات واحتقار. لقد فقدت شخصًا تحبه، ومع هذا فأنتِ تُحمِّلينها مسؤولية موته. لم يخطر ببالي أنكِ بهذه الوحشية. كنت أعتقد أنني أعرفكِ جيدًا، "كوريدي".

- كلَّا.. أنت لا تعرف أيَّ شيء عنِّي، أو حتى عن المرأة التي تريد أن ترتبط بها. وبالمناسبة، "أيولا" سترفض ارتداء أيِّ خاتم تقل قيمته عن ثلاثة قراريط.

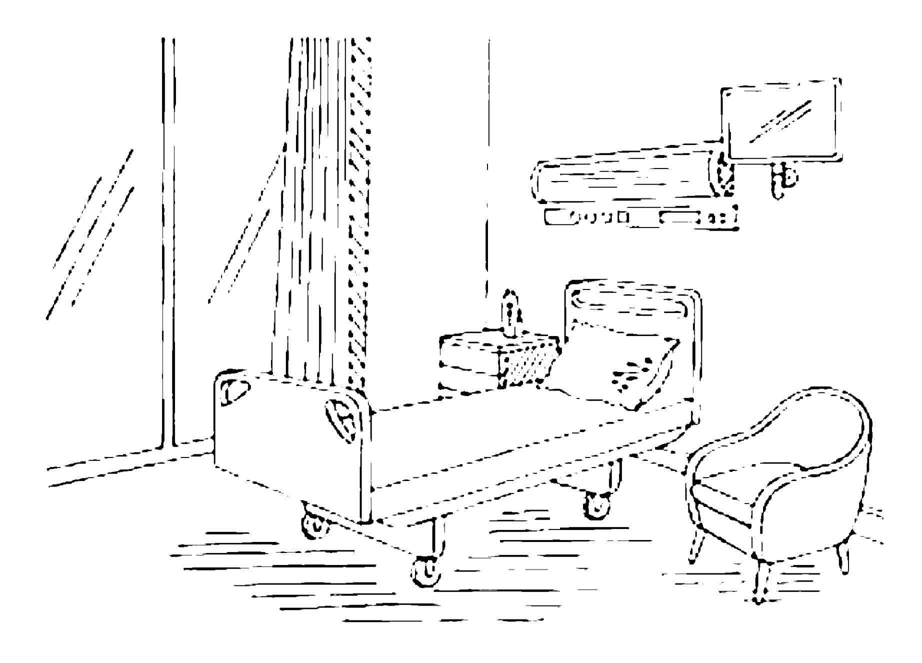
حدَّق فيَّ وكأنني أتحدَّث بلُغة لا يعرفها، وعلبة الخاتم لا تزال في قبضته. يا لها من حسرة ومضيعة للوقت!

رمقته وأنا أفتح الباب، وقلت له:

- انتبه لظهرك.

هي حذَّرتني من قبل: "ليس بالرجل الرَّزين. بل يبحث عن وجه جميل فقط".

صديق



تطلّعت "يينكا" إليّ وعلى أُذنها سمّاعة التليفون، لمّا اقتربت من مكتب الاستقبال.

- جيد، هذا أنتِ. كنت أخشى أن أحضر، فأجدكِ قد سبقتني.

- ماذا تريدين؟

- معذرة.. أنا لا أريد منك شيئًا ولكن صاحبنا في غُرفة الغيبوبة كان يسأل عنكِ في كل ثانية.

- اسمه "مختار".

- حسنًا.

تراجعت في مقعدها، واستأنفت لعبة "كاندي كراش". توجّهت إلى الغُرفة 313.

كان يشرب عصيرًا، وجالسًا على أحد المقاعد. لا بد أن مُمرِّضة أخرى أجلسته هنا على سبيل التغيير. تبسّم لي لمّا دخلت.

- أهلًا!

- مرحبًا.

- اجلسي، من فضلك.

- لا يسعني أن أبقى طويلًا.

لم أكُن في مزاج يسمح بالدردشة، فلا تزال أصداء مواجهتي مع "تيد" تُدوِّي في أُذنيَّ.

- اجلسي.

جلست. كانت حالته أحسن بكثير. قصَّ شعره، ووزنه آخذ في الاعتدال. ولون بشرته تحسَّن أيضًا. أخبرته بذلك.

- أشكركِ. عجيب أن لامتلاك الإنسان وعيه أثرًا كبيرًا على صحَّته! هل أنتِ بخير؟ تبدين شاحبة.

- أنا بخير. فيم كنت تريدني، سيد "ياوتاي"؟

- لا داعي لهذه الرسميات. ناديني "مختار".

- حسنًا.

نهض وتناول كيسًا ورقيًّا من فوق منضدة القهوة؛ وناوله لي. إنه ممتلئ بالفشار بالعسل. منظره شهي.

- هذا كثير.

- رغبت في ذلك. هذا أقل ما يمكنني تقديمه لكِ.

لا يسمح لنا المستشفى بقبول هدايا من المرضى، ولكنني لم أرغب في إحراجه برفض هديته البسيطة. شكرته، وتناولت الكيس ووضعته جانبًا.

- كُنتُ أفكِّر في ذكرياتي، واتضح لي بعضها الآن.

الحق إنني سئمت كل هذا. نلت كفايتي ليوم واحد. ربما سيتذكَّر كل ما قُلته له في غيبوبته، حتى أماكن الجثث. وهكذا ينتهي كل شيء.

- لنفرض مثلًا أن هناك مَن يعرف شخصًا ارتكب جريمة بشعة. شخص عزيز عليه. فما الذي ينبغي عليه أن يفعله؟

قبعت في مكاني أتأمله. عليَّ اختيار كلماتي بحكمة، بما أنني وبكل استهتار منحت هذا الرجل كل ما يحتاج إليه ليلقي بي أنا وأُختي في السجن، ولا فكرة لديَّ عمَّا ينتوي القيام به.

- سيكون عليه الإبلاغ عنه.

- هذا هو الطبيعي، ولكن أغلبنا لن يفعل، أليس كذلك؟

- لماذا؟

- لأن فطرتنا تُجبرنا على حماية مَن نحب. كما أنه لا أحد بريء في هذه الدنيا. اذهبي إلى عنبر الحوامل والولادة! كل مَن ترينهن مبتسمات هناك؟ إنهن قتلة وضحايا. كلهن. الأمهات والرُّضَّع هنا، وأقاربهن يرتكبن جريمة قتل بكل بساطة، والابتسامة على وجوههن. إنهن يُجبرننا على تحطيم شخصيتنا وقتلها.. هذا نوع ماكر من القتل.

- هذا..

- هذا ليس كلامي.. هذا كلام المغني الأمريكي "جيم موريسون". لا يمكن أن أزعم أنني على هذا القدر من الحكمة.

عاد يشرب من العصير، وكأنه ينتظر مِنِّي أن أتكلَّم.

- هل ستخبر الجميع عن.. عن ذلك الأمر؟

- أشكُّ في أن يُؤخذ كلام رجل كان أسير غيبوبة على محمل الجد.

كان يشير إلى الباب الذي يفصلنا عن العالم بالخارج.

خيَّم الصمت بعدها. كان تركيزي على أن أهدأ وأُوقف هيجان قلبي. ومن دون أن أدري، سالت دموعي. وظل "مختار" صامتًا. كان يريد مِنِّي أن أستوعب أن هناك شخصًا يعرف ما أنا فيه، ويريد أن يقف إلى جواري.

- "مختار".. أنت تعرف ما يكفي لدفننا في السجن. فلماذا تحتفظ

بهذا السر؟

سألته وأنا أمسح دموعي.

أخذ رشفة أخرى من العصير، وهو يتلذّذ بكونه لاذعًا.

- أنا لا أعرف أُختكِ، ولكنني سمعت من زميلاتكِ أنها ذات شخصية لطيفة، ولكنني لم أرها لأحكم بنفسي، ولذلك هي لا تهمني في شيء. أنتِ من أهتم له.

- لكنك لا تعرفني.

- بل أعرفكِ. لقد أفقت من غيبوبتي بسببكِ.. بسبب فضفضتكِ معي. ما زلت أسمعكِ في أحلامي.

شعرت أنني في حلم آخر. همست له.

- أنا خائفة.

- من ماذا؟

- الشاب الذي ترتبط به هذه الأيام.. ربما..

- إذًا عليكِ إنقاذه.

الأب



كان الأحد هو آخر يوم قبل أن ينتهي كل شيء. الشمس لا تعرف الرحمة. وجميع أجهزة المكيف في المنزل تعمل بكامل طاقتها، ورغم ذلك لم تتمكّن من صدِّ اللهيب الآتي من الخارج. حبّات العرق تتجمّع فوق جبهتي. جلست أسفل أحد أجهزة المكيف في صالون الطابق العلوي، ألوذ به. إلى أن وجدت "أيولا" أمامي.

- بابا لديه ضيف!

رحنا إلى البلكون لنسترق النظر إليه. كان كُمَّا عباءة "الأجابادا" التي يرتديها ينزلان بين لحظة وأخرى حتى يديه، فيضطر إلى

لدرجة يستحيل معها تحديد ما إذا كان الجسد القابع أسفلها نحيلًا أم بدينًا. أخذت "أيولا" تقلد حركاته من دون صوت. لم نكن نخاف من أبينا ما دام لديه ضيوف؛ فهو يكون ساعتها في أطيب أحواله. نضحك ونمرح دون خوف من مغبَّة العواقب. تطلَّع الضيف نحونا وابتسم. انحفرت ملامح وجهه في ذاكرتي؛ وجه مربع حالك السواد، وأسنان بيضاء ناصعة جدًّا. لا بد أنه يعتني بها للغاية. تخيَّلته وهو يُعاني من شوكة محشورة بين أضراسه الخلفية فيهرع راكضًا إلى طبيب أسنانه. حكيت الفكرة لـ"أيولا"، وضحكنا. عندئذٍ، انتبه والدي إلى وجودنا.

- "كوريدي".. "أيولا".. تعاليا وسلِّما على ضيفي.

هرعنا للأسفل في طاعة. كان الضيف جالسًا، وأُمِّي تقدم له كل ما لذَّ وطاب. يبدو أنه ضيف مهم. وكما هي العادة، جثونا على رُكبتينا أمامه، ولكنه أشار لنا أن نقف.

- أنا لستُ كبير السن إلى ذاك الحد!

ضحك هو وأبي، ولكننا لم نفهم سبب الضحك. كنت أتألم من قدميَّ، وأودُّ العودة إلى حيث جهاز المكيف. أخذت أتسنَّد من قدم للأخرى، وأنا أتمنَّى أن يصرفنا أبي ويتفرَّغ لضيفه، بينما "أيولا" مُنشغلة بتأمُّل عصاه. كانت مُزيَّنة بأكملها بخرز من ألوان مختلفة. اقتربت تتفحَّصها عن كثب. لمح الرجل ما تفعله أُختي. ابتسم لها، ولكنها لم تكُن الابتسامة نفسها التي استقبلنا بها ونحن في البلكون.

- ابنتك فاتنة.

- حقًّا؟

- جميلة جدًّا جدًّا.

بلَّل شفتيه بلسانه. جذبت يد "أيولا"، وتراجعنا خطوات للوراء. الرجل يبدو مثل زعيم قبيلة، وأتذكَّر أننا وقت أن ذهبنا إلى القرية لقضاء الكريسماس كانت جدَّتي حريصة على إبعادنا عن

مجالسهم. يقولون إن الزعيم طالما رأى فتاة وأعجبته ولمس جسدها بعصاه فإنها تصير زوجته، مهما كان عدد الزوجات على ذمّته؛ ومهما كان رأي تلك الفتاة.

- ماذا! ماذا تفعلين؟

أشرت لها أن تسكت. حدجني أبي بنظرة صارمة، ولكنها صامتة. جعلتني الطريقة التي ينظر بها الضيف إليها أشعر بخوف مُبهم. كان وجهه مُتعرِّقًا، ويمسح عرقه بالمناديل، بينما عيناه تسمَّرتا على "أيولا". انتظرت من أبي أن يضع الرجل عند حده. ولكن أبي رجع بظهره في مقعده وهو يُداعب ذقنه العزيزة عليه. كان بدوره ينظر إلى "أيولا" وكأنه يراها للمرَّة الأولى. لم يسبق له أبدًا أن علَّق على جمال "أيولا" الأخَّاذ. كان يعاملنا من دون تمييز. حتى أنني أيقنت أنه غير مُدرك لما هي عليه من فتنة.

المرَّات التي كان ينتبه لنا فيها ويتأمَّلنا لم تكُن تحمل أبدًا أيَّ ذكريات سعيدة. توقَّفت "أيولا" عن مقاومتي وتركتني أجذبها نحوي. نظر أبي إلى الزعيم.

- اتركانا يا بنات.

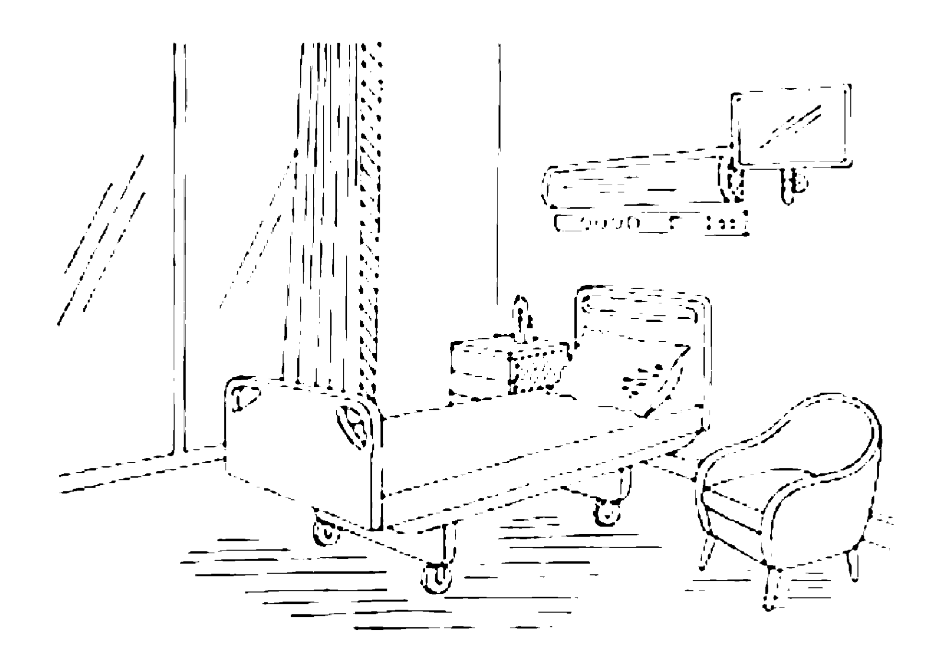
وكأننا كُنَّا ننتظر الأمر. ركضنا خارج غُرفة المعيشة وأغلقنا الباب خلفنا. ركضت "أيولا" نحو الطابق العلوي، أما أنا فبقيت، أتنصَّت.

- ماذا تفعلين؟ لو أمسك بك ف..

- ششششش..

سمعت شظايا كلام.. "عقد".. "اتفاق".. "بنت". الباب من خشب البلوط الثقيل، ومن الصعب السماع عبره. لحقت بـ"أيولا" في الأعلى ورُحنا إلى غُرفتي.

ولمَّا غربت الشمس، خرجنا إلى البلكون، نشاهد الضيف وهو يدخل إلى المقعد الخلفي في سيارته المرسيدس وينطلق به السائق خارج المجمع السكني. انحسر الخوف القابع في حلقي منذ أتى هذا الرجل، ونسيت تلك الواقعة.



تحدَّثت و"مختار" عن كل شيء. طعام المستشفى الذي بلا طعم، وملاءات الفراش الخشنة، وحكايات طلابه في الجامعة.

قطع "محمد" استرسال حديثنا، بعد أن طرق الباب ودخل الغُرفة. حيَّاني، وابتسم لـ"مختار" وحيَّاه بلغة الهوسية التشادية، الأمر الذي تحمس له "مختار". لم أكن أعرف أنهما تعارفا. ولم يسبق لي أن لمحت "محمد" مبتسمًا.. بهذه الحرية.. لأحد خلاف المُمرِّضتين اللتين تتعاركان عليه. وبينما تبادلا الحديث بالهوسية، قبعت في مكاني غريبة، وقررت أن أنصرف؛ ولكننا سمعنا طرقًا على الباب من جديد قبل أن أنهض.

حضر أحد أبناء "مختار"، ومعه فتاة. لا أعرف أسماء أولاده، لم يبدُ لي هذا مهمًّا. ولكنني حدَّست أن هذا أكبرهم؛ فهو طويل، ذو لحية كثيفة. نحيف مثل والده. رمقني. ربما يتساءل عمَّا دفع ممرضة إلى الجلوس على هذا النحو قُرب فراش أبيه، وفي يدها كوب فارغ.

أفرغ "محمد" سلَّة المهملات وخرج بأشيائه. ونهضت من مكاني.

- صباح الخير يا بابا.

- صباح الخير، أتغادرين يا "كوريدي"؟

- لديك ضيف.

أشاح "مختار" بيده، وهو يقول:

- "ساني".. هذه "كوريدي"، صاحبة ذلك الصوت في أحلامي. أعتقد أنك ترحب ببقائها هنا.

لم يبدُ الرضا على وجه ابنه. لما تأمَّلته، وجدته ليس شبيهًا بوالده إلى ذاك الحد الذي تصوَّرته. عيناه صغيرتان، ولكنهما ليستا ضيقتين، وكأنه مُندهش دائمًا. أومأ برأسه في خشونة، وجلس.

- بابا.. هذه "مريم" التي أرغب في الزواج منها.

انحنت "مريم" بعض الشيء في تحية للرجل الذي تتمنَّى أن يكون حماها.

- وما الذي جرى مع تلك الأخرى التي أحضرتها لتعرفني عليها؟

تنهَّد الابن تنهيدة درامية طويلة.

- لم تنجح تلك العلاقة، بابا. ثم إن ذلك كان منذ زمن طو..

كان عليَّ أن أغادر الغُرفة منذ البداية.

- أنا لا أفهم.. ألم ألتقِ أبويها بالفعل؟

انتبهت إلى أن "مريم" لا تزال على انحناءتها، ويبدو أن الرجلين نسيا أنها موجودة. إن كانت هذه هي المرَّة الأولى التي تسمع فيها عن تلك الفتاة الأخرى، فلا بد أنه موقف عجيب بالفعل. نظرت إليَّ؛ لها عينان خاويتان من أيِّ مشاعر. تُذكِّرني بـ"بونمي". وجهها مُستدير، وجسدها مُثير لا يعدم التفاصيل. بشرتها أشد اسمرارًا من بشرتي، وهي أقرب إلى السواد. عجزت عن تحديد عُمرها.

- غيَّرت رأيي يا أبي.

- والمال الذي أنفقته؟

- إنه مجرد مال. أليست سعادتي أهمَّ منه؟

- أهذا ما كنت مُستغرقًا فيه وأنا مريض؟

- أبي، أريد أن أشرع في ترتيبات الزواج، وأريد منك أن..

- "ساني".. لو أنك تعتقد أنني سأمنحك مالًا فلا بد أنك أشد حماقة مما تصوَّرت. اسمكِ "مريم".. هاه؟ اعتدلي. اعذريني، ولكنني لا أُبارك هذا الزواج.

اعتدلت "مريم" في ارتباك، واقتربت من "ساني".

رمقني "ساني" في حنق، وكأنني المسؤولة عن انقلاب أبيه عليه. بادلته النظرة بنظرات لا مُبالاة. مثله لا يحرك لي طرفًا. ولكن "مختار" انتبه لما يدور أمامه.

- انظر إليَّ أنا، "ساني"، وليس إلى "كوريدي".

- لماذا هي هنا أصلًا؟ هذا شأن عائلي!

الحق إنني سألت نفسي السؤال نفسه. لماذا يريدني "مختار" هنا؟ نظر كلانا إليه في حيرة، ولكنه لم يبدُ متعجِّلًا للرد علينا.

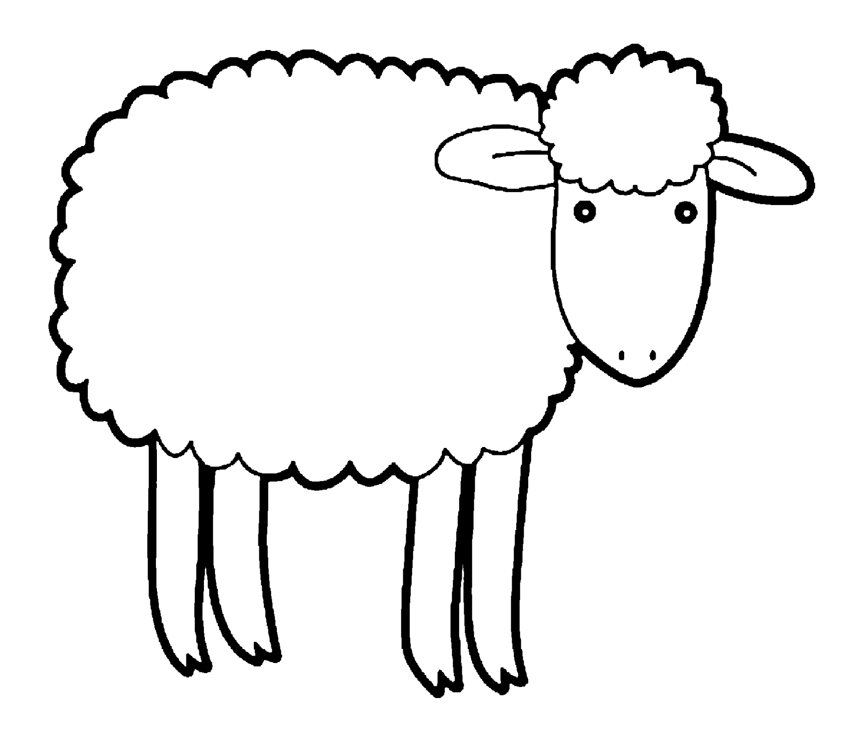
- قلت ما لديَّ بخصوص هذا الموضوع.

جذب "ساني" يد "مريم" وخرجا معًا من الغُرفة. أغمض "مختار" عينيه.

- لماذا كنت تريدني أن أظل هنا؟

- حتى تزدادي قوة.

خِرَاف



تعبت من التَّقلُّب في الفراش، وقرَّرت اللجوء لغُرفة "أيولا". كُنَّا ننام معًا ونحن صغيرتان، وكُنَّا نرتاح لذلك دائمًا. نشعر معًا أننا في أمان. ترتدي "تيشيرت" طويلًا، وتنام وهي تحتضن ذلك الدُّبَّ البُنِّي. تتَّخذ وضع الجنين وهي نائمة، ولم تحرك ساكنًا بينما أنسل إلى داخل فراشها. وهذا طبيعي، فهي لا تستيقظ إلا حينما يملُّ جسدها من النوم. لا تحلم ولا تُشخِّر. تنام وكأنها سقطت في غيبوبة؛ مثل غيبوبة "مختار".

أحسدها على هذا. جسدي مُنهك، ولكن عقلي في أوج نشاطه، يتذكَّر، ويُخطِّط، ويتوقَّع، ويترقَّب. إنني الملعونة بأفعالها، وليس هي. ربما أفلتنا من العقاب، ولكن أيدينا مُلطَّخة بالدماء. نرقد في الفراش مرتاحتين، ربما هي أكثر مني، بينما جُثَّة "فيمي" أسيرة الماء وتحت رحمة الأسماك. قاومت رغبة في إيقاظ "أيولا"، ولكن، ما الفائدة من هذا؟ حتى لو أيقظتها، فلن تفعل شيئًا سوى تهدئتي بكلمات مطمئنة قبل أن تروح في النوم من جديد.

لذلك، لجأت إلى عدِّ الخراف، والبط، والدجاج، والماعز، والفئران والجثث؛ إلى ما لا نهاية.

الأب



كان لدى "أيولا" ضيفٌ. كُنَّا في عُطلة الصيف، وقد حضر أملًا في أن تكون رفيقته قبل عودة المدارس. أعتقد أن اسمه كان "أولا". وأتذكَّر أنه كان طويلًا، ولديه وحمة تُغطِّي نصف وجهه. وأتذكَّر أنه كان يُحدِّق في "أيولا" طوال الوقت. استقبله والدي بشكل جيد. وقدَّمنا له الشراب وأطعمة خفيفة. أخذ يتحدث عن نفسه. وعرض والدي عليه السكين. تصرَّف معه بكرم وترحاب، حتى إن أُمِّي و"أيولا" انخدعتا بأدائه؛ وابتسمتا في سعادة. ولكنني كنت أراقب كل شيء في حذر وتوتر شديدين.

بالطبع لم يخبر "أولا" والد الفتاة التي يُعجب بها أنه مُعجب بها.

ولكن ذلك الإعجاب كان واضحًا في الطريقة التي كان ينظر بها إلى "أيولا"، وكيف كان يجلس أقرب لها، وكيف كان يذكر اسمها كثيرًا.

- هذا الولد حلو اللسان!

علَّق أبي ضاحكًا، بعد أن علَّق "أولا" على مسألة مساعدة المُشرَّدين في البحث عن عمل.

- أنا متأكد من أن لك جاذبية بين النساء.

- أجل، سيدي؛ أعني لا، سيدي.

- أنت مُعجب ببنتيَّ، أليس كذلك؟ إنهما حُلوَتا المعشر، أليس كذلك؟

احمرَّ وجه "أولا" حياءً. عاد يرمق "أيولا" من جديد. تقلَّصت عضلات وجه أبي. نظرت حولي، وتبيَّن لي أن أُمِّي و"أيولا" لم تلحظا ما لاحظت. أتذكَّر أنني تمنَّيت لحظتها لو كنت لقَّنت "أيولا" إشارة معينة تفهمني بها. تظاهرت بالسُّعال.

انتبهت أُمِّي إليَّ، وبادرتني:

- اذهبي، واشربي بعض الماء.

سعلت مُجدَّدًا، ولكن لا حياة لمن تُنادي.

- لا داعي، شكرًا.

همست لـ"أيولا" في عصبية أن تتبعني، ولكنها تجاهلتني وهي تنظر إلى "أولا". كانت مستمتعة بأنها محور اهتمامه إلى حد أنها تجاهلتني تمامًا. التفت أبي إليَّ، وابتسم. وجدته يرمق عصاه.

تقبع العصا فوق شاشة التليفزيون بقرابة نصف متر، على رَفٍّ صُنع خصيصًا لها. في مكانها ليل نهار. دائمًا ما أرمقها. مَن لا يعرفها يعتقد أنها عمل فني يعكس تاريخًا وثقافة. غليظة، وناعمة، وذات نقوش وزخارف.

مرَّت الزيارة بطيئة، إلى أن قرَّر أبي أنها انتهت، وقاد "أولا" إلى الباب، وهو يطلب منه أن يحضر مُجدَّدًا، ويتمنَّى له حظًّا سعيدًا، ثم خطا عبر غُرفة المعيشة التي خيَّم الصمت عليها، وتناول العصا.

- "أيولا"، تعالي إلى هنا.

أطلَّت عليه من الطابق العلوي، ولمحت العصا، فارتجفت. وارتجفت أنا.

- هل أصابكِ صمم؟ قلت تعالِي إلى هنا!

- ولكنني لم أطلب منه الحضور، لم أطلب منه الحضور.

همست وأنا أبكي:

- أرجوك، سيدي أرجوك.

وبدأت "أيولا" تبكي بدورها.

- "أيولا"، اخلعي ملابسكِ.

خلعت فستانها، وهي تفُكُّ أزراره زرًّا تلو الآخر. كانت تفعل ذلك في بُطء وبُكاء، ولكنه صبور.

توسَّلت أُمِّي إليه:

- أرجوك بحقِّ الرَّبِّ.

سقط فستان "أيولا" عند قدميها. كانت ترتدي ملابس داخلية بيضاء. وكانت ترتدي مشدًّا، أنا الأكبر منها لم أكُن أُفكِّر في ارتدائه. تشبَّثت أُمِّي بقميص أبي، ولكنه أزاحها عنه في سهولة. لا يمكن أن تتمكَّن من إيقافه.

خطوتُ خطوة جريئة للأمام، وأمسكت بيد "أيولا". تعلَّمت من التجارب السابقة أن الاقتراب من هذه العصا لن يجعلها تُميِّز بين الضحية والمُتفرِّج، ولكنني كُنتُ أشعر أن "أيولا" لن تنجو من هذه المواجهة.

- هل أرسلكِ إلى المدرسة لترافقي الشُّبَّان؟

صوت العصا يُسمع قبل وقعها. مثل سوط يُمزِّق الهواء. صرخت، وأغمضت عينيَّ.

- هل أدفع كل هذه الأموال حتى تصبحي عاهرة؟! ردي عليَّ!

- كلَّا، سيدي.

لم نكُن نُناديه أبي. لم نكن ننطقها. فهو ليس أبًا. ولا يتصرف على أنه أبٌ. لا يمكن لعاقل أن يعتبره أبًا. إنه تجسيد للقانون في منزلنا.

- أتظنين أنكِ عاهرة؟ سأُعرِّفكِ كيف تكونين إذًا!

ضربها مُجدَّدًا. هذه المرَّة مسَّتني العصا أيضًا. شهقت وكأنني سأموت.

- أتعتقدين أن ذلك الولد يهتم بكِ؟ إنه لا يريد إلا أن يكون بين فخذيكِ. وعندما ينتهي منكِ لن يعرفكِ بعدها.

الألم يشحذ الحواس. لا أزال أسمع صوت أنفاسه الثقيل. لم تسعفه لياقته البدنية. سرعان ما تعب أثناء الضرب، ولكن كانت لديه إرادة قوية، ورغبة أقوى في غرس الانضباط. ما زلت أتذكَّر رائحة خوفنا؛ مزيج من الحمض والمعدن، وأكثر فجاجة من رائحة القيء.

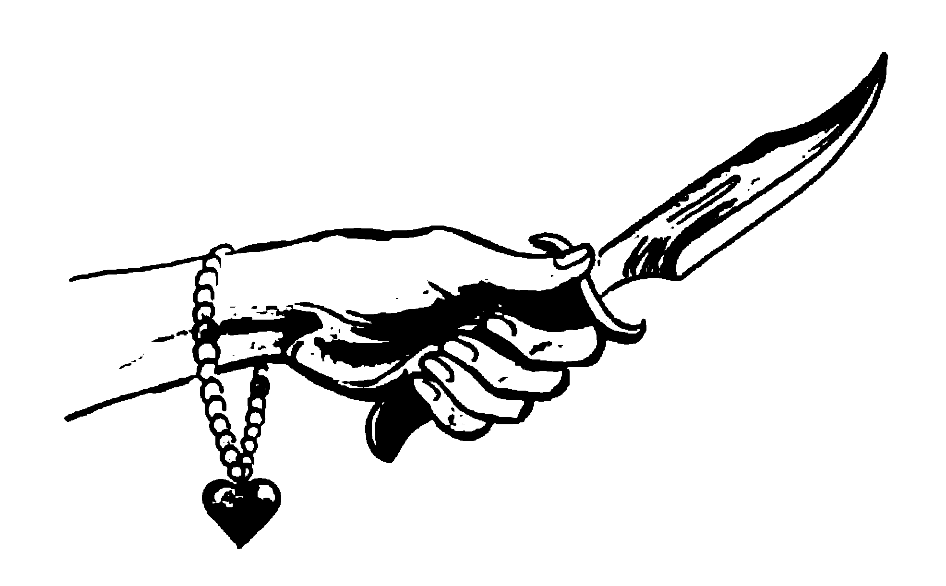
استمرَّ في خطبته وهو يقبض على سلاحه. تحوَّل لون جلد "أيولا" الفاتح نسبيًّا إلى أحمر قرمزي. ولأنني لم أكُن المُستهدفة، كانت العصا تُلامسني من حين لآخر، على كتفي، أو أُذني، أو على جانبي، ومع ذلك كان الألم صعبًا. شعرت بأن قبضة "أيولا" في يدي تضعف. كانت صيحاتها قد تحوَّلت إلى أنَّات. وكان عليَّ أن أتدخَّل:

- إذا ضربتها ثانيةً، فسيترك الضرب أثره الواضح، وسيتساءل الناس عن السبب!

تسمَّرت يده في الهواء، فالشيء الوحيد الذي يهتم به فعلًا هو سمعته. بدا ولو للحظة في حيرة تجاه ما ينبغي له أن يفعل، ولكنه مسح العرق عن جبينه، وأعاد العصا إلى مكانها. رقدت "أيولا" هامدة على الأرض بجانبي.

لمَّا عُدنا إلى المدرسة، اقترب مِنِّي "أولا" خلال الفُسحة ليخبرني برأيه في والدي.

- أبوكِ شخصية لطيفة حقًّا. تمنَّيت لو أن والدي مثله.



أما "أيولا"، فلم تتحدَّث مع "أولا" أبدًا بعد ذلك.

الزّوجة



- إذا لم تُعجبكما هذه الأحذية فلا بأس، لديّ مزيد في المخزن. يمكنني أن أرسل لكما صورها.

حدّقتُ أنا و"بونمي" في كومة الأحذية التي ملأت بها "تشيتشي" الأرضية خلف مكتب المُمَرِّضات. ورديّتُها انتهت منذ أكثر من نصف الساعة. غيّرت ملابسها، والآن من الواضح أنها تُغيِّر مهنتها كذلك؛ من مُمرِّضة إلى بائعة أحذية. مالت على كومتها، تُقلِّب في الأحذية حتى تعثر على الحذاء المنشود في نظرها. مالت أكثر من اللازم فلم نعد نرى منها سوى مُؤخِّرتها العريضة، أَشَحْتُ بنظري بعيدًا عن هذا المشهد.

كنت مُنشغلة بشئون العمل اليومية؛ لحظة أن وجدت حذاءً أسودَ أمام عينيّ من دون سابق إنذار. كنت قد صرفتها بعيدًا عنّي من قبل، ولكنها لحوحة، وأصرّت على أن أنهض معها لأُعاين البضاعة. المشـكلة هـي أن كـل الأحـذية التـي تبيعـها رخيصـة، وعُمرهـا الافتراضي لن يتجاوز الشهر. حتى إنها لم تهتم بتلميعها. رسمت

- تعلمين أننا لم نتسلَّم رواتبنا بعد، و..

- وأنا اشتريت هذا الشهر حذاءين جديدين.

هكذا عقَّبت "بونمي" في لمحة ذكاء. تجاهلتها "تشيتشي" وهي تعرض عليَّ حذاءً مُرصَّعًا.

- يمكنكِ شراء ما تريدين، أسعاري رخيصة.

وكادت تهمُّ بإلقاء شعر عن محاسن حذاء آخر كان في يدها، لحظة أن هرعت "يينكا" إلينا، وخبطت براحة يدها على مكتب الاستقبال. ربما لا أعتبرها شخصيتي المفضلة في هذا الكون، ولكنني مُمتنَّة لها جدًّا في هذه اللحظات.

- هناك مسلسل درامي مُتكامل يدور الآن في غُرفة صاحبنا أبي غيبوبة!

- درامي؟

الآن، نسيت "تشيتشي" أحذيتها، وهي تسند مرفقها على كتفي مشدودة إلى ما تسمعه. قاومت رغبة عارمة في أن أطيح بذراعها بعيدًا عنِّي.

- كُنتُ ذاهبة إلى مريضي، عندما سمعت صياحًا يتعالى من غرفته.

- كان يصيح؟

- بل زوجته. توقَّفت حتى.. حتى أتأكَّد من أنه بخير.. فسمعتها تصفه بالشيطان. وأنه لن يأخذ أمواله معه إلى القبر.

قالت "تشيتشي" وهي تطرقع بأصابعها فوق رأسها، كأنما تطرد أشباح البخلاء التي ربما تهورت واقتربت منها:

- كم أمقُتُ البُخلاء!

هممت بالدفاع عن "مختار"، وأن أخبرهم أنه ليس بالبخيل على

الإطلاق، بل هو سخي، وطيب القلب؛ ولكنني نظرت إلى عيني "بونمي" الخاملتين، وعيني "تشيتشي" النَّهِمَتين، وعيني "يينكا" السوداوين، فأيقنت أن كلماتي لن تجد أيَّ أُذن صاغية. بادرت بالنهوض، متجاهلة "تشيتشي" التي تستند إليَّ.

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟

- لا يمكننا أن نسمح لمريض لدينا بأن يتأذَّى من صديق أو قريب. طالما أنهم هنا، فإنهم في حمايتنا، وتحت رعايتنا.

صاحت "يينكا" ساخرة:

- عليكِ أن تكتبيها على لافتة، وتعلقيها هنا في الاستقبال.

تظاهرت أنني لم أسمعها، وسارعت الخُطى نحو غُرفته. في الطابق الثالث ثلاثون غرفة، من 301 إلى 330. سمعت الصياح ما إن وصلت إلى الممر. صياحها وصياح رجل أيضًا. ولكنه ليس "مختار".

طرقت الباب، فخيَّم الصمت.

- تفضَّل.

صوت "مختار" المُرهق. فتحت الباب، فوجدته يقف إلى جوار الفراش، يرتدي جلبابًا رماديًّا. يستند إلى حافة الفراش، والتعب واضح عليه. وعلى وجهه. وكأنه كبر أعوامًا منذ كُنَّا معًا آخر مرَّة.

ترتدي زوجته شالًا طويلًا أحمرَ. يغطيها من أعلى رأسها إلى الأسفل. وعلى الرغم من أناقتها، فإن الشراسة ظاهرة على وجهها إلى حدٍّ مُخيف. يقف "عبد الله" أخو "مختار" إلى جوارها كسير العينين. حدَّست أنه صاحب ذلك الصوت الرفيع. هبَّت الزوجة في وجهي:

- ماذا تُريدين؟

تجاهلتها، وقلت:

- "مختار"؟

- أنا بخير.

- أتريد مِنِّي أن أبقى؟

- ماذا تعنين بطلبكِ هذا منه؟ أنتِ مجرد مُمرِّضة عادية. هيَّا، اخرُجي من هنا!

صوتها أشبه بخدش الأظافر فوق سبورة سوداء.

- ألم تسمعيني؟

اقتربت من "مختار" الذي ابتسم لي في إشفاق، وقلت:

- أرى أن عليك أن تجلس.

ساعدته على الجلوس في الكرسي الأقرب إليه، ووضعت بطانية على حجره، وهمست له:

- أتريدهم هنا؟

- ما الذي تقوله له؟ إنها ساحرة شريرة! سيطرت على زوجي المسكين بالسحر! لذلك هو لا يعقل ما يقول. ع
"عبد الله". اطردها من هنا! سأشكوكِ في الإدار
نوع من السحر الأسود تستخدمين.

لم أكن أريد من "مختار" سوى هزَّة رأس موافقة. عندئذٍ، اعتدلت، وواجهتها.

- سيدتي، أرجو أن تُغادري الغُرفة، وإلا طلبت لكِ أفراد الأمن.

جُنَّ جنونها، وهي تصيح فيَّ:

- ألا تعرفين مع مَن تتحدَّثين؟ "عبد الله"؟!

التفت إلى "عبد الله"، ولكنه لم يرفع عينيه نحو عينيَّ. هو أصغر من "مختار"، وربما أطول منه، ولكنه يقف مُطأطئ الرأس بشكل مُبالغ فيه. ربتت على ذراعها حتى يُهدِّئها، ولكنها أبعدته عنها

الحقُّ إنني لو مكانها لفعلت ذلك أيضًا. على الرغم من أنه يرتدي بذلة غالية الثمن، فإنها لا تليق به أبدًا؛ مقاسها واسع عليه بشكل واضح. كما أن شخصيته الضعيفة تُبرز ذلك.

نظرت إليها مُجدَّدًا. أعتقد أنها كانت ذات جمال في يوم بعيد من الأيام. ربما يوم أن رآها "مختار" للمرَّة الأولى.

- لا أريد أن أكون عديمة الذوق، ولكن صحَّة مريضي هي أولويتي، ولا نسمح لأي أحد بتهديد صحَّة مرضانا.

- مَن تظنين نفسكِ؟ أتحلمين بسلبه أمواله؟ ألم يمنحكِ مالًا بالفعل؟ "مختار"، أنت تدَّعي الحكمة والمعرفة وترفض طلباتنا. وها أنت ذا تجري وراء مُمرِّضة؛ حتى إن ذوقك سيئ في المُمَرِّضات!

صاح "مختار" فجأة:

- اخرُجي!

فجفلنا جميعًا. صيحة صارمة حاسمة بنبرة لم أعرفها عنه من قبل. رفع "عبد الله" رأسه للحظة قبل أن ينكسه مُجدَّدًا. حدَّقت فينا زوجته للحظات قبل أن تبادر بالخروج، يتبعها "عبد الله" في خنوع. سحبت كرسيًّا وجلست قُرب "مختار"، عيناه جامدتان وهو يربت على يدي مطمئنًا. قال:

- أشكرك.

- أنت مَن طردتهما.

تنهَّد، ثم قال:

- والد "مريم" يريد التَّرشُّح لمنصب محافظ "كانو".

- لذلك تريد منك زوجتك الموافقة على زواج ابنك منها.

- أجل.

- هل توافقين أنتِ؟

تخيَّلت "تيد"، والخاتم في يده، وعيناه عليَّ، ينتظر كلمة موافقة من بين شفتيَّ.

- هل يحبان بعضهما؟

- مَن؟

- "مريم" وابنك.

- الحب؛ يا لها من كلمة.

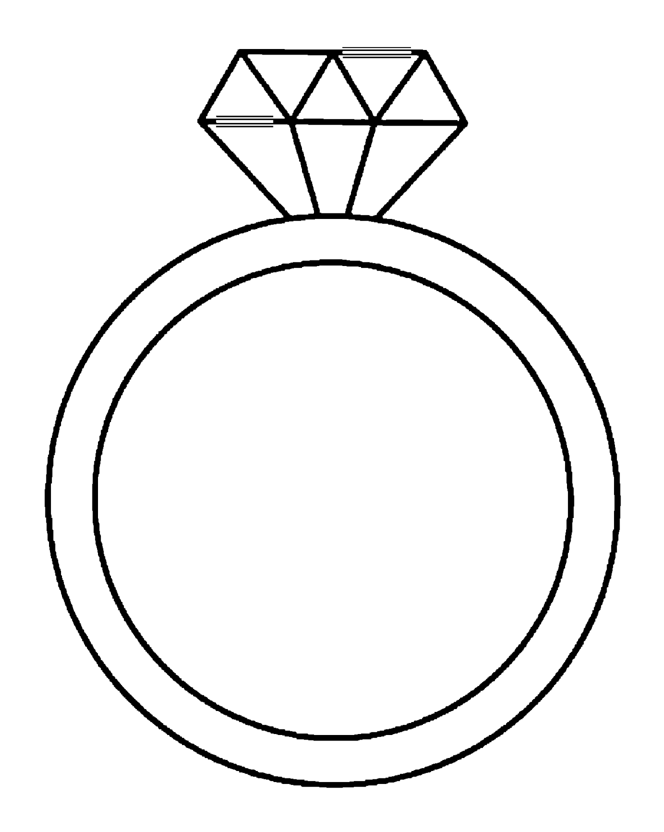
أغمض عينيه وسكت.

الليل



يُحدِّق "تيد" فيَّ، ولكن بعينين خاويتين. وجدت وجهه مُشوَّهًا عجيبًا. مدَّ يده يُلامسني، ولكنها كانت باردة.

- أنتِ مَن فعلها.



تخريب

تسلّلتُ إلى مكتب "تيد"، وأخذتُ أبحث في الأدراج عن علبة

الخاتم. كان "تيد" قد اصطحب مريضًا إلى غُرفة الأشعَّة. وجدتُ الخاتم تمامًا كما هي صورته في خيالي؛ وجدته ساحرًا وخلَّابًا. قاومت رغبة عارمة في أن أضعه في إصبعي، ولكنني بدلًا من ذلك أمسكت به في حرص، وجثوتُ على رُكبتي فوق أرضية المكتب، وضربت الماسة بالأرض بكل قوة. وضربت مُجدَّدًا ومُجدَّدًا. أدركت صحَّة مقولة أن الماسة صُنعت لتبقى، فقد كانت كل محاولاتي هباءً، وبقيت الماسة صامدة وكأنها لم تُمسّ، رغم انبعاج بقيَّة الخاتم قبل أن يتهشَّم إلى قطع صغيرة مُتناثرة. ومن دونه، بدت الماسة أصغر حجمًا، وأقلّ بهاءً.

خطر لي أنني لو أفسدت الخاتم، فسيشكُّ "تيد" فيّ. دسستُ الماسة في جيبي. فمَن ذلك اللص الذي يحترم نفسه ومهنته ويفعل هذا بخاتم، وبعدها يترك الماسة في مكانها. كما أنني بذلك أُفوِّت على "تيد" فُرصة أن يأخذها ليضعها في خاتم جديد. ذهبتُ إلى خزانة الأدوية.

ما هي إلا عشرون دقيقة حتى وجدت "تيد" يأتي مُسرعًا غاضبًا إلى مكتب الاستقبال. حبستُ أنفاسي. رمقني قبل أن يشيح بوجهه سريعًا، وهو يتحدَّث إلى "يينكا" و"بونمي".

- أحدهم دخل إلى مكتبي وقَلَبَهُ رأسًا على عقب، وأفسد أشيائي.

- ماذا؟!

صِحْنا جميعًا في وقت واحد. وعقَّبت "يينكا":

- أهذه مُزحة؟

على الرغم من أن الواضح من تعبيرات وجه "تيد" أنها ليست مزحة على الإطلاق، زُحنا معه إلى مكتبه، وفتحنا الباب. حاولت أن أبدو مهتمة بما أراه. ما يظهر لمن ينظر في الغُرفة هو أن أحدهم كان يبحث عن شيء ما قبل أن يفقد أعصابه. الأدراج مفتوحة، ومحتوياتها مُبعثرة على الأرض. خزانة الأدوية أيضًا مفتوحة، وما بها من أدوية مُبعثر أيضًا، وملفات المرضى فوق سطح المكتب في فوضى مُتعمَّدة. وبينما كنت أُغادر المكتب،

رمقتْ الخاتم المُهشّم على الأرض.

- أمر فظيع.

- مَن قد يفعل هذا؟

تساءلت "بونمي" في سُخط.

أما "يينكا"، فمارست هوايتها:

- لقد رأيت "محمد" وهو يدخل المكتب لتنظيفه.

شعرتُ بتوتُّر شديد في أعصابي، عندما بادرها "تيد" مُتلهِّفًا:

- ولكنني لا أعتقد أن "محمد" س...

- ألم يكن مكتبك مُرتَّبًا عندما غادرته؟

- أجل.

- ثم ذهبت مع ذلك المريض إلى غُرفة الأشعَّة. كم مرَّ عليكما من وقت هناك؟

- أربعون دقيقة تقريبًا.

- حسنًا، أنا رأيت "محمد" وهو يدخل مكتبك في غضون ذلك الوقت. ولنفرض أنه أمضى هناك عشرين دقيقة، ليمسح الأرضية، ويُفرِّغ سلَّة المُهملات. عندئذٍ، لن يكون هناك أيُّ مُتَّسع من الوقت لشخص غيره حتى يدخل ويفعل ما فعل، ومن ثم يغادر.

تتحدَّث "يينكا" بثقة مُفتِّش مباحث مُحنَّك. سألتها:

- وما الذي يدفعه إلى أن يفعل هذا، في رأيكِ؟

- يبحث عن المخدرات، هذا واضح.

عقدت ذراعيها بكل رضا، بعد أن فرغت من نسج شِبَاك التُّهمة. كم هو سهل أن تتَّهم "محمد". فهو فقير، وجاهل. كما أنه عامل نظافة، ولكن "بونمي" تدخلت:

- لا، أنا لا أقبل بذلك.

كانت تنظر إليّ أنا و"يينكا" بغضب. أم أنها تشكُّ في أمر ما؟

- هذا الرجل يعمل هنا حتى من قبل أن تلتحقي أنتِ وهي بالعمل، ولم نسمع عنه أيّ مشكلة. لا يمكن أن يكون هو الفاعل.

لم يسبق لي أن رأيت "بونمي" تتحدَّث بكل هذا الحماس من قبل. حدَّق ثلاثتنا فيها بكل حيرة، ولكن "يينكا" لم تكُن تسكت:

- بوسع مُدمني المخدرات إخفاء حقيقة إدمانهم لفترة طويلة. ربما كان يُعاني من أعراض الانسحاب، أو شيء من هذا القبيل. أمثاله عندما يحتاجون إلى الجرعة ف.. ثم مَن يدري. ربما كان يسرق المخدرات طوال الوقت دون أن ينتبه إليه أحد.

"يينكا" راضية عن فرضياتها، و"تيد" غارق في أفكاره. أما "بونمي" فتركتنا وانصرفت. لقد قمت بما هو صحيح.. أليس كذلك؟ لقد منحت "تيد" مُهلة كافية للغاية حتى يتراجع. قاومت رغبة كبيرة في الذهاب وترتيب مكتبه من جديد.

أنكر "محمد" التهمة المُوجَّهة إليه في إصرار، وعدم تصديق، ولكنهم طردوه من العمل. لم يكن "تيد" مرتاحًا لهذا القرار، ولكن الدليل، أو بالأحرى غياب الدليل، لم يكن يصُبُّ في مصلحة "محمد". شعرت بالقلق؛ لأن "تيد" لم يذكر لي أمر الخاتم المُحطَّم. هو بالأساس لم يتحدث معي عمَّا جرى.

بعد أيام، كُنتُ أقف عند باب مكتبه:

- مرحبًا.

- ما الأمر؟

لم يرفع رأسه عن أوراق الملف الذي يكتب فيه.

- أردت فقط أن أطمئنَّ عليك.

- بخير، كل شيء بخير.

- لم أكُن أُريد أن أسألك أمام الزميلات. ولكن أتمنَّى ألا يكون الخاتم قد سُرِق.

عندئذٍ، توقَّف القلم عن الكتابة، ونظر إليَّ للمرَّة الأولى منذ أتيتُه:

- الحقيقة إنه سُرِق بالفعل يا "كوريدي".

هممتُ بالتظاهر بالصدمة، ولكنه أردف:

- الغريب أن زجاجتي "الديزايبام" في مكانهما في خزانة الأدوية. لم يُسرقا. الخزانة مليئة بأصناف المخدرات، ورغم ذلك فإن الخاتم وحده هو ما سُرِق من المكتب. أستغرب هذا التصرف من مدمن مخدرات.

كان ينظر في عينيَّ مباشرة، ولكنني لم أجفُل.

- غريب بالفعل.

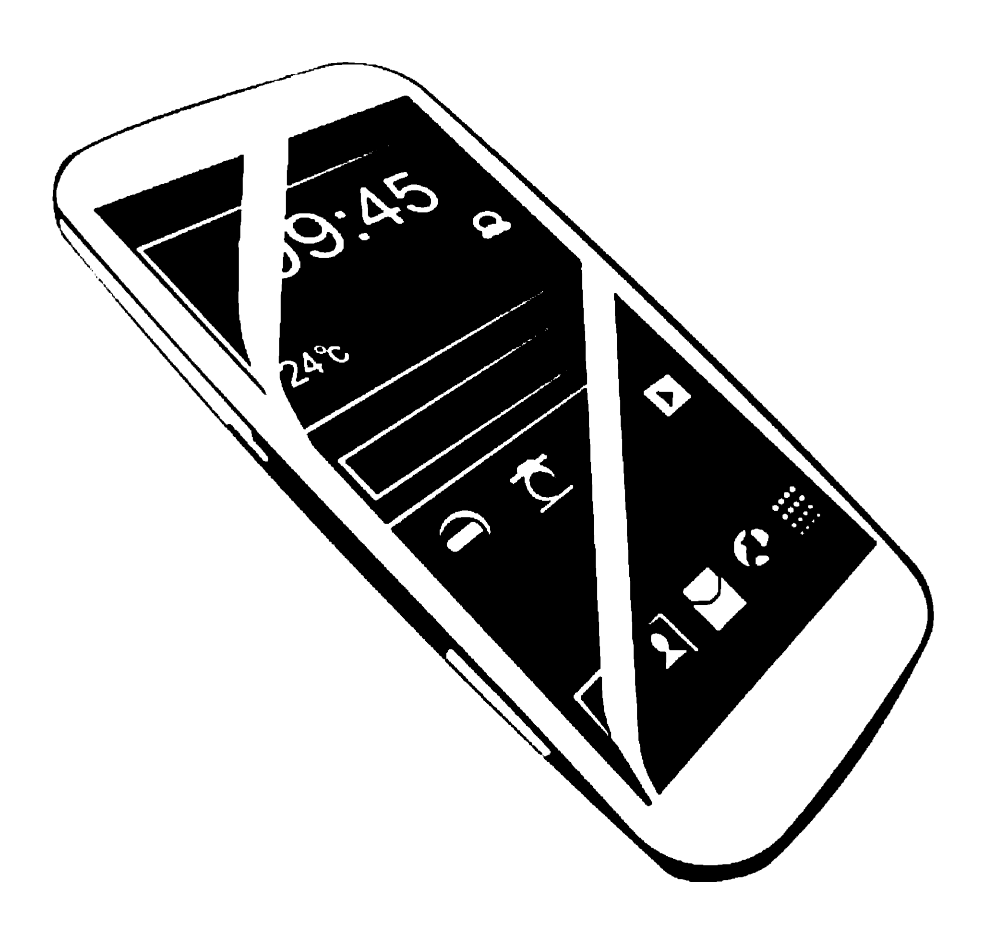
بقينا ننظر إلى بعضنا لفترة أظنها مرَّت طويلة، قبل أن يمسح وجهه بكفَّيه في تسليم:

- حسنًا، هل هناك من شيء آخر؟

- كلَّا، أبدًا.

في تلك الليلة، ألقيت الماسة في مياه البُحيرة؛ أسفل الجسر البرِّي الثالث.

موبايل

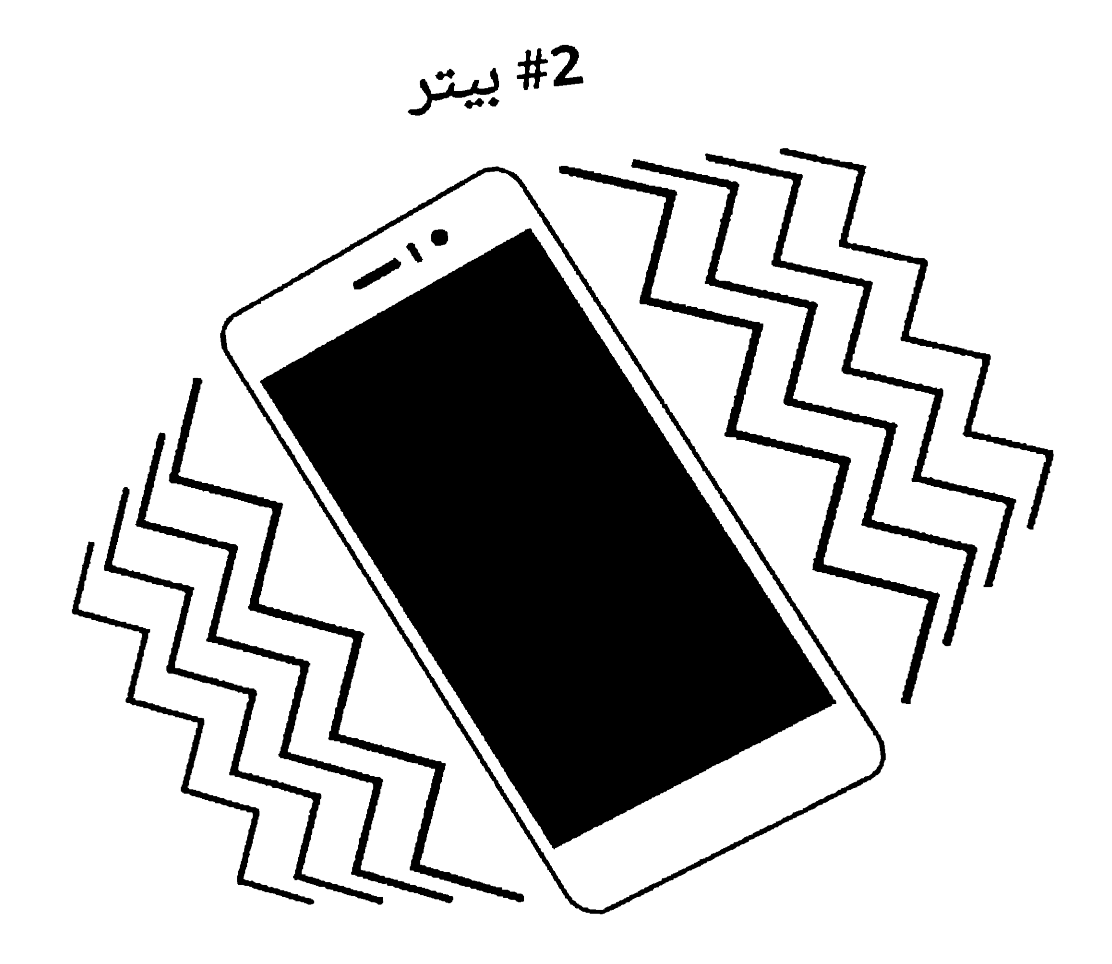


اكتشفتُ أن أفضل طريقة للانشغال عن التفكير في أمر ما هي مُشاهدة حلقات مُتتالية من مسلسل تليفزيوني. مرَّت الساعات وأنا راقدة في الفراش، أحشو فمي بأنواع المكسرات، بينما أُشاهد المسلسل على شاشة الـ"لاب توب". بعدها، دخلت إلى مُدوَّنة "فيمي"، ولكنني وجدتُ أن الصفحة لم تعُد موجودة؛ بل صفحة بيضاء عليها الرقم 404 الشهير، في تأكيد على أن المُدوَّنة قد مُحيت من الشبكة. لم يعد موجودًا حتى في العالم الافتراضي؛ وليس من المنطقي أن يبقى موجودًا بالنسبة لي. صار بعيدًا عني بموته، كما كان في حياته.

انتبهت إلى اهتزاز موبايلي، وفكَّرتُ في تجاهل الرد، ولكنني في النهاية تناولته. إنها "أيولا". ارتجف قلبي.

- آلو.

#2 بيتر



- "كوريدي"، لقد مات.

- ماذا؟

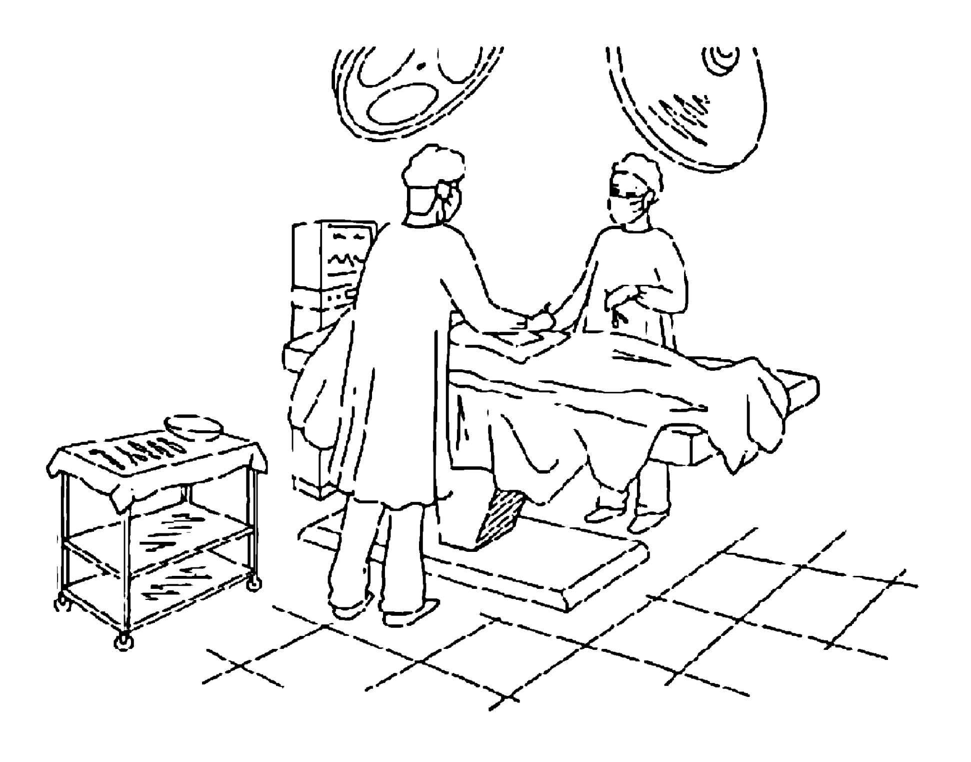
- إنه...

- ما الذي تقولينه بحقِّ الشيطان؟ هل... أنتِ... أنتِ...

سمعت صوت بُكائها المحموم.

- أرجوكِ، أرجوكِ، ساعديني.

غُرفة العمليّات



هذه هي المرة الأولى التي أدخل فيها منزل "تيد". تخيَّلت هذه اللحظة بصور مختلفة، ولكن ليس من بينها هذه الصورة. طرقت على الباب بكل قوة، غير مُبالية بمَن قد يسمع، أو قد يرى. ما يهم هو أن يُفتح الباب في الوقت المناسب.

تراجعت خطوة والباب يُفتح.. "تيد" واقف عنده، والعرق غزير على وجهه وعُنقه، رغم دفقة هواء جهاز المكيف الباردة التي استقبلتني. تجاوزته، وأخذت أنظر في المكان. غُرفة المعيشة، ثم المطبخ، والدَّرَج. أين "أيولا"؟

- أين هي؟

- بالأعلى.

هرعت إلى حيث هي، وأنا أُنادي عليها، ولكنها لم ترُد. لا يمكن أن تكون قد ماتت. لا يمكن. الحياة من دونها... ولو أنها رحلت ستكون غلطتي لأنني قلت ما لم يكن ينبغي أن يُقال. كنت أدرك أنني لأجل إنقاذه ضحَّيت بها.

- إلى اليسار.

كان يهرول خلفي. فتحت الباب بيد مُرتجفة. غُرفة نومه؛ فراشه الكبير يحتل ثُلثي مساحة الغُرفة، وعلى الجانب الآخر منه أسمع أنَّات ضعيفة.

تملَّكني الخوف لحظات. هي مُسجَّاة على الأرض، في وضع قريب الشبه بما كانت عليه جُثَّة "فيمي"، والسكين. لا يزال مُنغرسًا في جسدها. نظرت إليَّ بابتسامة واهنة. قالت في ضعف:

- يا للمُفارقة!

- إنها، لقد حاولت قتلي.

تجاهلته وأنا أُخرج المقصّ من علبة الإسعافات التي أحضرتها، وأقصُّ به النصف السُّفلي من قميصي، بعد أن تبين لي أن ما معي من ضمادات لن يفي بالغرض. أردت استدعاء الإسعاف، ولكنني لم أكُن لأخاطر بأن يتحدث "تيد" معهم عمَّا جرى قبل أن أكون موجودة. قالت لي:

- أنا لم أحاول سحب السكين.

- جيد ما فعلتِ.

جعلت من سُترتي وسادة لرأسها. تأوَّهت مُجدَّدًا، فاعتصر قلبي. أخرجت قُفَّازًا طبيًّا، وارتديته.

- أنا لم أقصد أن أُؤذيها.

- "أيولا"، احكي لي ما حدث.

لم أكن في الحقيقة راغبة في أن أعرف ما حدث، ولكنني أردت أن تبقى معي.

- لقد، لقد ضربني.

- أنا لم أضربها!

لا يدري أنه أول رجل كُتب له عُمر جديد مع "أيولا"، حتى إنه يقف الآن يدافع عن نفسه أمام اتهاماتها.

- وحاولت منعه، فطعنني.

- هي مَن باغتتني بالسكين! هي مَن فعلتها! تبًّا!

- اسكُت! هل أنت المُسجَّى على الأرض تنزف الآن؟ هل أنت هي؟

ضمَّدتُ جرحها، ولم أسحب السكين من جسدها. فلو أنني فعلت لخاطرت بقطع شريان، أو تخريب عضو. اتَّصلتُ بمكتب الاستقبال في المستشفى. أجابتني "تشيتشي"، فشكرت اللّٰه على عدم وجود "يينكا" في وردية ليل هذا الأسبوع. أخبرتها أنني آتية ومعي أُختي التي تعرَّضت لطعنة، وطلبتُ منها استدعاء الدكتور "أكيجبي". بادرني "تيد":

- سأحملها.

لم أكن أريده أن يلمسها، ولكنه أقوى مِنِّي بدنيًّا.

- لا بأس.

حملها بسهولة، ونزلنا بها، قبل أن نخرج إلى الطريق. أسندت رأسها إلى صدره، كما لو كانا عاشقين. ربما هي لم تستوعب بعد حجم المصيبة التي حلَّت بها.

فتحت باب السيارة الخلفي وأرقدتها هناك. انطلقت بالسيارة سريعًا. أخبرني أنه سيلحق بنا بسيارته. الساعة الرابعة فجرًا. لا زحام، ولا شرطة مرور. هكذا انطلقت بسرعة مائة وثلاثين كيلو مترًا في الساعة. ووصلنا إلى المستشفى في عشرين دقيقة. استقبلتني "تشيتشي" وفريق طوارئ عند المدخل.

- ما الذي جرى؟ ما الذي جرى؟

- طعنها أحدهم.

ظهر الدكتور "أكيجبي" ونحن في الطريق إليه عبر الممر. تفقَّد نبض "أيولا" قبل أن يلقي بمختلف الأوامر للمُمَرِّضات. ابتعدن بأُختي، وأخذني هو على غُرفة جانبية حتى أبقى فيها.

- ألا يمكن أن أكون معها؟

- "كوريدي"، عليكِ أن تبقي بالخارج.

- ولكن..

- تعرفين القواعد. وقُمتِ بكل ما يمكنكِ القيام به. ثقي بي.

دخل غُرفة العمليات سريعًا. مشيتُ في الممر في اللحظة التي دخل فيها "تيد" المستشفى راكضًا لاهثًا.

- دخلت غُرفة العمليات؟

لم أرد عليه. اقترب مِنِّي، وأراد أن يحتضنني ليُهدِّئني.

- لا تفعل.

- تعرفين أنني لم أقصد أن أفعل هذا، أليس كذلك؟ كُنَّا نتشاجر، و..

تركته ورُحتُ إلى مُبرِّد المياه، ولكنه لحق بي.

- أنتِ أخبرتني من قبل أنها خطرة. هل أخبرتِ أحدًا بما حدث؟

احتفظت بهدوئي، والحق أن لا شيء يمكن قوله في هذه اللحظات. قلت وأنا أصُبُّ كوب ماء:

- كلَّا، وأنت لن تخبر أحدًا بدورك.

- ماذا؟

- لو أنك تفوَّهت بأي شيء عمَّا جرى، فسأخبر الجميع أنك مَن هاجمها. مَن تعتقد أنه سيكون صادقًا أمام الناس الآن؟ أنت أم "أيولا"؟

- تعرفين أنني بريء. تعرفين أنني كنت أُدافع عن نفسي.

- كل ما أعرفه هو أنني دخلت منزلك فوجدت أُختي على الأرض، وسكينًا في جسدها. هذا هو كل ما أعرفه.

- ولكنها حاولت قتلي! لا يمكنكِ أن..

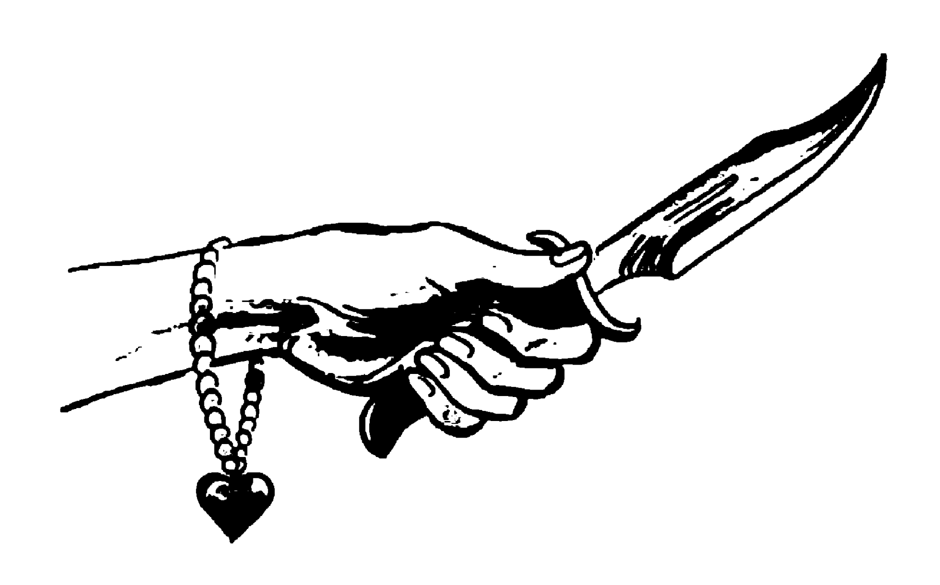
لم يكن يصدق ما يسمعه، وينظر إليّ وكأنه يراني للمرَّة الأولى.

- أنتِ أسوأ منها.

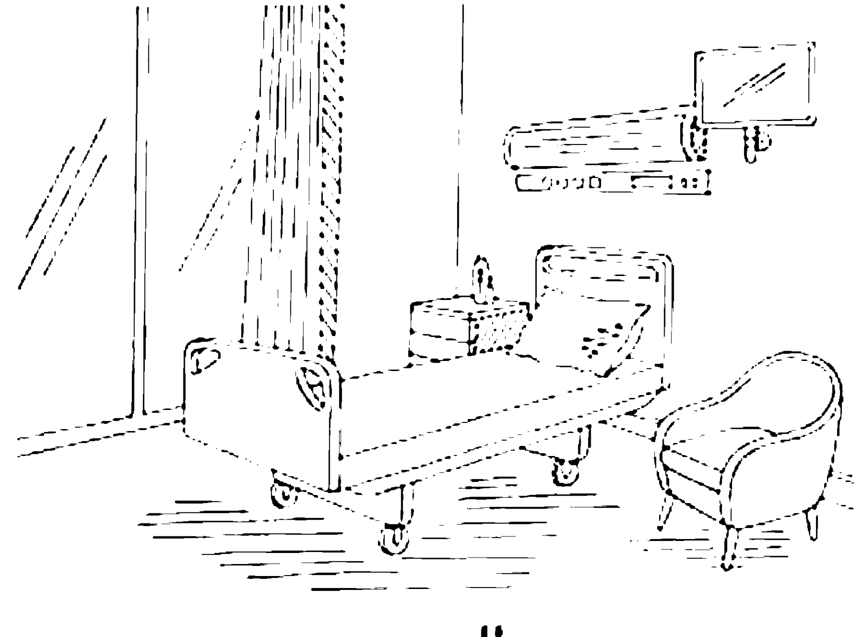
- ماذا قُلت؟

- هي تُعاني من خلل ما، أما أنتِ؟ فما عُذرك؟

ابتعد عنِّي في احتقار.



بقيت في الممر، أمام غُرفة العمليات في الانتظار.



الجرح

خرج الدكتور "أكيجبي" مُبتسمًا، فتنفَّست الصُّعداء.

- أيمكنني أن أراها؟

- هي نائمة. سننقلها إلى غُرفة بالأعلى. يمكنكِ رؤيتها حينذاك.

وضعوا "أيولا" في الغُرفة 315، على بُعد غُرفتين من "مختار"، الذي لم يسبق له أن التقى أُختي، ولكنه يعرف عنها أكثر مما كنت أقصد أن يعرف.

رأيتـها راقـدة؛ بريئـة وضعيفة. يعلو صدرها ويهبط في هدوء. حرصت مُمرِّضة على هندمة ضفائرها جوار رأسها.

بادرتني "يينكا" في حُزن:

- مَن فعل بها هذا؟

- كل ما يهمني هو أنها بخير.

- مَن فعل هذا لا بد أن يُقتَل! لولاكِ لكانت ميتة!

- أنا.. أأأ..

اندفعت أُمِّي إلى الغُرفة بكل هلع الدنيا قائلة:

- "أيولا" ابنتي!

مالت على الفراش، وقرّبت خدّها من فم ابنتها. تريد أن تتأكّد من أنها تتنفّس، تمامًا كما كانت تفعل و"أيولا" رضيعة. اعتدلت باكية. احتضنتها بشدّة، بينما انسحبت "يينكا" في هدوء.

- ما الذي حدث، "كوريدي"؟ مَن فعل هذا؟

- اتّصلت بي. ذهبتُ إليها في المكان الذي كانت به. ووجدتُ سكينها منغرسًا في جسدها.

- وأين كانت؟

في تلك اللحظة، تأوّهت "أيولا"، فانشغلت بها عن السؤال، ولكنها لا تزال نائمة، وسرعان ما استكانت مُجدَّدًا.

- أنا مُتأكّدة من أننا سنعرف من "أيولا" حقيقة ما جرى حينما تستفيق.

- ولكنني أُريد أن أعرف أين وجدتِها؟ لماذا لا تخبريني؟

كُنتُ أُفكّر في "تيد"، ماذا سيفعل؟ وما الذي ينوي عليه؟ لا بد أن أعمل على إفاقة "أيولا" حتى نتّفق على حكاية واحدة. حكاية لا يمكن أن تكون حقيقية.

- كانت في منزل "تيد"، أعتقد أنه وجدها مُصابة هناك.

- "تيد"؟ هل كانت محاولة سرقة؟ أم أن.. أم أن "تيد" هو مَن فعل بها هذا؟

- لا أدري، أُمّي. سنسأل "أيولا" حينما تستيقظ.

غمغمت أُمّي في ضيق، ولكنها صمتت. لا يسعنا سوى الصمت الآن.

السُّور



#248269197

كانت غُرفة المستشفى مُرتَّبة، ربما لأنني أمضيتُ نصف الساعة الأخير في ترتيبها. دُمى الدِّبَبة التي أحضرتها من المنزل مُرتَّبة عند حافة الفراش، حسب ألوانها؛ أصفر، وبُنِّي، وأسود. موبايل "أيولا" مشحون تمامًا، لذلك وضعت الشاحن في حقيبتها، التي أخذت راحتي في ترتيب محتوياتها. حقيبتها وعاء فوضى نموذجي؛ مناديل مستعملة، وإيصالات، وبقايا بسكويت، وأوراق من أيام دبي، وحلوى مُستعملة أيضًا. أخذت قلمًا ودوَّنتُ كل الأشياء التي كان عليَّ أن أُلقي بها في سلَّة المُهملات، في حال سألتني عنها.

- "كوريدي"؟

توقَّفت عمَّا كُنتُ أقوم به، ونظرتُ إلى "أيولا"، التي وجدتها تنظر إليَّ بعينيها الواسعتين.

- مرحى، لقد استيقظتِ؛ كيف حالك؟

- بائس.

نهضتُ، وأحضرتُ لها كوب ماء. قرَّبتُه من فمها، وشربت.

- قليلًا، أين أمِّي؟

- عادت للمنزل حتى تأخذ حمَّامًا. ستعود قريبًا.

أطرقت "أيولا" برأسها في تفهُّم، ثم أغمضت عينيها. راحت في النوم مُجدَّدًا في غضون دقائق.

لمَّا استيقظت "أيولا" في المرَّة التالية، كانت أصفى ذهنًا. تطلَّعت حولها، لتستوعب المكان. لا أعتقد أنها كانت نزيلة غُرفة مستشفى من قبل. لم يُصبها شيء أسوأ من نزلة برد، وكل مَن تعرفهم ماتوا قبل أن تكون هناك حاجة لنقلهم إلى مستشفى.

- مَلَل..

- أتودِّين أن نحضر مَن يرسم بعض الجرافيتي على الجدران لأجلكِ؟

- كلَّا.. ليس جرافيتي، بل فن.

ضحكتُ، وضحكت هي. سمعنا طرقًا على الباب. إنها الشرطة.

شرطيان مختلفان هذه المرَّة؛ شرطي وشرطية. رمقا "أيولا"، فبادرت بالوقوف أمامهما.

- معذرة، هل من خدمة؟

- عرفنا أنها تعرَّضت للطَّعن.

- أجل؟

أجابتني الشرطية وهي تحاول النظر إلى أختي:

- نودُّ فقط طرح بضع أسئلة عليها.

قالت "أيولا" بكل بساطة الدنيا:

- "تيد" هو مَن طعنني.

"تيد هو مَن طعنني"، لم تتردَّد، ولو للحظة. لو أنهما سألا عن حالة

الطقس لأخذت وقتًا أطول من هذا. شعرتُ بالأرض تميدُ من تحت قدميّ، فأسندت جسدي إلى كرسي.

- ومَن "تيد" هذا؟

- إنه طبيب هنا.

كانت أُمِّي هذه المرَّة قد ظهرت من العدم. نظرت إليّ بغرابة وكأنها تريد أن تعرف سببًا للغثيان الذي أشعر به. كان من اللازم أن أُبادر بالتَّحدُّث مع "أيولا" ما إن استيقظت في المرَّة الأولى.

- أخبرينا بما حدث؟

- لقد تقدَّم لخطبتي، فأخبرته أنني غير مُهتمَّة به، ففقد صوابه. وتهجَّم عليّ.

- وكيف أنقذتكِ أُختكِ؟

- غادر الغُرفة، فاتصلت بها.

رمقاني بنظرات، ولكنهما لم يُوجِّها إليّ أسئلة، وكان ذلك من حُسن حظِّي وأنا في هذه الحالة.

- نشكرك، سيدتي، سنعود ثانيةً.

المؤكد أنهما ذاهبان إلى "تيد".

- "أيولا"؟ ماذا فعلتِ؟

- ما قصدك بماذا فعلتِ؟ ذاك الرجل طعن أُختكِ بسكين!

وجدتُ "أيولا" تُومئ برأسها بكل غضب، بل أشد غضبًا من أُمِّي.

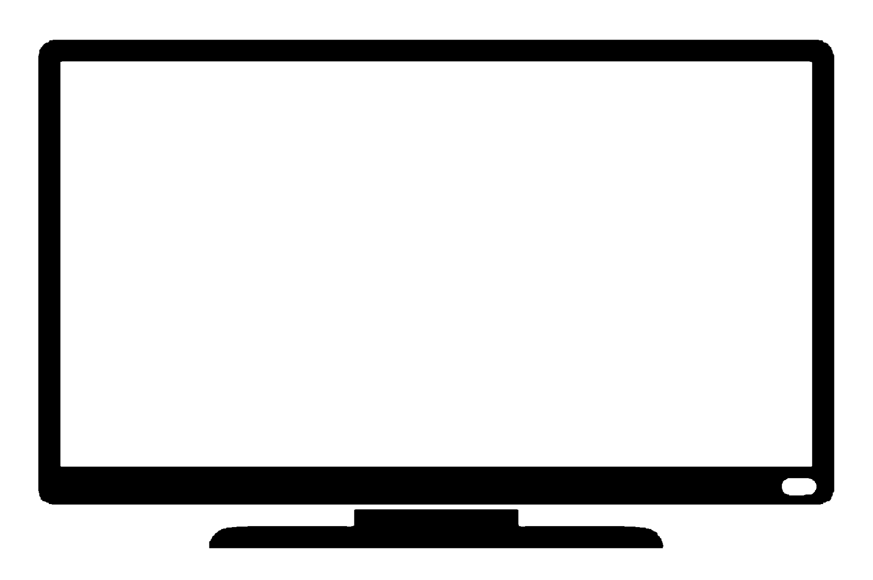
- "أيولا"، ستتسبَّبين في خراب حياة الرجل.

- إما أنا، وإما هو، "كوريدي".

- "أيولا"..

3لا يمكنكِ أن تظلِّي مُحايدة إلى الأبد.

الشّاشة



كانت تقف زوجة "مختار" في ممر الغرف تستند إلى الجدار عندما التقيت بها لثاني مرة. كتفاها ترتجفان، ولكنني لا أسمع لها صوتًا. ألم يخبرها أحد كم هو مُؤلم أن تبكي في صمت؟ شعرت أنها ليست وحدها في المكان؛ فتوقَّف جسدها عن الارتجاف ونظرت نحوي. ضاقت عيناها، وزمَّت شفتيها، ولكنها لم تمسح المُخاط الذي كان يسيل من أنفها نحو فمها. وجدتني أتراجع خطوات إلى الوراء. الحزن مُعدٍ، ولديَّ من المتاعب ما يكفيني.

رتَّبت ملابسها وتجاوزتني بخطوات مُتسارعة، وخلَّفت وراءها عبقَ عطرٍ؛ أظن أنه "جيمي تشو لو". تذكَّرت شقيق زوجها، وتساءلت عمَّا يكون يفعله بعيدًا عنها. كتمت أنفاسي حتى لا أشم رائحة العطر النفَّاذ وبقايا الحُزن وأنا في طريقي إلى الغُرفة 313.

يجلس "مختار" على فراشه، يُقلِّب في قنوات التليفزيون بالريموت كنترول. وضعه جانبًا عندما رآني، وابتسم لي، على الرغم من عينيه المُنهكتين.

- ثم؟

- كانت تبكي.

- ثم؟

انتظرته أن يُعقِّب أكثر من هذا، ولكنه التقط الريموت ثانيةً، وعاد يتفقَّد قنوات التليفزيون. لم يبدُ لي مُندهشًا أو منزعجًا بما أخبرته. لم يكن مُهتمًّا.

- ألم تكُن تُحِبُّها؟

- ذات مرَّة.

- ربما هي لا تزال تُحِبُّكَ.

اكتسب صوته صرامة مُباغتة، وهو يقول لي في حسم:

- إنها لا تبكي لأجلي. تبكي على شبابها الضائع، الفُرَص التي أفلتت من يديها، حتى لم يعد لديها كثير من الخيارات. إنها لا تبكي لأجلي، بل لأجلها.

استقرَّ على قناة الشبكة الوطنية. وكأنه عاد بالزمان إلى التسعينيات. وكان شكل المُراسِلَة كوميديًّا للغاية. حدَّق كلانا في الشاشة، التي كانت تعرض صورة للشارع، والباصات تمر، بينما المارَّة يتطلَّعون إلى الكاميرا في فضول. لقد كتم الصوت، فلم أعرف الموضوع.

- سمعتُ بما جرى لأُختك.

- يبدو أنه لا أسرار هنا.

- أنا آسف لها.

- أعتقد أنها مسألة وقت فحسب قبل أن تشفى.

- حاولت أن تؤذي رجلًا آخرَ.

لم أرد، خاصة أنه لم ينطق بكلماته كسؤال. على الشاشة، توقَّفت المذيعة الآن حتى تسأل أحد المارَّة الذي وقف مذهولًا ينظر لها وللكاميرا، وكأنه يختار بينهما.

- بوسعكِ أن تفعليها؟

- أفعل ماذا؟

- أن تُحرِّري نفسكِ بالإفصاح عن الحقيقة.

شعرتُ بنظراته إليّ. بدت لي الصورة في الشاشة مُشوَّشة. اختلجت عيناي، ووجدتُ مرارة في حلقي. عجزتُ عن الكلام. الحقيقة.. الحقيقة هي أن أُختي تعرَّضت للأذى وهي تحت رعايتي بسبب سر تفوَّهت به. وندمت على ذلك.

شعر بي، فغيَّر الموضوع:

- سأخرج في الغد.

التفت إليه. لوهلة، خُيِّل إليّ أنه موجود هنا للأبد. إنه مريض، والمرضى يرحلون في نهاية المطاف. ومع ذلك، فقد اندهشت للغاية لهذه الحقيقة البسيطة الآن.

- ....

- أُريدُكِ أن تتواصلي معي دائمًا.

تذكَّرتُ أن المرَّات الوحيدة التي لامست فيها يداي جسد "مختار" كانت أثناء غيبوبته، وهو عند البوَّابة التي تفصل بين الأموات والأحياء.

- أعطيني رقمكِ ونتواصل عبر "واتساب".

لم أجد ما أقوله. هل لـ"مختار" حياة خارج جنبات هذا المستشفى حقًّا؟ ومَن يكون؟ أنا لا أعرف عنه سوى أنه رجل يعرف كل أسراري. وأسرار "أيولا". أنا حتى لا أعرف شيئًا عمَّا يحب ويهوى، وما قد يكره، أو حتى عنوانه.

- أو بوسعي أن أعطيكِ رقمي لتتَّصلي بي وقتما تُحِبِّين.

أومأتُ برأسي، وأعتقد أنه لم يفهم قصدي من ذلك. تسمَّرت عيناه على الشاشة، فرأيتُ أن أنصرف.

ولمَّا وصلت عند الباب، التفتُّ إليه:

- ربما لا تزال زوجتك تُحِبُّكَ.

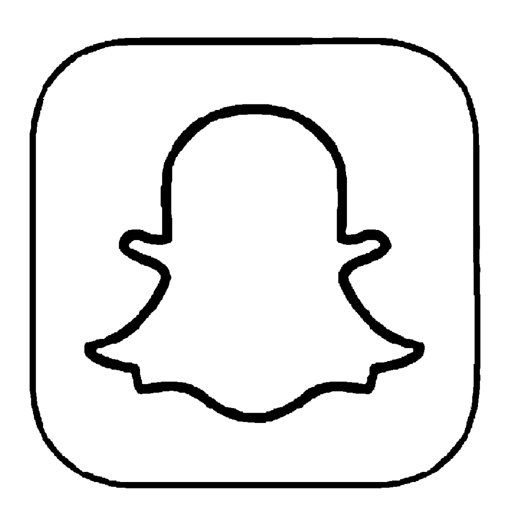
تنهَّد قائلًا:

- ولكن لا يمكن أن يتراجع الإنسان عن كلماته بمجرد أن ينطق بها.

- أيُّ كلمات؟

- لقد اتخذت قرارًا بالطلاق.

أختي



ترقد "أيولا" في الفراش، وهي تميل بجسدها وتُصوِّر باليد الأخرى صورة إصابتها لجمهور "سناب شات". انتظرت حتى انتهت، وأعادت ملابسها إلى ما كانت عليه، ونحَّت الموبايل جانبًا، وهي تبتسم لي. لا أدري لماذا أعجز عن لومها. كانت ترتدي ملابسَ قطنية، وتحتضن واحدًا من دببها.

- ألن تخبريني بما حدث؟

هناك فوق المنضدة المجاورة للفراش علبة حلوى، من بين الهدايا التي جاءتها. أخرجت منها مصَّاصة، ونزعت غلافها قبل أن تدسَّها في فمها.

- بيني وبين "تيد"؟

- طبعًا.

شعرتُ بأنها تهتم بالمصَّاصة أكثر.

- أخبرني أنكِ حطَّمتِ الخاتم. وقال إنكِ تتَّهمينني بكل أنواع الجرائم، وأن لي علاقة باختفاء صديقي السابق.

- ماذا، ماذا تقولين؟

- قُلتُ له إنه مجنون، ولكنه أصرَّ على أنك تغارين مِنِّي، وأنكِ..

- أيظن أنني قتلت "فيمي"؟!

كُنتُ أقبض على ذراع "أيولا" بشدّة من دون سبب. كيف تسنَّى له أن يُفكِّر فيَّ بهذه الطريقة.

- غريب، أليس كذلك؟ الأغرب أنني لم أُحدِّثه عن "فيمي" من قبل. ربما صادف حكايته على "الإنستجرام". الواضح أنه يُريد أن يُبلِّغ عنكِ؛ لذلك فعلت ما فعلت.. حاولتُ على الأقل.

تناولت دُبَّها، ودسَّت وجهها في فرائه.

- ثم؟

- عندما تمكَّن منِّي، أيقن أنكِ كُنتِ صادقة فيما قُلتِه له عنِّي. ما الذي قُلتِه له يا "كوريدي"؟

إذًا، هي فعلت هذا لأجلي وأصيبت بينما أنا التي خُنتها. شعرتُ بدُوَار. لا أُريد أن أعترف أنني فضَّلتُ مصلحته على مصلحتها. لا أُريد أن أعترف بأنني سمحت له بأن يكون حاجزًا بيني وبينها، بينما هي اختارتني أنا، ولم تختره.

- قُلتُ له إنكِ خطر.

تنهَّدت في تسليم، وقالت:

- وماذا سيحدث الآن؟

- ستكون هناك تحقيقات وتحرِّيات.

- سيُصدِّقون قصَّته؟

- لا أدري، أقواله أمام أقوالك.

- بل هي أقوالنا، "كوريدي"؛ أقوالنا.

الأب



من عادات أهل "يوروبا" تسمية التوأم "تايو"، و"كيهيندي". "تايو" هـي الأكبـر دائـمًا، التـي خـرجت إلـى الـدنيا أوَّلًا. وهـكـذا فـإن "كيـهيندي" تبقـى رقـم اثنـين علـى الـدوام. ولكننـي أعتقـد أن "كيهيندي" أنضج، فهي التي أمرت "تايو" بالخروج إلى الدنيا أوَّلًا، ومن ثم تعريفها بحقيقتها.

هكذا كان الحال بين أبي وعمَّتي، فهما توأم، ولكنه جاء إلى الدنيا بعدها. ومن يومها، وعمَّتي لا تخالف أمرًا لأبي، وتثق في كل ما يقوم به. ولهذا السبب، كانت في المنزل معنا يوم الإثنين السابق على وفاة أبي، وكانت تصيح في حتى أُفلت "أيولا" من قبضتي

صرخت فيها وأنا أجذب "أيولا" نحوي أكثر. لم يكن أبي موجودًا، وعلى الرغم من أنني أعرف أنني سأدفع ثمن هذا العصيان لاحقًا، فإنني لم أبالِ. غيابه منحني شجاعة، ومنطقية عودته جعلتني عنيدة. هدَّدتني عمَّتي:

- سيعرف أبوكِ بما جرى.

لا يهم. لقد وضعت خطة في عقلي؛ خطة هروبي أنا و"أيولا". تشبَّثت أُختي بي أكثر، حتى وأنا أُطمئنها بأنني لن أتركها. صاحت أمِّي بصوت واهن:

- أرجوكِ، إنها صغيرة.

- ما كان لها أن توجد أمام ضيف أبيها إذًا.

تسمَّرتُ في مكاني ذاهلةً، لا أُصدِّق ما أسمع. أيُّ أكاذيب يُردِّدها أبي؟ ولماذا هو مُصِرٌّ على أن تذهب "أيولا" إلى منزل الزعيم وحدها؟ لا بد أنني نطقت بهذا السؤال، لأنني وجدت عمَّتي "تايو" تقول لي:

- لن تكون وحدها، سأكون معها. "أيولا"، من المهم أن تفعلي ذلك لأجل أبيكِ؛ فرصة التجارة هذه مُهِمَّة للغاية. سيشتري لكِ الموبايل الذي تريدينه، عندما يحصل على العقد. ما رأيكِ؟!

بكت "أيولا"، وهي تتوسَّل إليَّ ألا أتركها.

- لن تذهبي إلى أيِّ مكان.

- "أيولا"، أنتِ لستِ طفلة. لقد بلغتِ. وهذا أمر يُسعد فتيات كثيرات. هذا الرجل سيُوفِّر لكِ كل ما تحلمين به. كل شيء.

- كل شيء؟

صفعتُها حتى أُعيدها إلى صوابها، بعد أن وجدتها تتساءل ذاهلة، ولكنني فهمتُ أنها في الغالب خافت لمَّا وجدتني خائفة عليها. هي في الحقيقة لا تدري ما يريدونه منها. هي في الرابعة عشرة، ولكن الرابعة عشرة في تلك الأيام لم تكن مثل الرابعة عشرة في

أيامنا هذه.

هذه هي آخر هدايا أبي لنا. ذلك الاتفاق مع ذلك الرجل. ولكنني ورثت عنه القوة والعناد، وعزمت على ألا ينال مُراده؛ ليس هذه المرَّة.. "أيولا" مسؤوليتي أنا وحدي.

التقطت العصا من مكانها، ولوَّحت بها:

- عمَّتي، لو أنكِ اقتربتِ منا فسأضربكِ بهذه العصا، ولن أتوقَّف إلى أن يأتي هو.

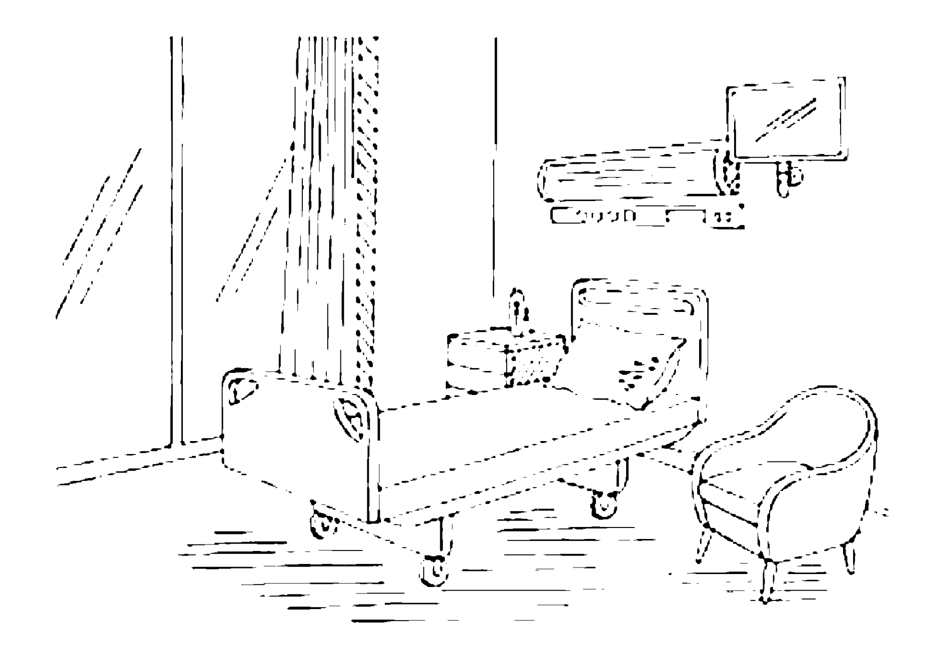
كادت تصيح فيَّ. هي أطول وأغلظ منِّي، ولكنها لمَّا حدَّقت في عينيَّ تراجعت خطوات للوراء. لوَّحت بالعصا ثانيةً، فتراجعت أكثر. تركت "أيولا"، وركضتُ وراء عمَّتي أطردها من المنزل. ولمَّا عُدتُ، كانت "أيولا" ترتجف.

قالت باكية:

- سيقتلنا.

- ليس إذا قتلناه نحن أوَّلًا.

الحقيقة



- يقول الدكتور "أوتومو" إنه كان يتصرَّف دفاعًا عن النفس، وإنكِ ستؤكدين هذا. ويقول، وهذا كلامه هو، لقد حذرتِني من أن "أيولا" قتلت من قبل. آنسة "أبيبي"، هل فعلًا ارتكبت أُختكِ جريمة قتل من قبل؟

- كلَّا.

- فما الذي كُنتِ تقصدينه لمَّا أخبرتِه أن أُختكِ قتلت من قبل؟

مَن يستجوبانني الآن لبقان مُهذَّبان. ولكنني لم أندهش لذلك؛ "تيد" دكتور موهوب في مستشفى مرموق، و"أيولا" جميلة ومن عائلة. وبالتالي نحن أمام قضية مُهِمَّة لا يُستهان بها. كانت يداي في حجري. كُنتُ أُفضِّل لو وضعتهما فوق الطاولة، ولكنها لم تكُن نظيفة. على شفتيَّ شبح ابتسامة؛ لأنني كُنتُ أُمازحهما، وكان من اللازم أن يُدركا أنني أفعل؛ ولكن ابتسامة لا تكفي للإيحاء بأنني أجد الظروف كلها كوميدية، ولكن ذهني صافٍ.

- تُوفِّي رجل كان في رحلة مع أُختي بسبب تسمُّم طعام. وكُنتُ غاضبة من سفرها معه؛ لأنه كان مُتزوِّجًا. وظننت أن أفعالهما أدَّت إلى وفاته.

وماذا عن رفيقها السابق؟

- "تيد"؟

- "فيمي"، الذي اختفى.

- هل ظهر؟ هل قال شيئًا؟

- كلَّا.

تظاهرت بالسُخط. لو أمكنني لأفلت دمعة، أو دمعتين، ولكنني لم أنجح من قبل في التظاهر بالبكاء.

- لماذا تعتقدان إذًا أن لها صلة بما جرى له؟

- نشكُّ في أن الـ..

- مائة شكٍّ لا تُساوي إثباتًا واحدًا. إنها ضعيفة البنية. هل تعتقدان أنها قادرة على إيذائه؟

كان وجهي صارمًا، وفي عينيَّ عدم تصديق لما يقولان. هززتُ رأسي قليلًا على سبيل التأكيد.

- أنتِ لا تعتقدين إذًا أنها أذته؟

- طبعًا. أُختي أطيب شخصية يمكن أن تتعاملا معها. هل التقيتُماها؟

وجدتهما يتململان في جلستهما. لقد التقياها إذًا. لقد حدَّقا في عينيها، ورسما خيالات هي بطلتها. كلهم واحد.

- في رأيكِ، ماذا حدث في ذلك اليوم؟

- كل ما أعرفه هو أنه طعنها بسكين، وأنها لم تكُن تحمل سلاحًا.

- قال إن السكين كان معها.

- وما الذي يدفعها إلى ذلك؟ من أين لها أن تعرف أنه سيتهجَّم عليها؟

- السكين مفقود. وقالت المُمرِّضة "تشيتشي" إنها حرَّزتها بعد

العملية. لا بد أنكِ تعرفين أين يتم الاحتفاظ بها.

- وكذلك جميع المُمَرِّضات يعرفن وجميع الأطبَّاء أيضًا.

- منذ متى تعرفين الدكتور "أوتومو"؟

- ليس من فترة طويلة.

- هل هو ممَّن يتَّصفون بالعُنف؟

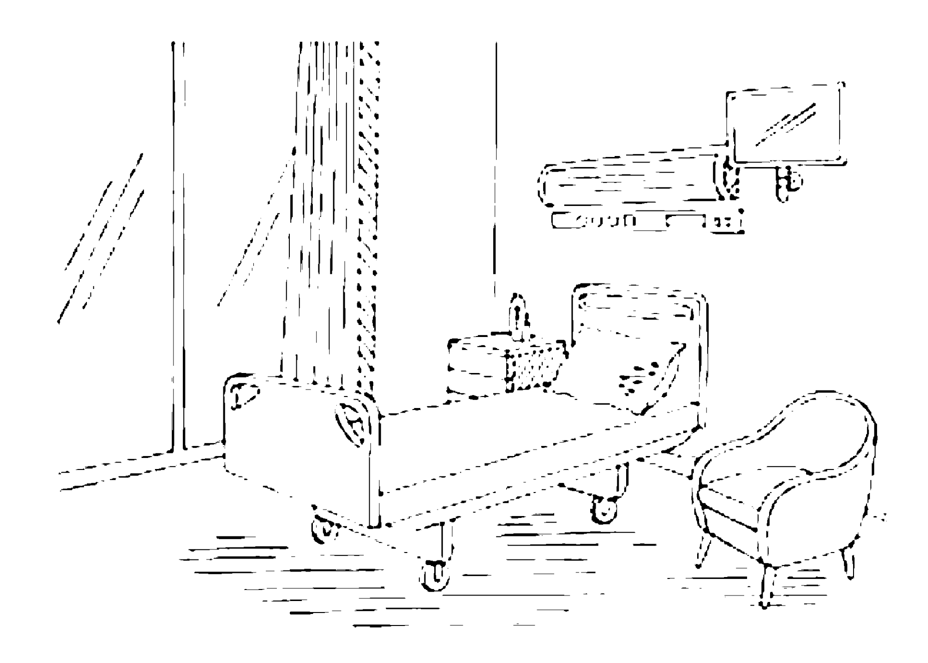
عندما كُنتُ أرتدي ملابسي، اخترتُ سُترة وتنُّورة رمادية فاتحة في درجة لونها. بسيطة، وأُنثوية، ولمحة ذكية تُنبِّه الشرطة إلى طبيعة خلفيتي الاجتماعية.

- كلَّا.

- تعترفين إذًا أن ما حدث غريب على طباعه؟

- ما أعتقده هو أنني ذكرت للتوِّ أنني لا أعرفه منذ فترة طويلة.

لقد رحل



عاد "مختار" إلى منزله ليبدأ حياة جديدة. وصارت الغُرفة 313 خاوية، لكنني استمررتُ في زيارتها؛ أجلس في المكان نفسه الذي اعتدته أثناء غيبوبة "مختار". أتخيَّله في الفراش، وأشعر بالضياع والفقد، وهو شعور أقوى ممَّا أشعر به تجاه "تيد"، الذي رحل بدوره. فقد منعوه من مُزاولة الطب، وألغوا ترخيصه، وأمضى بضعة أشهر في السجن. كان من الممكن أن يكون مصيره أسوأ، لولا شهادة كثيرين في صالحه، وأنه ليس عنيف الطباع، في الظروف العادية، ولكن ذلك لم يُسقط عنه تُهمة طعن "أيولا". وكان عليه أن يدفع الثمن.

لم أرَهُ منذ يوم الحادث. كان قيد الاحتجاز، ولم أتمكَّن من التعرف إلى حقيقة أفكاره ومشاعره، ولكن هذا لم يعد يهم. لقد كانت مُحِقَّة. عليَّ أن أختار، وأنا فقدتُ حقَّ الاختيار منذ زمن. سنظل دائمًا لبعضنا بعضًا، مهما حدث.

أعطاني "مختار" رقم موبايله. كتبه على قصاصة ورقية دسستُها في جيب زِيِّ المُمرِّضة الذي كُنتُ أرتديه.

لم تغادر عقلي فكرة إخبار "أيولا" بأن هناك شخصًا لا يزال طليقًا حُرًّا. شخص يعرف سرَّها، وأن سرَّنا مُعرَّض في أيِّ لحظة لأن يكون قضية رأي عام ولكنني لا أظنُّ أنني سأُخبر "أيولا" بذلك 98%

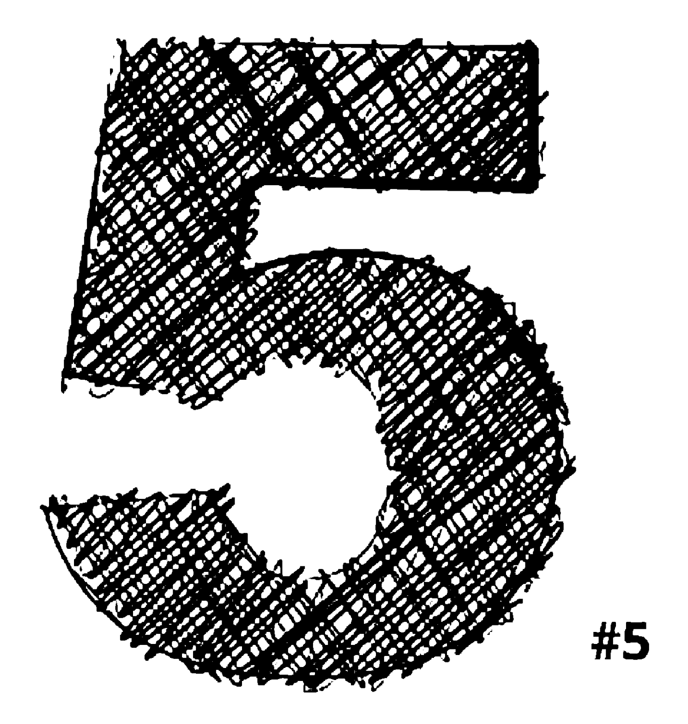
لم تكُن ملاءة فراش "مختار" قد تغيَّرت بعد. لا تزال رائحته في الغُرفــة؛ رائحــة الاســتحمام المُتجــدِّدة التــي كُنــتُ أُحِبُّهــا أيَّام استفاقته من الغيبوبة. أغمضتُ عينيَّ، وأطلقتُ سراح خيالاتي.

وبعد دقائق طلبتُ رقمًا في الطابق الرابع.

- أرجو استدعاء "محمد" إلى هنا، غُرفة 313.

- ولكن "محمد" لم يعُد يعمل هنا، سيدتي.

- نسيت، هذا صحيح، أرسل "أسيبي" إذًا.



#5

5555 743 0809

كتبتُ رقمه ثلاث مرّات، ومسحته من على الشاشة؛ ثلاث مرّات.

صارت الورقة التي تحمل الرقم مُهترئة الآن، ولكنني بالفعل مُشتاقة إلى صوته الذي أكاد أنسى نبرته.

هناك طرقٌ على الباب.

- ادخل.

برز رأس الخادمة من وراء الباب:

- سيدتي، والدتكِ طلبت مِنّي أن أُناديكِ. هناك ضيف بالأسفل.

- مَن هو؟

- رجل.

صرفتُها، وأنا أعرف أنها لا تعرف أكثر من هذه المعلومة.

أغلقتْ الباب خلفها، وبقيتُ أُحَدِّق في ورقة رقم موبايل "مختار". أضأتُ شمعة فوق منضدتي، وقرَّبتُ الورقة من لهيبها الذي سرعان ما التهمها حتى كاد يطال أناملي. لن يكون هناك سوى "مختار" واحد. أعرف هذا. لن تُتاح لي فُرصة أخرى حتى أعترف بآثامي، وأنطلق من حبائل الماضي والمستقبل. لقد تبددت معه

الورقة التي احترقت، و"أيولا" تحتاج إليّ؛ تحتاج إليّ أكثر ممّا أحتاج إلى هذا التّطهُّر.

نهضتُ، ورُحتُ أقف أمام المرآة، ملابسي لا تليق باستقبال ضيف. أرتدي عباءة الـ"بوبو" و"بونيه" وليكن، عليه أن يتقبّلني كما أنا.

نزلتُ على الدَّرَج الخلفي، وتوقّفتُ لحظة عند اللوحة. رمقتُ ظل سيدة، وشعرت للحظة أنها تراني من حيث لا أراها. إطار اللوحة مائل قليلًا إلى اليسار؛ عدّلتُ وضعه، ومضيتُ. مرّت الخادمة إلى جواري وهي تحمل مزهريّة مُمتلئة وردًا. أعتقد أن "أيولا" ستبتهج لها.

وجدتُ أُمّي و"أيولا" بصُحبة رجُل في غُرفة المعيشة. التفتوا جميعًا نحوي عندما اقتربتُ. وعلّقَت "أيولا":

- هذه أُختي، "كوريدي".

ابتسم لي الرَّجُل.. وابتسمت له.

